# من آيات الإعجاز
# في القرآن الكريم

اسم الكتاب: من آيات الإعجاز في القرآن الكريم
اسم المؤلف: حسني محمد العطار

مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر

الطبعة الأولى: 1443هـ-2021م



تنسيق الكتاب: د. نافذ الجعب

تصميم الغلاف: أ. عبد الرحمن أبو نار

المكتبة القرآنية

الكتاب الأول

# من آيات الإعجاز

# في القرآن الكريم

الأستاذ

**حسني محمد العطار**

رفح _ فلسطين

1443هـ-2021م

مطبعة نافذ
0599920845

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ
بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

**صدق الله العظيم**

**فصلت 53**

# إهداء

في زمن التطاول والبذاءة ... أُهدي كتابي هذا

إلى صاحب المقام الرفيع
والخُلُق العظيم
إلى سيد الأولين والآخرين
إليك يا رسول الله .. يا محمد
الله يشهدُ أنّي أُحبك
وأنت تعرف أني أُحبك
والملائكة يشهدون أنني أُحبك
والعالمون يشهدون أني أُحبك
فاسمح لي بقربك
يا حبيبي يا رسول الله

# المقـــــدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد....

الكون بما فيه، من أرض ونجوم، وكواكب، ومخلوقات نعلمها، ومخلوقات لا نعلمها، آية الله الكبرى، ومَعرِضاً من معارض قدرته التي تُبهر العقول.

والقرآن الكريم هو كتاب الله المسطور، الذي أنزله الله لهداية البشر عن ضلالتهم، وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والإيمان، هذا الكتاب العظيم، من ضمن ما اشتمل عليه، مشاهد الكون السماوية، والأرضية، وهي أكثر من أن تُحصى في كتاب الله، وهي وإن جُمعت، وُجدت شاملة لجميع أجرامها وأجزائها. والإنسان يدهش حينما يقرأ ويشاهد هذه المشاهد العظيمة، والتي هي معجزات للقرآن على صدقه وعلى وحدانية الخالق تبارك وتعالى، وعلى صدق نبوّة محمد ﷺ.

إن موضوع " معجزات القرآن الكريم " يُركّز على ما في القرآن من جوانب الإعجاز المتعددة، وبيان الصلة بينها وبين صدق مُدّعي النبوة محمد ﷺ، في زمن ظهر فيه تطاول من قبل فئة، ضالة، خبيثة، على جَنَابِ سيد الخلق عليه السلام.

كذلك أتناول في هذا الدراسة، بعض القضايا المهمة التي تتعلق بالقرآن الكريم، وملاءمته لكل الأزمان والمجتمعات، مُنْهياً حديثي عن جمع القرآن وما تناولته ألسنة المشكّكينَ حول جَمْعِهِ.

## أهمــية هذا الموضـــوع:

### تنبع أهمية هذا الموضوع من عدة جوانب:

1. أنه يُدلل بما لا مجال للشك فيه، على مصداقية كون القرآن وحياً سماوياً.
2. بيان صلاحية القرآن لكل زمان، وكل أمّة.
3. عدم معارضة القرآن لقضايا العلم، والبحث العلمي.
4. الدلالة الواضحة على صدق النبي محمد ﷺ في دعوته للنبوة.
5. أنّ القرآن محفوظ من قبل الله تعالى، قبل حفظ البشر له، فلا مجال لدعوى التحريف، أو النقص أو الزيادة.

## سبب اختياري لهذا الموضـــوع:

منذ نُعومة أظفاري، وأنا أجد نفسي لصيقاً للقرآن الكريم، محبّاً لتلاوته، ومكثراً من الاستماع لأعلام القرّاء العظام، عليهم الرحمة من الله، وهم كثرٌ، خصوصاً جيل الخمسينات، والستينات، من القرن الماضي، الذين أثّروا فينا كثيراً، بجمال أصواتهم، وجودة تلاوتهم، ونبرة الخشوع المنبعثة من تجويدهم لكتاب الله.

لقد أحببت القرآن الكريم حباً ملأ عليَّ كياني، وما زال، فلا أفارقه ليلاً، أو نهاراً، حتى في لحظات الراحة من العمل، مما جعلني أتوسع في الدراسات ذات الصلة بالقرآن.

تعلقت روحي، وتعلق عقلي بموضوع المعجزات القرآنية، فكنت دائماً أقرأ، وأبحث وأجمع كل ما يصدر عن هذا الموضوع.

لهذا، وجدت من الضروري أن أكتب عن معجزات القرآن، مدافعاً عن كتاب الله من ناحية، وداعياً إليه من ناحية، ومذكراً للبعض من ناحية أخرى، لعل هذا الكتاب العظيم أن يكون ونيسي في وحشتي وشفيعي عند ربي.

## منهـــج البحـــث:

تعتمد دراسة هذا الموضوع، على أسلوب المنهج الاستقرائي، الوصفي، وذلك بتجميع الدراسات والأبحاث النظرية، والتطبيقية المتعلقة بهذا الموضوع.

1. جمع الآيات، ذات الصلة بكل موضوع من موضوعات البحث.
2. التركيز على النظريات، والأبحاث التي تطمئن النفس، ويَقْنعُ العقلُ إلى ثباتها علمياً.
3. عَزوتُ الآيات إلى مواضعها في السور، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية.
4. خرَّجتُ الأحاديث النبوية، مع الإحالة إلى كتبها الأصلية.
5. توثيق المصادر، والمراجع في الحواشي، مبتدئاً بالمؤلف، ثم اسم الكتاب، ثم الصفحة، وأرجأت التوثيق الكامل في نهاية البحث.

## خطـــــــة البحــــث:

### تتألف خطة البحث، من مقدمة، وتمهيد وسبعة فصول، كما يلي:

المقدمة: وتشمل على طبيعة البحث، وأهميته، وسبب اختياري، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: تناولت فيه بعض الدراسات المتعلقة بالقرآن، ثم تحدثت عن المعجزة، والفرق بينها وبين السحر، والفرق بينها وبين الكرامة، والفرق بينها وبين الأبحاث العلمية، وفي النهاية الحديث عن الفرق بين القرآن والحديث القُدسي والفرق بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام.

**الفصل الأول:** من معجزات الكون في القرآن الكريم.

**الفصل الثاني:** بعض معجزات الأرض في القرآن الكريم.

**الفصل الثالث:** من معجزات القرآن الكريم في خلق الإنسان.

**الفصل الرابع:** من معجزات عالم الحيوان والحشرات والنبات في القرآن الكريم.

**الفصل الخامس:** معجزة العدد في القرآن الكريم.

**الفصل السادس:** من معجزات اللغة في القرآن الكريم.

**الفصل السابع:** جمع القرآن الكريم.

لقد أخذ هذا البحث مني جُهداً كبيراً، عاش معي جزءاً من الحصار المفروض على قطاع غزة، وانقطاع التيار الكهربائي لأيام، وساعات كثيرة متواصلة، وأصوات الطائرات،

والصواريخ، والاشتباكات والالتحامات بين المجاهدين، والمحتلين الغاصبين، وتخاذل العرب والمسلمين، وتركهم للفلسطيني وحيداً في الساحة، يواجه أعظم مكر وأخبثه، ودولة لا تعرف قانوناً سماوياً، أو أرضياً، إنّما شريعتهم شريعة الغاب.

كان الله في عون هذا الشعب الصابر المرابط، وسدد من رمي مجاهديه، وتقبّل شهداءه في علّيين.

وفي النهاية، أدعو الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يغفر لي ما فيه من تقصير، أو خطأ.

شاكراً لكل من أعانني على إتمامه.

الأستاذ / حسني العطار

رفح – فلسطين

# التمـــــــــهيد

تناولت في التمهيد الحديث عن بعض خصائص القرآن الكريم، ومكوناته، كونه منهج حياة، وأنه المعجزة الباقية ما بقيت الحياة، وعن بعض أوجه إعجاز هذا القرآن الكريم، والتعريف بالمعجزة، وبيان شروطها، وعن الفرق بين المعجزة، والسحر، والمعجزة، والكرامة، والفرق بين الإعجاز العلمي للقرآن، والتفسير العلمي، والفرق بين القرآن الكريم، والحديث القُدسي، وعن بعض القضايا ذات الصلة بالقرآن الكريم.

سوف أحاول في هذه الأوراق القليلة، السريعة بعون الله أن أسجل بعض آيات القرآن المعجزات، عن الكون

والأرض، والخلق، والعدد .

ولكن قبل أن أفعل ذلك، وجدت من الضرورة الحديث عن المعجزة، وعن كون القرآن الكريم معجزة من أعظم معجزات الله تعالى .

داعياً الله أن يوفقني لما فيه السداد، فإن كان فيه سداداً فمن الله، وإن كان فيه نقص فمن نفسي .

**القرآن الكريم: المعجزة الباقية**

**يُعرّف الشيخ متولي الشعراوي المعجزة بقوله:**

" المعجزة هي خرق لنواميس الكون، أو لقوانين الكون، يُعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله، ليدل على منهجه، ويثبتهم بثباته، ويؤكد للناس أنهم رسله، تؤيدهم السماء، وتنصرهم، والسماء حين تُؤيد وتنصر، تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً " [1]

ويُعرف العلماء المعجزة في اللغة: بأنها مأخوذة من الإعجاز، وحقيقته: إثبات العجز في الغير، وهو الأمر الخارق للعادة، والتاء فيه للمبالغة. [2]

1 . انظر: الشعراوي: معجزة القرآن، 7/1.

2 . انظر: ابن منظور: لسان العرب، 4 / 690.

أما عند أهل الاصطلاح: فالمعجزة أمر خارق للعادة، يُظهرها الله على يد مدعي النبوة، في دار التكليف، سالم من المعارضة، يقصد بها تحدي المنكرين. [1]

**شروط المعجزة:**

**وقد اشترط العلماء المحققون للمعجزة شروطاً هي:**

1. أن يكون ذلك الخرق فعلاً لله تعالى، وألا يكون هذا الفعل المعجز مقدوراً للنبي.
2. أن تكون المعجزة خارقة للعادة، ولهذا السحر والشعوذة والمخترعات الغريبة لا تُعتبر معجزة.
3. أن تظهر على يد مُدّعي النبوة، ليُعلم أن هذه المعجزة تصديق له.
4. أن تكون المعجزة مصدقة لمدعي النبوة لا مكذبة له.
5. أن تكون هذه المعجزة موافقة لدعوى النبي.
6. أن تتعذر معارضة المعجزة والإتيان بمثلها.
7. أن تكون مقرونة بدعوى النبوة، أو الرسالة، ومصاحبة لها حقيقة. [2]

**يقول الشيخ الشعراوي: متحدثاً عن معجزة القرآن الكريم:**

"معجزة القرآن، تختلف عن معجزات الرسل السابقين في كثير من زوايا الإعجاز، وفي القرآن إعجاز لا يتنبه إليه العقل، إلا بعد أن ينشط، ويتكشف عنه من حقائق الكون

[1] . انظر: شرح السنوسية الكبرى، ص440.

[2] . انظر: مراد: معجزات الرسول، 12.

وأسراره، حينئذ يتبين أن للقرآن وجوه إعجاز أخرى، أو جديدة، تزيد في معنى الإعجاز، أو تُعطي أبعاداً جديدة لما يقال، وإعجاز القرآن قد يكون موجوداً أحياناً في حرف من حروفه، حرف من القرآن يحمل إعجازاً رهيباً .

إن للقرآن عطاءً لكل جيل، يختلف عن عطائه للجيل السابق، ذلك لأن القرآن للعالمين، أي الدنيا كلها، لا يقتصر على أمة بعينها، وإنما هو الدين الكامل لكل البشر .

ومن هنا فإنه يجب أن يكون له عطاءٌ لكل جيل، وإلا لو أُفرغ القرآن عطاءه الإعجازي في قرن من الزمان مثلاً، لاستقبل القرون الأخرى بلا عطاء، وبذلك يكون قد جمد، والقرآن متجدد ولا يجمد أبداً، سخي، يعطي دائماً، قادر على العطاء لكل جيل بما يختلف عن الجيل الذي قبله، وبنفس الآية، أي أن هناك آيات من القرآن تعطينا الآن عمقاً جديداً في معناها، ذلك العمق لم يكن أحد يصل إليه بالفهم الدقيق في أول وقت نزول القرآن.

ومن هذا النوع من الآيات ما يتصل بالكون، والخلق، وهي تلك الأشياء التي لم يكن للعقل البشري الاستعداد العلمي وقت نزولها، ليفهمها تماماً، مثلاً كروية الأرض أحدى الحقائق التي تحدث عنها القرآن . . الغلاف الجوي المحيط بالأرض إحدى الحقائق التي تحدث عنها القرآن، علم الأجنة تناوله القرآن، دوران الأرض حول نفسها . . الزمن، ونسبية الزمن، وعدد من حقائق الكون الأساسية، نجد أنّ الآيات التي تتناول هذه الأشياء، والرسول عليه السلام مرَّ عليها مروراً، وترك للعقل في كل جيل أن يأخذ قدر حجمه، ويعطي لكل عقل ما يعجبه،

ويرضيه، فترى غير المتعلم يطرب للقرآن، ويجد فيه ما يرضيه، ونصف المتعلم يجد فيه ما يرضيه، والمتبحر في العلم يجد في القرآن إعجازاً يرضيه.

هذه واحدة من إعجاز القرآن الكريم، أنه يُعطي لكل نفس باستخدام الآيات والألفاظ التي تؤدي إلى المعنى، فإذا ما كشف الله للبشر عن سر من أسرار كونه ورجعنا إلى الآية نجدها تؤدي نفس المعنى. [1]

## أوجه الإعجاز في القرآن الكريم:

إن الباحث المنصف الذي يطلب الحق، إذا نظر في القرآن من أي النواحي أحب، من ناحية أسلوبه، أو من ناحية علومه، أو من ناحية الأثر الذي يحدثه في العالَم، وغيَّر به وجه التاريخ، أو من تلك النواحي مجتمعة، وجد الإعجاز واضحاً جلياً، ويجدر بنا أن نأتي بكلمة في هذه النواحي الثلاث من الإعجاز القرآني: ناحية الإعجاز اللغوي، وناحية الإعجاز العلمي، وناحية الإعجاز التشريعي. [2]

### أولاً: الإعجاز اللُغوي:

لقد مارس أهل العربية فنونها منذ نشأت لغتهم حتى شبت وترعرعت، وأصبحت في عنفوان شبابها عملاقاً معطاءً، واستظهروا شعرها ونثرها، وحِكمها، وأمثالها، وطاوعهم

---

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن، ص13.

[2] . انظر: القطان: مباحث في علوم القرآن، ص265.

البيان في أساليب ساحرة، خفيفة ومجازاً، ايجازاً وإطناباً، حديثاً، ومقالاً. وكلما ارتفعت اللغة وتسامت، وقفت على أعتاب لغة القرآن في إعجازه اللغوي كسيرة صاغرة، تنحني أمام أسلوبه إجلالاً، وخشية، وما عهد تاريخ العربية حقبة من أحقاب التاريخ، ازدهرت فيها اللغة إلا وتضامن، أعلامها وأساتذتها أمام البيان القرآني اعترافاً بسموه، وإدراكاً لأسراره، ولا عجب " فتلك سنة الله في آياته التي يصنعها بيديه، لا يزيدك العلم بها والوقوف على أسرارها إلا إذعاناً لعظمتها، وثقة بالعجز عنها، ولا كذلك صناعات الخلق، فإن فضل العلم بها يمكنك منها ويفتح لك الطريق إلى الزيادة عليها، ومن هنا كان سحرة فرعون هم أول المؤمنين برب هارون وموسى" ([1])

والذين تملكهم الغرور، وأصابتهم لوثة الإعجاب بالنفس، وحاولوا التطاول على أسلوب القرآن، حاكوه بكلام فارغ، أشبه بالسخف، والتفاهة، والهذيان، والعبث، وارتدوا على أعقابهم خاسري، كالمتنبئين وأشباه المتنبئين، من الدجالين، والمغرورين.

وقد شهد التاريخ فرساناً للعربية خاضوا غمارها وأحرزوا قصب السبق فيها، فما استطاع أحد منهم أن تُحدثه نفسه بمعارضة القرآن، إلا باء بالخزي، والهوان، بل إن التاريخ سجل هذا العجز على اللغة، وهي في أزهى عصورها، وأرقى أدوارها، حين نزل هذا القرآن، وقد بلغت العربية أشدها، وتوافرت لها عناصر الكمال والتهذيب، في المجامع العربية، وأسواقها، ووقف القرآن من أصحاب هذه اللغة موقف التحدي.

[1] . نقلاً عن النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز، ص81.

وتتابعت القرون لدى أهل اللغة العربية، وظل الإعجاز القرآني اللُغوي راسخاً كالطود الشامخ، تذل أمامه الأعناق خاضعة، لا تفكر في أن تدانيه، فضلاً عن أن تساميه، لأنها أشد عجزاً، وأقل طمعاً في هذا المطلب العزيز، وسيظل الأمر كذلك إلى يوم الدين.

والقرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج عن سُنن كلامهم، ألفاظاً، وحروفاً، تركيباً، وأسلوباً، ولكنه في اتساق حروفه، وطلاوة عبارته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان، في الجمل الاسمية والفعلية، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الإطناب والإيجاز، وفي العموم والخصوص، وفي الإطلاق والتقييد، وفي النص والفحوى، القرآن في هذا ونظائره بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر.

عن ابن عباس رضي الله عنه: " أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً قال: لِمَ قال ليعطوك، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكرٌ له، قال: وماذا أقول؟ فو الله ما منكم رجلٌ أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يُشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمر أعلاه، مُغدق أسفله، وإنّه ليعلو ولا يعلى، وإنّه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر، قال: إن هذا إلا سحر يؤثر

يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا** ﴾ . (سورة المدثر: الآية 11-13 ﴾ (1)

وحيثما قلَّب الإنسان نظره في القرآن وجد أسراراً من الإعجاز اللُغوي، يجد ذلك في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه، حين يسمع حركاتها، وسكناتها، ومدّاتها وغناتها، وفواصلها، ومقاطعها، فلا تمل أذنه السماع، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

ويجد ذلك في ألفاظه التي تفي بحق كل معنى في موضعه، لا ينبو منها لفظ يقال إنّه زائد، ولا يعثر الباحث على موضع يقول إنّه يحتاج إلى إثبات لفظ ناقص.

ويجد ذلك في ضروب الخطاب التي يتقارب فيها أصناف الناس في الفهم بما تطيقه عقولهم، فيراها كل واحد منهم مُقدرة على مقياس عقله، ووفق حاجته، من العامة والخاصة: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ . (سورة القمر: الآية 17)

ويجد ذلك في إقناع العقل، وإقناع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيراً ووجداناً في تكافؤ واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير.

وهكذا حيثما قلَّب النظر قامت أمامه حُجة القرآن في التحدي والإعجاز. (2)

---

1 . ابن كثير: البداية والنهاية، 69/3.

2 . نقلاً عن النبأ العظيم: دراز، 83.

**ثانياً: الإعجاز العلمي:**

يُخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية.

ومنشأ الخطأ في هذا، أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعاً لسنة التقدم، فلا تزال في نقص دائم يكتنفه الغموض أحياناً، والخطأ أحياناً أخرى، وتستمر هكذا حتى تقترب من الصواب، وتصل إلى درجة اليقين، وأي نظرية منها تبدأ بالحدس والتخمين وتخضع للتجربة حتى يثبت يقينها، أو يتضح زيفها وخطؤها، ولهذا كانت عرضة للتبديل، وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس أنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت، وتتقوض بعد رسوخ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة أخرى.

والذين يفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم، ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة العلمية، يُسيئون إلى القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعاً، لأنّ هذه المسائل التي تخضع لسُنة التقدم تتبدل، وقد تتقوض من أساسها وتبطل، فإذا فسرنا القرآن بها تعرضنا في تفسيره للنقائض كلما تبدلت القواعد العلمية، أو تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم، أو يقين يُبطل التخمين.

والقرآن الكريم، كتاب عقيدة وهداية، يخاطب الضمير فيحيي فيه عوامل النمو والارتقاء، وبواعث الخير والفضيلة.

وإعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل، وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر، وإنّما في حثه على التفكير، فهو يحث الإنسان على النظر في الكون وتدبره، ولا يشل حركة العقل في تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وليس ثمة كتاب من كتب الأديان السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن.

فأي مسألة من مسائل العلم، أو قاعدة من قواعده، يثبت رسوخها، ويتبين يقينها، تكون محققه لما حث عليه القرآن من تفكير سليم، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال، ولقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها، ولم يتعارض شيء ثابت منها مع آية من آيات القرآن، وهذا وحده إعجاز.

والقرآن الكريم يجعل التفكير السديد والنظر الصائب في الكون، وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله.

إنه يحث المسلم على التفكير في مخلوقات الله، في السماء والأرض، ويحثه على التفكير في نفسه، وفي الأرض التي يعمرها، والطبيعة التي تحيط به، ويُثير فيه الحس العلمي للتفكير، والفهم، والتعقل.

وهكذا فإنّ الإعجاز العلمي في القرآن، في أنه يحث المسلمين على التفكير، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويدعوهم إلى ولوجها، والتقدم فيها، وقبول كل جديد راسخ من العلوم.

إنّ ما في القرآن من إشارات علمية، إنها سيقت مساق الهداية، ومع ذلك فلا شيء يمنع أن نستعمل العلم والنظرية العلمية الثابتة وسيلة من وسائل الهداية، فعقول الناس والجماعات، يتناسب معها ما لا يتناسب مع غيرها .

**ثالثاً: الإعجاز التشريعي:**

عرفت البشرية في عصور التاريخ، ألواناً مختلفة من المذاهب، والنظريات، والنظم، والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل، ولكن واحداً منها لم يبلغ من الروعة، والإجلال مبلغ القرآن في إعجازه التشريعي.

إن القرآن يبدأ بتربية الفرد، لأنّه لبنة المجتمع، ويقيم تربيته على تحرير وجدانه، وتحمله التبعة.

يحرر القرآن وجدان المسلم بعقيدة التوحيد الذي تُخلصه من سلطان الخرافة، والوهم، وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات، حتى يكون عبداً خالصاً لله، يتجرد لجلالة الخالق المعبود، ويستعلي بنفسه عما سواه، فلا حاجة للمخلوق إلا لدى خالقه، الذي له الكمال المطلق، ومنه يمنح الخير للخلائق كلها، إنّه خالق واحد وإله واحد، لا أول له ولا آخر، قدير على كل شيء، عليم بكل شيء محيط بكل شيء، وليس كمثله شيء.

عالم مخلوق خلقه الله، ويرجع إلى الله، ويفنى كما يوجد بمشيئة الله، وهذه أكمل عقيدة في العقل وأكمل عقيدة في الدين. يؤكد القرآن الكريم وحدانية الله بالحجج القاطعة التي تقوم على المنطق العقلي السليم، فلا تقبل الجدال والمراء .

وإذا صحت عقيدة المسلم كان عليه أن يأخذ بشرائع القرآن في الفرائض والعبادات، وكل عبادة مفروضة يُراد بها صلاح الفرد، ولكنها مع ذلك ذات علاقة بصلاح الجماعة.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والجماعة واجبة على الرأي الراجح إلا لعذر، وحسب المسلم في تربيته أن يقف بين يدي الله خمس مرات في اليوم الواحد لتمتزج حياته بشرع الله، ويتمثل الوازع الأعلى نصب عينه ما بين كل صلاة وصلاة.

والزكاة تقتلع من النفس جذور الشُح وعبادة المال، والحرص على الدنيا، وهي مصلحة للجماعة، فتقيم دعائم التعاون بين القادرين والمحرومين، وتشعر النفس بتكافل المجتمع والجماعة شعوراً يُخرجها من ضيق الإثرة والانفراد.

والحج سياحة، تروض النفس على المشقة، وتفتح بصيرتها على أسرار الله في خلقه، وهو مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون على صعيد واحد، يتعارفون ويتشاورون.

والصيام ضبط للنفس، وشحذ لعزيمتها، وتقوية للإرادة، وحبسٌ للشهوات، وهو مظهر اجتماعي يعيش فيه المسلمون شهراً كاملاً على نظام واحد في طعامهم، كما تعيش الأسرة في البيت الواحد.

والقيام بهذه العبادات المفروضة يُربي المسلم على الشعور بالتبعة الفردية التي يقررها القرآن، وينوط بها كل تكليف من تكاليف الدين، وكل فضيلة من فضائل الأخلاق.

وحض القرآن على الفضائل المُثلى، التي تروض النفس على الوازع الديني، كالصبر والصدق، والعدل، والإحسان والحلم.

ومن تربية الفرد ينتقل الإسلام إلى بناء الأسرة، لأنها نواة المجتمع، فشرع القرآن الزواج استجابة لغريزة الجنس وإبقاء على النوع الإنساني في تناسل طاهر نظيف.

ويقوم رباط الأسرة في الزواج على الود، والرحمة، والسكن النفسي، والعشرة بالمعروف، ومراعاة خصائص الرجل وخصائص المرأة، والوظيفة الملائمة لكل منهما .

ثم يأتي نظام الحكم الذي يسود المجتمع المسلم، وقد قرر القرآن قواعد الحكومة الإسلامية في أصلح أوضاعها .

فهي حكومة الشورى، والمساواة، ومنع السيطرة الفردية.

وهي حكومة تقوم على العدل المطلق الذي لا يتأثر بحب الذات، أو عاطفة القرابة، أو العوامل الاجتماعية في الغنى والفقر، كما لا تؤثر في هذا العدل شهوة الانتقام من الأعداء المبغوضين.

والتشريع في الحكومة الإسلامية ليس متروكاً للناس، فقد قرره القرآن، والخروج عنه كفر، وظلم، وفسق وقرر القرآن صيانة الكليات الخمس الضرورية للحياة الإنسانية: النفس، والدين، والعرض، والمال، والعق، ورتب عليها العقوبات المنصوصة، التي تُعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود .

وقرر القرآن العلاقات الدولية في الحرب والسلم، بين المسلمين وجيرانهم، أو مُعاهديهم، وهي أرفع معاملة عُرفت في عصور الحضارات الإنسانية.

خلاصة القول: أن القرآن دستور تشريعي كامل، يُقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة، وأرقى مثال، وسيظل إعجازه التشريعي قريناً لإعجازه العلمي، وإعجازه اللُغوي إلى الأبد، ولا يستطيع أحد أن يُنكر أنه أحدث في العالم أثراً غيَّر وجه التاريخ.

والقرآن إذاً مُعجز في عصر البلاغة ببلاغته، وهو مُعجز في عصر الكهانة بإخباره عن الغيب الحقيقي، وهو مُعجز كذلك في عصر العلم حين يلمس قضايا العلم من غير استخدام لآلات كشفه ومقدمات إدراكه، وهو مُعجز في عصر الجماعات المستقرة بوضع القانون، والتشريع الذي يُنظم الحياة المستقرة، بإدراك كامل لديناميكية الظاهرة الاجتماعية، وبملائمة تامة لهذه الديناميكية.

ومن الخطأ أن يسبق إلى الوهم أن دلائل الإعجاز في عصر من العصور، تُرفع عن القرآن حين يأتي العصر التالي، ويحتاج إلى دلالة أخرى تخالف ما كان للعصر السابق عن دلائل الإعجاز في القرآن، وإنما ما يحدث هو أن الذين يعيشون عصراً من العصور ربما يفقدون الملكة التي يدركون بها دلائل إعجاز القرآن في العصور التي قد خلت والأزمان التي قد مضت. [1]

ونحن حين نستطلع القرآن في هذا الزمان الذي يمتاز بشيء من العارضة العلمية، ويحتاج احتياجاً ملحاً إلى القانون والتشريع، نلحظ دلائل الإعجاز في القرآن واضحة غاية الوضوح، وفي العصور التي ستلي عصرنا سيُفاجِئ القرآن أقواماً بدلائل إعجاز فيما يتفوقون فيه في مجالات نعرف مقدماتها أو لا نعرفها.

[1] . الدسوقي: نظرية النبوة في الإسلام، ص 170.

وهكذا يشعر كل عصر بأن القرآن قد نزل إليه وحده دون سواه من العصور، معجزة له وحده دون غيره من الأزمان، وجديد في مخاطبته وحده دون غيره من سائر الخلائق، وهذه هي المعجزة الكبرى.

## الفرق بين القرآن الكريم والحديث القُدسي:

### هناك عدة فروق بين القرآن الكريم والحديث القُدسي أهمها:

1 . أن القرآن الكريم، كلام الله أوحى به إلى رسول الله بلفظه، وتحدى به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، ولا يزال التحدي به قائماً، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين.

والحديث القُدسي لم يقع به التحدي والإعجاز.

2 . القرآن الكريم لا يُنسب إلا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى.

والحديث القُدسي قد يُروى مضافاً إلى الله وتكون النسبة إليه حينئذ نسبة إنشاء فيقال: قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى، وقد يُروى مضافاً إلى رسول الله ﷺ ، وتكون النسبة حينئذ نسبة إخبار لأنه ﷺ هو المخبر به عن الله، فيقال : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل.

3. القرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، والأحاديث القُدسية أكثرها أحاديث آحاد، فهي ظنية الثبوت، وقد يكون الحديث القُدسي صحيحاً، وقد يكون حسناً، وقد يكون ضعيفاً.

4. القرآن الكريم من عند الله لفظاً ومعنى، فهو وحي باللفظ والمعنى.

والحديث القُدسي معناه من عند الله، ولفظه من عند رسول الله ﷺ، على الصحيح فهو وحي بالمعنى دون اللفظ، ولذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين.

5. القرآن الكريم مُتعبد بتلاوته، فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة: ﴿**فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾. (سورة المزمل: الآية 20)، وقراءته عبادة يُثيب الله تعالى عليها، كما جاء في الحديث "**من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**". [1]

والحديث القُدسي لا يُجزئ في الصلاة، ويثيب الله على قراءته ثواباً عاماً، فلا يَصدق فيه الثواب الذي ورد ذكره في الحديث على قراءة القرآن، بكل حرف عشر حسنات.

6. لقي القرآن الكريم من الأمة الإسلامية على مدار تاريخها احتفالاً كبيراً، وتسابق الصغير قبل الكبير على حفظه. اهتمت به الأمة أفراداً وجماعات، ونال من اهتمام

---

[1]. أخرجه الترمذي في سننه، رقم ﴿3075﴾، أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في من قرآ حرفاً من القرآن، 4/248.

العلماء، والباحثين على اختلاف مشاربهم، وكل يوم يزداد ارتباط المسلمين وتعلقهم به.

أما الحديث القُدسي فلم يلق مثل هذا الاهتمام مع أهميته.

7. القرآن الكريم مصدر أحكام وتشريعات المسلمين، فمنه يستمدون أحكام عباداتهم، ومعاملاتهم وشئون حياتهم.

أما الحديث القُدسي فهو حديث موعظة، وترغيب، وترهيب، قلَّما ورد فيه حكماً شرعياً.

**الفرق بين معجزة القرآن ومعجزات الأنبياء السابقين:**

إن من حكمة الله سبحانه أن تكون المعجزة منسجمة مع أحوال الناس الذين ظهرت فيهم، وذلك لأن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فإذا كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه كان لابد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكيرهم أو مع طبيعة بيئتهم.

فمعجزة صالح عليه السلام كانت الناقة، ذلك لأن ثمود وهي أحد القبائل، كانوا يعنون بشأن الإبل ويعيشون في مكان هم في أمسّ الحاجة فيه إلى الماء، فكانت معجزته عليه الصلاة والسلام الناقة، آية لها شرب ولهم شرب يوم معلوم.

كذلك كانت معجزة موسى عليه الصلاة والسلام العصا الجافة _وغيرها_ التي ألقاها باسم الله، فإذا هي حية تسعى، وهي تُشبه السحر، والأمة التي تحداها الله تفوقت في السحر وحذقته.

ومعجزة عيسى عليه الصلاة والسلام منسجمة مع البيئة، ذلك لأنّ العهد الذي أُرسل فيه عليه السلام كان عهدٌ قد طغت عليه المادة وبخاصة على بني إسرائيل، حيث قطعوا كل صلة بينهم وبين شريعة موسى، فكانت معجزته تقويضاً للمادة رأساً على عقب، وصفعة للماديين، وليس الأمر كما قيل من قبل أن القوم قد برعوا في الطب فكانت معجزته عليه السلام مما برعوا فيه، ذلك أنه لم يثبت أن القوم برعوا في الطب أولاً، وأما ثانياً: فلأن معجزاته عليه السلام ليست مما للطب فيه حيلة ومعرفة، فإحياءُ الموتى ليس للطب فيه مجال، كذلك إبراء الأكمه، والأبرص، لأن الأكمه من وُلد ممسوح مكان العينين، وهذا من الأمور التي لا يستطيعها الطب أبداً، ولا يزال الطب عاجزاً عن مداواة البرص، وكذلك إخباره عليه السلام عما يأكلونه، ويدخرونه في بيوتهم بعيد عن مجال الطب.

إذن هذه المعجزات نجدها جميعاً معجزات مادية، كما نجدها معجزات غير دائمة، بل تنتهي بانتهاء النبي الذي جاء بها، بل ربما تنتهي في حياته، ونجدها من جهة ثالثة ملتئمة متناسبة مع العصر.

أما معجزة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت بدعاً من المعجزات السابقة، فهي معجزة بعيدة عن أن تشوبها شوائب المادة، بل هي معجزة عقلية إنسانية، ثم هي بعد ذلك

ليست محدودة بزمان معين، وإنما هي باقية على مدى الدهر، وهي من ناحية أخرى تتفق مع حال أولئك الذين أُرسل فيهم النبي عليه الصلاة والسلام، حيث كانوا أئمة القول وفرسان حلبة الكلام: شعره ونثره.

ثم إن عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ودوامها يتطلبان أن تكون المعجزة باقية، تخاطب أسمى ما في الإنسان قلبه وعقله، ولأن رسالة النبي محمد خاتمة الرسالات، كان لا بد أن تكون معجزته تامة الهداية، لا تقتصر على مجال دون مجال، واضحة لا غموض فيها، عامة لا تقتصر على مكان دون أخر، أو شعب، باقية لا تخص زمناً دون زمن، ولا تخص أمة دون أمة، لهذا كان هذا الكتاب الكريم المعجزة الباقية على مدى الدهر. [1]

## السحر والمعجزة: [2]

السحر هو كل ما لطف مأخذه وخفي، ومنه قيل: عين ساحرة، وهو كما وصفه القرآن: تخييل يخدع الأعين فيُريها ما ليس كائناً، وهو إما حيلة وشعوذة، أو صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس، ويُمكن أن يكون منه تأثير الأرواح والتنويم المغناطيسي.

وخلاصة القول في هذا: أن السحر يقوم على أساس صناعة يمكن تعلمها، ويمكن ممارستها، لها قواعد مضبوطة، ولها أسس مفهومة، ولها أساتذتها وعلماؤها.

### وأهداف السحرة يمكن حصرها في:

[1] انظر: عباس: إعجاز القرآن الكريم، ص23

[2] . انظر: الدسوقي: نظرية النبوة في الإسلام، 89.

1. يهدف البعض منهم إلى الكسب المادي السريع، والمنفعة المادية الرخيصة التي لا تستند إلى أساس مشروع.

وهؤلاء أخس هذه الطوائف وأوضعهم نفساً وأكثرهم هبوطاً في منازل الشرف ودرجات العزة، وقد يلحق بهذه الطائفة من يقصد من وراء السحر قوة العارضة الاجتماعية وانتشار العبث وذيوع السيرة بين البسطاء.

2. طائفة أخرى تقصد من وراء السحر الترويج لمذهب، أو رأي، والتشويش على ما عداه من الآراء. لا بطريق العقل والمنطق، وإنما بطريق الرهبة، والدجل، وتزوير الحقائق.

3. وهناك طائفة أخرى ثالثة، ليست لها ميول عقائدية، أي لا تؤمن بالله، ولا تخضع لسلطانه، وهي تقوم بمثل هذه الأعمال لكي تقول للبسطاء بأسلوب الإيحاء: إن الله ليس هو السبب الأول، وليس هو العلة المؤثرة، وليس هو الخالق وحده، أو المتصرف في الكون بمفرده، وإنما نحن نستطيع أن نفعل أفعالاً غير عادية.

**موقف الإسلام من السحر والسحرة:**

يعتبر الإسلام السحر من كبائر الذنوب، المهلكات، فهو من السبع الموبقات بنص حديث النبي، أعتبرها العلماء المسلمون الكبيرة الثالثة في ترتيب الكبائر فالسحر ضرره بالغ على العقيدة الإيمانية، وعلى حياة الأفراد والمجتمعات، فهو يحكم حكماً صريحاً على السحرة

المشتغلين بالسحر، والمهتمين بقواعده تعليماً وممارسة وفعلاً، إنّ الإسلام يحكم بكفرهم وعلى المعتقد بالسحر بأنه كافر.

**حدُّ الساحر: القتل لأنه كفر بالله أو مضارع للكفر.**

**خلاصة القول:** السحر ليس أمراً خارقاً للعادة، لأنّ الفعل الخارق للعادة هو الفعل الذي لا يخضع لقانون موجود في الواقع، سواء تم اكتشافه، أو لم يتم، وهو خارج عن مقدور من هم في نطاق الدعوة.

وإذا كان السحر كما تبين لنا خاضعاً للقانون، مقدور لبعض الخلائق، فإنّه لا يكون خارقاً للعادة.

ولما كان السحر قد ثبت أنّه خاضع للقانون، مضبوط بالقاعدة داخل القدرة لبعض المعنيين بدعوة الرسول، فإنّه يمكن تعليمه وتعلمه إذ ليس التعليم سوى نقل أسرار القانون، وكيفية استخدامه من شخص إلى شخص آخر عن طريق وسائل الإدراك.

وهذه الخاصية لا توجد للسحر وحده، وإنما توجد فيه، وفي سائر الأشياء المندرجة تحت القوانين والقواعد، والذي مكنّ الله الإنسان منها، وأقدره عليها، استخداماً وتعلماً.

من هذا كله يمكن القول بأنّ السحر ليس بخارق للعادة، وليس هو من فعل الله الذي اختص به ذاته، وإنما هو من الأفعال المندرجة تحت قوانين المادة، أو الحياة التي وضعها الله في الأرض منذ أن وُجدت قوانين المادة والحياة.

ونحن نقبل السحر على أنّه ظاهرة اجتماعية تتناسب مع الجهل والإيمان، وجوداً وعدماً، زيادة ونقصاً، وعلاقتها بالحضارة والوعي، والفكر، والتدين الصحيح علاقة التنافر والتقابل.

وعلاقتها بالمعجزة علاقة أي قانون موجود يتعلق بالمادة أو الحياة.

إذن الفرق بين المعجزة، والسحر: أن المعجزة تظهر على يد نبي، والنبي من صفوة خلق الله، أما السحر، فلا يكون إلا من أخبث الناس نفساً.

والمعجزة فعل لله تعالى، لا يستطيعه أحد من الناس، أما السحر فهو من فعل الساحر وهو أمر يمكن تعلمه، والمعجزة فيها خير للناس وصلاحهم، أما السحر فليس فيه إلا الأذى والشر والشحناء، والمعجزة يلازم ظهورها التحدي، خلاف السحر الذي يظهر على يد فاسق مبتدع.

**المعجزة والكرامة:**

غالباً ما يرتبط مصطلح "الكرامة" بفكرة الولاية سواء كانت هذه الولاية في الإسلام، أو كانت في أي دين من الأديان والولاية مصطلح يطلق على أولئك الصالحين الذين تابعوا نبياً من الأنبياء في شرعه، وأحبوا مبادئه، وساروا على نهجه حتى يبدو الواحد منهم، وكأنه تجسيد للمبادئ التي جاء بها النبي.

والولاية عند الأكثرية من العلماء أمر واقع، وظهور الكرامة على يد الأولياء أمر لا مشاحة فيه، إلا من المعتزلة ومن وافقهم من الطوائف الأخرى.

وإذا كانت الولاية أمراً واقعاً فإن العقل حين يسلم لها لا يجد نفسه في حالة من التناقض التي تقلق الفكر، أو تزعج الوجدان.

**ولم يخلو القرآن الكريم من ذكر نماذج للكرامة على يد الأولياء:**

قصة عرش بلقيس، وقصة أم موسى، وقصة أم عيسى عليهما السلام، وما ظهر من الخوارق أمر ثابت

طعام الصيف في الشتاء، ورزق الشتاء في الصيف، وظهور النخلة، ومجرى الماء، من أعظم الكرامات لمريم عليها السلام.

ومن هنا يثبت أن الولاية أمر واقع، وهو موجود بالفعل، ومقبول في العقل، ويثبت أيضاً أن الكرامة أمر واقع موجود بالفعل ومقبول لدى العقل.

وارتباط الكرامة بالولاية أمر يشهد له الواقع التاريخي، ولا يجد له معارضة من العقل، وعلى هذا أجمع معظم عقلاء النوع الإنساني.

غير أن القضية المثارة هي فيما يتعلق بموقف المعجزة من الكرامة.

ذلك أن الكرامة أمر خارق للعادة، وهو ما دام خارقاً للعادة لا بد أن يكون موافقاً للمعجزة من هذه الجهة.

وموافقة الكرامة للمعجزة توقفنا على هاوية اللبس، ومشارف الحيرة، حين لا يتأتى لنا أن نُميز بين الكرامة والمعجزة، وبالتالي لا نستطيع أن نميز بين النبي والولي.

ولقد حاول العلماء قديماً أن يميزوا بين المعجزة وبين الكرامة، على أساس أن المعجزة صاحبها يدّعي النبوة في حين أن الكرامة صاحبها لا يدّعي النبوة.

وقد ميز بعضهم بين المعجزة والكرامة على أساس أن المعجزة لا يمكن معارضتها بخلاف الكرامة. [1]

والكرامة إذا ظهرت على يد ولي فإنه لا بد لكي يكون ولياً أن يكون متابعاً للنبي، وهو في متابعته لشرع النبي لا بد وأن يكون مخلصاً لهذه التبعية مصححاً بفعله وقوله، ما عسى أن يكون هناك من انحراف أو بدع ابتدعها العامة والدهماء بجهلهم، أو العلماء بهواهم، وميولهم.

فهؤلاء المتابعون للأنبياء يعتبرهم العامة بمثابة النموذج الذي يجب أن يُحتذى، ولا يستطيع العالم المتابع لهواه أن ينقض أفعالهم أو أقوالهم، لأنّهم أخذوا أنفسهم بالشدة على جادة الطريق وعلى هدى مستقيم.

ولا يعني هذا أننا نثبت العصمة لهؤلاء الأولياء، كما يفعل بعض جهلاء الأمة وذوي المصالح من طوائفها.

ذلك أنّ الولي لا عصمة له، فالعصمة للأنبياء، وإنما للولي أن يُخطئ، ولكن لا بد لكل خطيئة من توبة، فهو لا يصبر على صغيرة، ولا يطيق المكث على كبيرة، ولكنه إذا أخطأ عاد إلى ربه، وإذا زلت قدمه نهض ليواصل سيره على سُلم الكمال.

---

[1] . انظر: ابن تيمية: النبوات، ص 4.

يقول ابن تيمية: "وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، ولا تدل عل أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله، ومن هنا ضل كثير من الناس من النصارى وغيرهم، فإن الحواريين، وغيرهم كانت لهم كرامات كما تكون الكرامات لصالحي هذه الأمة، فظنوا أن ذلك يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء، فصاروا يوجبون موافقتهم في كل ما يقولون، وهذا غلط، فإن النبي وجب قبول كل ما يقوله لكونه نبياً، أدى النبوة، ودلت المعجزة على صدقه، والنبي معصوم، وهنا المعجزة ما دلت على النبوة، بل دلت على متابعة النبي، وصحة دين النبي فلا يلزم أن يكون هذا التابع معصوماً" . (1)

يتبين لنا من هذا الذي قدمناه أن الأولياء تظهر على أيديهم خوارق العادات، لتشهد بصدق متابعتهم للنبي وإخلاصهم للدين الذي جاء به، "ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحد قط مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكنهم يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم" (2) .

ولعله قد أتضح مما سبق ذُكره، العناصر الكافية لتحديد معنى الكرامة، في مصطلح علماء الدين، على النحو الذي يسمح لنا بتجميعها في تعريف موجز يجمع هذا الشتات المفترق من العناصر، والخواص التي تحدد معنى الكرامة، وتفرق بينها، وبين المعجزة، وغيرها مما يشابهها .

---

1 . نظر: ابن تيمية: النبوات، ص، 6 .

2 . المصدر السابق، ص، 6 .

فتعريف الكرامة على هذا النحو هي: " أمر خارق للعادة، تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح، علم بها أو لم يعلم" . [1]

وخلاصة القول: أن المعجزة هي أمر خارق للعادة، وأن العادة إنما هي عادة القانون، والنظام، فإن الكرامة تشبهها من هذه الجهة، والفرق هو في ذات النبي والولي، ومقومات شخصية كل منهما ، وفي التبعية التي ترتبط بينهما على أساس أن هناك تابع ومتبوع.

وهذا الأساس الذي ميز بين النبي، والولي هو نفسه الأساس الذي يميز بين النبي الصادق، ومدعي النبوة كذباً ، فإن الله يُظهر على يديهما الخارق للعادة وهو من نفس الجنس، لكن الفارق بين النبي، والمتنبي: هو أن الخارق يظهر على يد النبي موافق لدعواه ومُصدقاً له .

أما المتنبي الكاذب في دعواه فيأتي الخارق للعادة مُكذباً للدعوة إن جاء على يديه، فيكون ذلك إهانة له كالمسيح الدجال في آخر الزمان حين يطلب الخارق فيجده، فإن في ذلك استدراجاً له ولأتباعه.

**الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم:**

يقول الدكتور: زغلول النجار: " يحتوى القرآن الكريم على أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون، وعن بعض مكوناته وظواهره، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة تقترب

[1] . الباجوري: شرح الباجوري على الجوهرة، 73/1 .

دلالاتها من الصراحة، وهذه الآيات لم ترد من قبيل الإخبار العلمي المباشر للإنسان، وذلك لأنّ الكشف العلمي ترك لاجتهاد الإنسان وتحصيله عبر فترات زمنية طويلة، نظراً لمحدودية القدرات الإنسانية، وللطبيعة التراكمية للمعارف المكتسبة، ويؤكد ذلك أنّ تلك الآيات الكونية قد جاءت في مقام الاستدلال على عظيم القدرة الإلهية في إبداع الخلق، على أنّ الخالق المبدع سبحانه وتعالى قادر على إفناء خلقه، وعلى إعادة هذا الخلق من جديد، وهذه الآيات تحتاج إلى تفسير كما يحتاج غيرها من آيات هذا الذكر الحكيم، ومن هنا كان لزاماً أن نُوظف النافع المتاح من المعارف المكتسبة في تفسير تلك الآيات الكونية الواردة في كتاب الله.

ولما كانت المعارف المكتسبة في تطور مستمر وجب، على أمة الإسلام أن ينفر منها في كل جيل نفر من علماء المسلمين، الذين يتزودون بالأدوات اللازمة للتعرض لتفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، من مثل الإلمام باللغة العربية، ودلالات ألفاظها، وأساليب التعبير بها، وقواعدها النحوية، والبلاغية، وغير ذلك من علومها المختلفة، وبأصول الدين، وبأسباب النزول، وبالناسخ والمنسوخ، وبالمأثور من التفسير" وبجهود السابقين من كبار المفسرين، وبالقدر اللازم من العلوم المتاحة عن الكون، ومكوناته، وغير ذلك مما يحتاجه كل من يتشرف بالقيام بمثل هذه المهمة العظيمة.

وفي التفسير العلمي للآيات الكونية لا بد من الحرص على توظيف الحقائق العلمية الثابتة كلما توفرت، ولكن لما كانت العلوم الكونية لم تصل بعد إلى الجواب النهائي في كل قضية من قضايا الكون ومكوناته وظواهره، فلا نرى حرجاً من توظيف أفضل النظريات المتاحة،

وذلك لأنّ التفسير يبقى جهداً بشرياً لمحاولة فهم دلالة الآية القرآنية، لمن أصاب فيه أجران، ولمن أخطأ أجر واحد.

أما الإعجاز العلمي في القرآن الكريم فلا يجوز أن يوظف فيه إلا القطعي الثابت من الحقائق العلمية، وذلك لأنّ الإعجاز العلمي هو موقف تحد، والمتحدي لا بد وأن يكون واقفاً على أرضية صلبة، وذلك لأننا نقصد بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم هو سبق هذا الكتاب الخالد، بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، لم تكن معروفة لأحد من البشر في زمن نزوله، ولا لقرون متطاولة من بعد نزوله، ولإثبات أنّ القرآن الكريم الذي أُوحى به إلى نبي أمي ﷺ في أُمة أمية قبل أربعة عشر قرناً، يحوي على حقائق هذا الكون ما لم يتمكن الإنسان من الوصول إليه إلا منذ عقود قليلة، وبعد مجاهدات طويلة عبر عدد من القرون المتواصلة، وهذا لا يمكن لعاقل أن يتصور إمكانية حدوثه إلا بوحي من الله الخالق البارئ المصور.

ويُستثنى من هذه القاعدة آيات الخلق والإفناء والبعث بما في ذلك خلق الكون، وخلق الحياة، وخلق الإنسان لأنها من القضايا التي لم يشهدها الإنسان. يقول تعالى: ﴿ **مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** ﴾.

(سورة الكهف: الآية 51)

وعلى ذلك، فإنّ العلوم المكتسبة لا يمكن لها أن تتعدى في قضايا الخلق، والإفناء، والبعث مرحلة التنظير، وتتعدد النظريات بتعدد خلفية واضعيها، ويبقى للمسلم نور من الله الخالق متمثل في آية قرآنية صريحة أو حديث نبوي صحيح يُعينه على أن يرتقي بإحدى هذه

النظريات إلى مقام الحقيقة، فينتصر للعلم بالقرآن الكريم أو بالحديث النبوي الشريف، وليس العكس، وهذا هو المقام الوحيد من مقامات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السُنة النبوية المطهرة، الذي نضطر فيه إلى اللجوء للنظريات، لعدم توفر الحقيقة، والتي لا تتوفر إلا في وحي السماء.

وهنا لا بد من التأكيد على ضرورة الالتزام بالضوابط العديدة التي وُضعت للتعامل مع قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله وفي سُنة رسوله ﷺ.

وهنا أيضاً لا بد من التأكيد على صعوبة التعرض لقضايا الإعجاز العلمي في كتاب الله إلا من قبل المتخصصين، كلٌ في حقل تخصصه، فلا يقوى فرد واحد على معالجة كل القضايا الكونية، التي تعرض لها القرآن الكريم من خلق الكون وإفنائه، والى خلق مراحل الجنين الإنساني المتعاقبة، إلى العديد من الظواهر الكونية، إلى غير ذلك من مختلف الآيات الكونية الواردة في كتاب الله. [1]

## ويقول الدكتور عبد السلام اللوح:

لقد كشف العلم الحديث في تقدمه الدائم عن كثير من المواد وعن خصائصها، كما أطلع الإنسان على كثير من سُنن الطبيعة، بما يُمكنه من الانتفاع من المواد الطبيعية، واستغلال ظروف الطبيعة للحصول على ألوان من المتع، وضروب من الرفاه.

[1] . النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 3 / 9.

وهكذا فإنّ لكل فن من فنون العلم الحديث أخصائيين يدرسونه بدقة وموضوعية، ليميطوا اللثام عن مبادئه وقوانينه وقد دعموا دراستهم النظرية بالتجارب التطبيقية، فأثمرت جهودهم ثماراً يافعة.

وإن كان هؤلاء العلماء نسبة ضئيلة من سكان البسيطة، إلا أنّ الإنسان الموهوب استطاع أن يُنمي مواهبه وميوله فيما تنزع إليه من علوم وفنون، وبالتالي يستطيع أن يقدم من المنتجات والمخترعات ما لم يسبق إليه مما يُدهش ويعجب ويسدد له الثناء.

وبهذا فإنه لا يخفى على عامة الناس العقلاء أنّ تلك المخترعات ليست خارقة للعادة، وإنّها أمور كسبية لها قوانينها، ومبادئها، وتخضع لقواعد علمية يعرفها من تعلمها، ويتقنها من مارسها، وهي ناشئة عن معرفة بعض خصائص المادة، كالمذياع، والفيديو، والتلفاز، والكمبيوتر، وغير ذلك من المخترعات الحديثة.

وهذا بخلاف المعجزة الخارقة للعادة، فهي لا تعتمد على قوانين الطبيعة، ولا على خواص المادة، بل هي منحة من الله لرسوله، يثبت بها قدمه، ويقيم له الحجة على صدقه، لينشر رسالته التي أرسله بها.

وبذلك ندرك أنّ المعجزة تُصنع بدون السُنن الاعتيادية، فتكون خارقة لها، أما الاختراع العلمي فإنه اكتشاف لناموس إلهي طبيعي.

بهذا يكون الفرق واضحاً جلياً بين المعجزة التي تأبى الخضوع لقانون الأسباب، والمسببات المعهودة للناس، وبين الاختراع العلمي الذي يخضع لسُنن الكون، وقوانين الطبيعة، وخواص المادة. [1]

## الوحدة والتنوع:

القرآن كله وحدة واحدة، قوية متماسكة، الحرف منه وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة، والجملة آية أو جزء من الآية، والآية تُكون وحدة أكبر منها، فكل طائفة من الآيات تصبح "**ربعاً**" والأرباع فيه مميزة بعلامة في أولها وعلامة في آخرها، والربع يُكون وحدة أكبر منه، فكل أربعة أرباع تُسمى "**حزباً**" والحزب يُكون وحدة أكبر منه هي "**الجزء**" فالجزء ثمانية أرباع، أو حزبان، والجزء يُكون الوحدة الكبرى التي هي القرآن الكريم.

وكما مُيزت بدايات الآيات، ونهاياتها، وكذلك الأرباع، فقد مُيزت الأحزاب، والأجزاء كذلك، هذا هو نظام المصحف.

القرآن العظيم ثلاثون جزءاً، من ستين حزباً، من مائتين وأربعين ربعاً.

أما عدد الآيات (**6236**)، وأما سور القرآن فقد بلغت مائة وأربع عشرة سورة، تُعرف كل سورة من سوره باسم خاص تنتزع من بعض صفاتها أو الوقائع التي تحدثت عنها، وتُكون كل سورة من آيات أقلها ثلاث وأكثرها مائتين وست وثمانون آية، والسور المكونة من ثلاث آيات هي: النصر والكوثر، أما ما تكونت من مائتين وست وثمانين آية فهي سورة البقرة

[1] . اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 49.

فحسب، ونظام ترتيب الآيات في سورها نظام توقيفي لا يُصار إليه إلا بتوجيه ممن نزل عليه القرآن الكريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

ولسور القرآن الكريم ترتيبان: أحدهما نزولي، والآخر مصحفي، **فالأول** مراعى فيه إنزال الوحي ولهذا يقال إن أول ما نزل سورة "**العلق**" وآخر ما نزل سورة "**المائدة**" وهذا الترتيب منصوص عليه في مظانه من الكتب التي وضعت حول علوم القرآن.

**والآخر:** الترتيب المصحفي وهو ما نراه في كل المصاحف التي بين أيدينا من تصدير المصحف بالفاتحة أُم الكتاب، ثم البقرة ثم آل عمران ثم النساء . . . وهكذا .

ويقال: إن هذا الترتيب "المصحفي" من اجتهادات الصحابة رضي الله عنهم، إذ هو مخالف للترتيب النزولي، ولهذا تراهم ينصون قبل كل سورة بعد إعطائها رقمها بحسب الترتيب المصحفي على أنها بعد كذا مشيرين إلى الترتيب النزولي.

وسواء أكان هذا الترتيب المصحفي من اجتهادات الصحابة، أو كانوا متبعين فيه لا مبتدعين، فإنه عمل له من الحِكم والأسرار ما جعل بعض العلماء يكتبون رسائل ممتازة في تناسب السور بدءاً وختماً، باعتبار الترتيب المصحفي، محاولين في جدٍ الإشارة إلى ما يربط السورة بما قبلها وبما بعدها .

**ومن الأسس التي رُوعيت في الترتيب المصحفي أنهم بعد الفاتحة قدموا السبع الطوال وهي:**

البقرة – آل عمران – النساء – المائدة – الأنعام – الأعراف ثم التوبة وكانوا يعتبرون الأنفال والتوبة سورة واحدة لعدم الفصل بينهما ب "البسملة"، والقرآن بهذا الاعتبار مائة وثلاث عشرة سورة، ثم وضعوا "المئين" بعد السبع الطوال، والمئون هي السورة التي تزيد على مائة آية أو تقاربها .

ثم وضعوا المثاني بعد المئين وهي ما قل عنها في العدد .

ثم وضعوا المفصل بعد المثاني، والمفصل هو قصار السور، وتبدأ من سورة "ق" على أقوى الآراء، وتنتهي بسورة "الناس" وسُميت قصار السور مفصلاً لكثرة الفصل بينها بالبسملة. وقد تقسم مجموعة المفصل فيما بينها قسمين: يقال للطوال منها نسبياً "طوال المفصل" ويقال للقصار كذلك "قصار المفصل"، ومن هذا القسم ما تراه في الجزء الثلاثين من سور قصيرة جداً، قد تتكون من ثلاث آيات وهو أقل عدد بُنيت عليه السور .

وبهذا التنوع الدقيق والتقسيم المحكم لآيات القرآن العظيم، وسوره، وأجزائه، وما تحتويه من أحزاب وأرباع يسهل حفظ القرآن، كما يسهل الرجوع إليه أو الإحالة، فيقال حفظت سورة كذا، أو هذا وارد في سورة كذا في الربع الثاني من الجزء الثالث مثلاً في آية كذا منه .

فهذا التنويع والتقسيم ضربٌ من التيسير المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ . (سورة القمر: الآية 17)، ولهذا نرى الكُتاب الإسلاميين والفقهاء والمشرعين يذكرون الآية أو الآيات موضوع الاستشهاد، ثم يشيرون إلى سورتها، ورقمها في السورة حتى يمكن الرجوع إليها لمن شاء .

وهذه الدقة في التنظيم يمتاز بها كتاب الله بصورة فريدة، غير معهودة فيما سواه من كلام البشر. (1)

وبالمقارنة بين النص القرآني، ونصوص التوراة والإنجيل نجد الفارق الكبير، من جميع النواحي، اللغة، والتأثير النفسي، وحقائق الواقع والتاريخ، والتوافق النفسي والحقائق العلمية، وعدم التصادم ومقررات العلم الثابتة. ويرجع إلى ما أسلفنا الحديث عنه، من حفظ الله تعالى لكتابة العزيز، والى عدم العبث فيه، والذي صاحب الكتب الأخرى.

**يقول عفيف عبد الفتاح طبّارة:**

"لم يكن القرآن كغيره من الكتب المقدسة التي سبقته محتكراً في يد طائفة من الطوائف، حتى يتسرب إلى الذهن ظن احتمال طروء التحريف إليه قصداً أو عفواً، بل كان عاماً شائعاً بين أيدي المسلمين، أُمروا أن يتعبدوا بتلاوته في صلواتهم، وأن يحكموا به، فكيف يتصور أن يقع تحريف، ولا يدري به جمهورهم، وهم إذ ذاك جاعلوه دستورهم في كل حياتهم الدينية والاجتماعية.

ثم إن القرآن قبل أن يُجمع في زمن أبي بكر، كانت أجزاؤه المكتوبة موجودة عند الرسول، وكثير من الصحابة، وكان هؤلاء يتلونه في بيوتهم، ولما جمعه عثمان أخيراً، كان أكثر كُتابه وحُفاظه لا يزالون على قيد الحياة، فكيف يُعقل أن يتطرق إليه التحريف مع هذا" (2)

[1] . المطعني: ساعة مع القرآن العظيم، ص43.

[2] . طبّارة: روح الدين الإسلامي، ص 23.

وصدق القائل سبحانه وتعالى:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ 0 (سورة البقرة: الآية 2)

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ 0 (سورة فصلت: الآية 42)

**إن القرآن حافظ ومحفوظ:**

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . (سورة الحجر: الآية 9)

من المعلوم أن لكل مادة في الوجود درجة احتراق تحترق إذا وصلت حرارتها إليها، فإذا زادت الدرجة عنها، كانت النتيجة تغيراً شاملاً وكاملاً في طبيعة المادة، ومن مشاهدنا اليومية أن الورق، كل الورق الذي نستعمله في حياتنا اليومية هو أسرع المواد احتراقاً، والخشب أبطأ منه، أما الحديد فهو المادة المتداولة والتي تتحمل الحرارة فلا تتأثر بها لدرجات كبيرة، إلا تحت ظروف حرارية شديدة وقاسية، ولا شك أنه إذا تعرض الورق، أي ورق، والحديد، أي حديد إلى درجة حرارة يشتعل معها الورق، فإن الحديد لا يتأثر بها على وجه الإطلاق، فنحن إذا ما قربنا عوداً مشتعلاً من الكبريت إلى ورقة اشتعلت فوراً، وأصبحت رماداً متطايراً بينما لو قربنا عوداً مماثلاً لقطعة من الحديد، ما تأثرت به، والعكس إذا قربنا ناراً إلى حديد فسخن بها، ولو إلى أدنى درجة، فإن هذه النار تكون كافية تماماً لحرق الورق أياً كان نوعه، والخشب، و الغزل، والمطاط، وغيرها من المواد، فهل يمكن للعقل أن يتصور أن ناراً قد أحرقت الحديد فانصهر وألهبت الخشب فانعدم، وأصابت البشر فتفحم، لم تستطع هذه النار أن تصيب ورقاً

من النوع العادي المتداول، والذي يُطبع عليه المطبوعات بأي أثر، لا يوجد قطعاً لما حدث أي تفسير، ولا يمكن أن يكون له أي تبرير إلا أن تكون آية طارئة، أرادها الله سبحانه وتعالى للبشر حتى يتعظوا، وللناس حتى يؤمنوا.

لقد تحطمت إحدى الطائرات المصرية في أوائل عام 1977م في بانكوك، وشبت فيها النار، واحترقت حتى انصهر الحديد، كل حديد، وأي حديد في الطائرة، وتفحم كل من كانوا فيها، وما نجا من الطائرة شيء إلا المصحف الشريف، الذي لم تحرقه الحرارة التي أصهرت الحديد، ولم تصبه النار التي دمرت كل ما في الطائرة وما عليها، فكان أمراً عجيباً، وشيئاً غريباً، ولقد نشرت جريدة "الأهرام" في صدر صفحتها بالعدد الصادر في 14 يناير 1977م **"القرآن الكريم، كتاب الله، الشيء الوحيد الذي نجا من الحادث الأليم الذي صهر الحديد، وقتل كل من كانوا في الطائرة المصرية التي تحطمت في بانكوك"**.

نعم إن القرآن محفوظ، محفوظ من العبث ومن الضياع، ومن التحريف، ومن التعديل، وهذه من الآيات الدائمة، الدائبة، وقد حفظه الله من هذا الحادث، من النار والحريق، لتكون آية طارئة، طارقة.

وتحت عنوان: ﴿ويحميه كتاب الله﴾ كتب الأستاذ **"عبده مباشر"** المحرر العسكري في جريدة الأهرام بعددها الصادر بتاريخ 29 أغسطس 1977م **ما نصه:**

**"ليس غريباً أن يحدث ذلك في الميدان، فميادين المعارك التي خاضها المسلمون سبق أن شهدت الكثير من هذه الأحداث القريبة من المعجزات".**

والحكاية قد حدثت أكثر من مرة، خلال عمليات أكتوبر 1973م، وهي أن واحداً من الجنود توجه إلى ميدان القتال وهو يحمل كتاب الله في جيب سترته العلوي، واستمر الرجل يقاتل ضمن وحدته، وتقدم لمواجهة الخطر مع رفاق السلاح، غير هياب مثلهم جميعاً .

وتتحول مشاعرهم إلى جحيم من النيران يصبونها فوق رؤوس أعدائهم، فيتراجع الأعداء ويتقدمون هم من فوق أرض فرشتها جثث ودماء أفراد العدو، ويقاوم العدو بشراسة وباندفاع من لا يصدق ما يحدث، ويتعرض الرجال لنيران من كل سلاح معاد، مدفعية بعيدة المدى من عيار 175 مليمتراً ومداها 27.5 كيلومتر، مدفع دبابات عيار 105 مليمتر، نيران أسلحة صغيرة، وقذائف طائرات.

وتنفجر قذيفة بالقرب من رجلنا، وتصيبه شظية وزنها يتجاوز الكيلو جرام، وتصطدم الشظية بجيب السترة الذي يحمل فيه كتاب الله، وتُكتب للرجل النجاة، هذه الشظية قادرة على قتل فيل، ولكن الذي حدث هو فقط حريق موضعي في قماش السترة بالجيب وحوله، وحريق طفيف بالطرف العلوي لكتاب الله. أما كلمات الله فلم يمسها أي تأثير، ويفيق الرجل من الموقف، ويتحسس نفسه، إنه سليم ويتحسس منطقة الإصابة، ليست هناك دماء، ويخرج المصحف من جيبه. وبعد أن يتبين الحقيقة يسجد لله ممتلئاً بالإيمان والشكر، ويشاركه السجود كل من شهد الموقف من رفاق السلاح.

إن المثيل لما حدث في هذه الواقعة، قد تكرر في مختلف العصور، والأجيال، آلاف المرات، ومازال يتكرر كل يوم هنا وهناك، وسيظل كذلك، يتكرر بالعشرات، فكم من

رصاصة كانت متجهة إلى القلب، وكان يحميه المصحف في جيب السترة فتنحرف الرصاصة، عندما تلامس ما فوق جلدة المصحف، إلى بعيد، حيث تكتب السلامة لحامله. [1]

**وحول هذا الموضوع يقول الشيخ الشعراوي:**

**﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**، لماذا.

**أولاً**: لأن القرآن معجزة، وكونه معجزة لا بد أن يبقى بهذا النص، وإلا ضاع الإعجاز.

**وثانياً**: لأن الله جرب عباده في الحفاظ على الكتب السابقة فلم يحفظوها وحرفوها.

هنا نلاحظ شيئاً هاماً يبين لنا أن معجزة القرآن محفوظة من الله سبحانه وتعالى، لو أخذنا خطين، خط تطبيق القرآن والعمل بتعاليمه، وخط المحافظة على القرآن، نرى أن تطبيق القرآن والعمل به كلما مر الزمن قل وضعف، أما المحافظة على القرآن، فكلما مر الزمن زاد بشكل عجيب، حتى أنك ترى القرآن الآن في كل مكتب، وفي السيارة، وعلى صدور السيدات، وفي المنازل، وفي كل مكان، وتجد تجميلاً في القرآن من أناس لا يؤمنون به، فترى رجلاً ألمانياً مثلاً يكتب القرآن كله في صفحة واحدة، ويخرجه بشكل جميل وهو ربما لم يقرأ القرآن في حياته، وتجد اليابان مثلاً تتفنن في طبع المصاحف الجميلة، فإذا سألت لماذا لا

---

[1] . نوفل: صنع الله، ص 101.

يفعلون ذلك في الكتب الأخرى، تقول لك إنهم مسخرون لذلك، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحفظ القرآن، وكل هذا الحفظ الذي تراه هو من عمل الله، وليس من عمل الإنسان، وأنت حين ترى القرآن في مكتب، أو سيارة، أو منزل، وتسأل صاحب المنزل، أو السيارة، أو المكتب، هل تعمل بهذا القرآن، هل تؤدى الصلاة كما يجب، يقول لك لا، إذن لماذا تحتفظ بالقرآن في منزلك دون أن تعمل به؟، فلا يستطيع أن يجيب، أو يقول لك إنه بركة.

ومن هنا فإن غفلتنا عن تعاليم القرآن لسلوك في الحياة لا تتمشى مع ازدياد الحفاظ على القرآن الكريم، أحياناً تجد غير المسلم يحافظ على القرآن ويحمله، وأحياناً تجد من لا يطبق القرآن يقتني أكبر عدد من المصاحف ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أن الذي يحفظ القرآن هو الله، وأنه كلما نقص خط العمل بالقرآن ازداد خط الحفاظ عليه، لأن العباد هم المكلفون بالعمل، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحفظه.

**القرآن منهج للحياة:**

معجزة القرآن تختلف أيضاً عن معجزات الرسل الأخرى، إنه لا تُوجد قضية تمس حياة البشر إلا ويوجد في منهج الله سبحانه وتعالى ما يعالج هذه القضية، نحن نقول يعالج، لأن التشريعات عندما تأتي تعالج واقعاً موجوداً في المجتمع وفساداً انتشر، ومن هنا فإن القرآن قد تعرض لقضايا الكون جميعها وأوجد لها العلاج، وأوجد لها الشفاء، والذي يدّعيه البعض أن منهج الله لا يُعالج قضايا العصر، دليل على أنهم لم يدرسوا هذا المنهج، ولم يتعمقوا فيه، فما من قضية أساسية في المجتمع إلا ويُعالجها القرآن الكريم، ولكن هنا يقع بعض اللبس، فقد يقول

بعض الناس، إن القرآن مثلاً لا يعالج زيادة إنتاج الأرض أو الاختراعات الحديثة إلى آخر هذا الكلام، والذي يجب أن يعرفه الناس جميعاً أن القرآن هو منهج عبادة، ولكنه حينما يأتي ليعالج، ولا يعالج الخصوصيات، وإنما يضع المبدأ، هو حين يطلب منا أن ننقب في الأرض ونبحث عن آيات الله، وأن نتعلم من أمور الدنيا، وأن نعمل وننتج، ونعمر الأرض، وإنما هو يطلب منا لو اتبعناه لاستطعنا أن نصل إلى أكبر تقدم يمكن أن يحققه بشر، إذن المبدأ موجود في ضرورة البحث في الكون، ومواصلة البحث والدراسة، ومن يبحث ويدرس، وفي قلبه إيمان بالله وشعور بعظمة الله وقدرته يستطيع أن يحقق الكثير، والكثير جداً، والمبدأ هو أن نزرع ونعمر ونكشف عن آيات الله فيها، فإذا تقاعسنا عن هذا كله، وإذا لم نفعل ذلك، فلا يمكن أن نستغرب، أو أن نتعجب لأن غيرنا من الأمم قد تقدم علينا، فنحن تركنا منهج الله في العمل، فلا بد أن يتركنا قانون الله في النتيجة، وهذا هو الجمال في الحياة، فلا يمكن أبداً أن يكون هناك جمال في الحياة، إذا كان الطالب المجد، والطالب الذي لا يقرأ كتاباً في حياته كلاهما ينجح، ولا يمكن أن يكون هناك جمال في الحياة إذا كان الإنسان الذي يحرث الأرض ويعتني بها ويسقيها ويعالجها من الآفات، والإنسان الذي يترك الأرض ولا يعمل فيها شيئاً، بل يهملها تماماً، كلاهما يجني نفس المحصول، إذا حدث هذا فإن الجمال في الحياة يختفي، ويُصبح كل شيء قبيحاً، فلا تجد طالباً ينبغ، ولا عالماً يخترع، ولا إنساناً يُضيف إلى الحياة شيئاً، ولا مدينة تبنى ما دام من يعمل ومن لا يعمل سيحصلان على نفس النتيجة، ويحققان نفس

الشـيء، ولكن الجمال في الحياة في تناسب النتيجة مع العمل، وعن هذا يتحدث القرآن في الدنيا والآخرة. [1]

1 . انظر الشعراوي: معجزة القرآن، ص 28/1 وما بعدها بتصرف.

# الفصل الأول

# من معجزات الكون في القرآن الكريم

حديثي في هذا الفصل عن بعض مظاهر الكون التي ورد عنها إشارات في كتاب

الله،

وعن تحليل هذه الآيات، وبيان أوجه الإعجاز فيها،

محاولاً الإلمام قدر الاستطاعة، والإمكان وبيان عظيم قدرة الله،

والكشف عن إعجاز خلقه، وإبداعه.

**هذا الكــون:**

**يقول تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ .** (سورة يونس: الآية 10)

تبعد أرضنا التي نعيش عليها عن الشمس التي تبلغ الحرارة على سطحها 12 ألف درجة فهرنهيت، بمقدار 92 مليوناً ونصف مليون ميل، وتبعد الأرض عن القمر بمقدار 240 ألف ميل، وهذه الأبعاد هي التي تكفي لتهيئة البيئة الصالحة للحياة بالصورة التي نعرفها على الأرض.

وتدور الأرض على محورها بسرعة ألف ميل في الساعة، أي ما يعادل مرة كل أربع وعشرين ساعة، ولو قل معدل دورانها عن ذلك لطال النهار بما قد يؤثر في النبات والأحياء صيفاً، وطال الليل بما قد تتجمد بسببه السوائل شتاءً، وبذلك تقل مسببات الحياة والتي لو زادت لانعدمت شيئاً فشيئاً.

وإذا زاد سُمك قشرة الأرض عما هي عليه قليلاً، لنقص الأكسجين وقلت فرص الحياة، فإذا فرضنا أن سمك القشرة الأرضية زاد بمقدار عشرة أقدام، لانعدمت مقومات الحياة لانعدام الأكسجين، هذا الأكسجين الذي إذا زاد زيادة طفيفة، لَسببّ فناء العالم بما يُسببه من اختلال في كثافة الهواء، فتَتهاوى الكواكب والأجرام. [1]

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، 21.

**أصل الكــون:**

قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾ . (سورة الأنبياء: الآية 30)

**اشتملت هذه الآية الكريمة على حقيقتين علميتين، أثبتها العلم الحديث:**

**الحقيقة الأولى:** ما أثبته علم الفلك الحديث بأن السماوات والأرض كانتا متصلتين، كتلة واحدة، ثم وقع الانفصال بينهما، فتكونت السماوات التي تظلنا، والأرض التي تقلنا، وهذه الكتلة قبل انفصالها كانت غازية ذات ذرات أو جزئيات، وهي المُبيّنة في قوله تعالى:

﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ . (سورة فصلت: الآية 11)

فالدخان عموماً يتكون من قوام غازي تعلق به جزيئات دقيقة، وقد أثبت العلماء أن مادة الكون الأولى هي الأيدروجين، خُلقت ومازالت تُخلق في الوجود من عدم مطلق، وبطريقة لا يمكن للعلم أن يعرف عنها شيئاً، أو يدري بظروفها، أو يعلم بمكانها، وهذا يدعونا إلى الاعتراف بفكرة الخلق.

ولذلك نجد الكون في توسع مستمر، وهي حقيقة علمية ثابتة، وقد قُدّر هذا التمدد بنحو خمسة أميال ومائة ميل في الثانية لكل بُعد قدره مليون سنة ضوئية، وأن حجم الفضاء العالمي الآن يبلغ عشرة أمثال حجمه منذ بدأ يتمدد. ويُشبه العلماء هذا التمدد بالبالون الذي

يزداد حجماً كلما ازداد هواءً، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ . (سورة الذاريات: الآية 47)

**الحقيقة الثانية:** أشارت الآية إلى حقيقة علمية أخرى، وهي أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية، وهي وحدة البناء في كل كائن حي، نباتاً كان أو حيواناً، وهو لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء، وهو ضروري لقيام كل عضو بوظائفه، وبدون هذا الماء لا تتوفر مظاهر الحياة، ولا مقوماتها . [1]

**وحول موضوع اتساع الكون يُحدثنا الأستاذ عبد الرزاق نوفل قائلاً:**

يقول العالم "بليفن" في كتابه "العلم ينظر إلى السماء": إن الكون أرحب وأعظم مما كنا نتخيله، وأن الأجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بعيداً بسرعة مخيفة، وقد انتهى رأي العلماء المتخصصون في الفلك إلى أن مجموعتنا النجمية تشمل بليون من النجوم تقريباً، ويظن كثير من الناس أن ما بين النجوم فضاء تام، والحقيقة أنه ممتلئ بالغازات والمواد المختلفة و في السماء سحب غازية سابحة في الفضاء يبلغ قطر كل منها نحواً من ستة آلاف مليون ميل، والشمس والكواكب السيارة التي تدور حولها جميعاً حديثة العمر بحسب التقدير الفلكي، فإن الكواكب السيارة لا يزيد عمرها كثيراً عن ثلاثة ألاف مليون من السنين.

ويقول "بليفن" كذلك: إن الكون كله بنجومه المختلفة الأحجام التي لا حصر لها، والتي تندفع في جميع الاتجاهات، كأنها شظايا قنبلة متفجرة، صورة لا يكاد المرء يتخيلها، حتى

---

1 . اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 167 .

يدركه البهر وتنقطع أنفاسه، ولكن يبدو أن الأجدر بأن الذي يُبهر ويقطع الأنفاس هو رؤية هذا الكائن البشري الضئيل الذي يعيش على شظية من شظايا نجم صغير في زاوية حقيرة من زوايا مجرة لا تختلف شيئاً عن الملايين من أمثالها في هذا الكون، هذا الكائن يجرُؤ على أن يسمو ببصره إلى أطراف الفضاء يجرؤ فيتحدى، ثم يجرؤ فيحاول أن يعرف الكون. [1]

**عجائب خلق الله:**

قال تعالى: ﴿ **قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾. (سورة يونس: الآية 101)

الإنسان حينما ينظر إلى السماء ليتأمل ما فيها، دون الخوض فيما لا يصل إليه، فإن عينه أو عدسات الرصد للسماء تقع على الشمس والقمر والنجوم، والكواكب، وهي آيات كبرى من آيات الله الدالات على كمال قدرته الباهرة، التي أُودعت هذه المخلوقات تدبيراً متقناً يقوم على قوانين محكمة يسير كل شيء بمقتضاها، ومقتضى الحكمة الإلهية بحيث تتجلى دقة التقدير في تنسيق التكوين والحركة، بما يملأ القلب روعة ودهشة. [2]

**ومن عجائب خلق الله:**

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ** ﴾. (سورة النور: الآية 43)

---

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، 23.

[2] . صادق: المشاهد في القرآن الكريم، 27.

هذه الآية لها علاقة بكيفية تكون السحب، والتأليف بينها، ونزول الماء منها وما يتبع ذلك من رعد وبرق.

**يقول الدكتور: محمد جمال الدين الفندي:**

تثير هذه الآية الكريمة ست قضايا علمية هامة لا يعرف أحدٌ منها شيئاً سوى المتخصصين في دراسة طبيعة السحب، وإني لتحدى من يدّعي غير ذلك، والآية كلها إعجاز علمي أخاذ يبرهن على أنها كلام الخالق العليم، وليس من عند الرسول الكريم.

فالسحاب هو الجسم المسخر لكي يجود بالمطر، وهو يتكون بتكاثف أبخرة المياه بفعل التبريد الذاتي لتعطي مجموعات ضخمة من نقط الماء المختلفة الحجم أو بلورات الثلج، ومن هذه السحب ما هو قابل للنمو أو التراكم في الاتجاه الرأسي مع تيارات الهواء الصاعد، ولهذا تُعرف بالركامية، ومنها ما ينجم عن رفع طبقة الهواء بأكملها رفعاً تدريجياً فتعطي طبقة متصلة من السحب، وتهبط مكونات هذه السحب تدريجياً تحت تأثير جذب الأرض لها بسرعات تختلف باختلاف حجوم هذه المكونات، إلا أن تيارات الهواء الصاعد التي يحدث فيها التكاثف تعمل على حمل هذه المكونات ضد الجاذبية الأرضية، ويبدأ التكاثف عادة في الهواء الصاعد عند مستوى أفقي معين ، هو مستوى التكاثف الذي يُحدد قواعد السحب .

أما الورق أو المطر، فهو نقط من الماء أو بلورات متميعة من الثلج، أو منهما معاً، كبرت حجمها وازدادت أوزانها، فراحت تتساقط من السحب، ويشتد سقوط المطر حيث تضعف التيارات الصاعدة أو حيث تتولد التيارات الهابطة.

وتصف الآية الكريمة بدقة معجزة تكوين السحابة الركامية الممطرة، بأنها تتألف في الأصل من وحدات أساسية وهي حقيقة علمية لم يتوصل إليها العلماء إلا منذ عشرات السنين فقط.

فهذه السحب الضخمة إنما تتألف من وحدات صغيرة يتم تجمع كل اثنتين أو أكثر منها لتكون السحابة الركامية التي تنمو رأسياً أو تصير كالجبال كما تنص الآية الكريمة.

ولا يقف الإعجاز العلمي للآية السابقة عند هذا الحد، بل نجدها تربط بين البرد والبرق، وقد دلت التجارب العلمية على أن المكونات الثلجية عندما تنمو أو تنصهر تكتسب شحنات كهربائية، وتشير الآية إلى أهم أخطار البرق وهو الذهاب بالبصر، حيث تبلغ ومضات البرق في الدقيقة 40 ومضة أو شرارة هائلة مما يسبب فقد البصر. [1]

## مَنْ يسبق مَنْ:

قال تعالى: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾. (سورة يس: الآية 36)

والحديث هنا عن قوانين الكون، لأنهما كما قال العلماء يتحركان في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً، إنّ هذه حقيقة علمية ظهرت في السنوات الأخيرة، وذُكرها القرآن منذ أربعة عشر قرناً، ولكن ما معنى "ولا الليل سابق النهار " المعنى هنا نفي شيء موجود غير صحيح، يريد الله سبحانه وتعالى أن يصححه، يريد أن يُزيل هذا الواقع الخاطئ، العرب كانوا

[1] . الفندي: القرآن والعلم، 128.

يقولون أن الليل يسبق النهار، واليوم عند العرب يبدأ بغروب الشمس بمعنى أن رمضان يثبت بعد غروب شمس آخر يوم من شعبان، والعيد يثبت بعد غروب شمس آخر يوم في رمضان، إذا كان العرب يقولون أن الليل يسبق النهار، فمعنى ذلك أن النهار لا يسبق الليل.

**إذن وجدت حقيقتان:** الليل لا يسبق النهار والنهار لا يسبق الليل، النهار لا يسبق الليل تركها الله ولم يتعرض لها لأنها حقيقة ولكنه جاء إلى كلمة أن الليل يسبق النهار ورد عليهم **بقوله تعالى: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ .** (سورة يس: الآية 40)، إذن وجدت عندنا حقيقتان، لا النهار يسبق الليل، ولا الليل يسبق النهار، لا النهار يسبق الليل حقيقة كانت موجودة ولم يتعرض لها القرآن، لأنها حقيقة، لا الليل يسبق النهار خطأ كان موجوداً فصححه الله سبحانه وتعالى بقوله "ولا الليل سابق النهار" إذن لا النهار يسبق الليل ولا الليل يسبق النهار، معنى ذلك أن الليل والنهار يوجدان معاً في وقت واحد على الأرض، لأن النهار لا يسبق الليل والليل لا يسبق النهار، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت الأرض كروية. [1]

**بناء عظيم بلا عمد:**

ومنها قوله تعالى: **﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾0** (سورة الرعد: الآية 2)

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن، 91/1.

النظرية العلمية لهذه الآية، أنه كلما نظر الإنسان إلى نجوم السماء وكواكبها يراها متماسكة، وثابتة في موضعها، وهي سابحة في أفلاكها، طبقاً لنظام بديع لا يحيد عنه أبداً، وقد فسّر العلم هذه القوة الكونية التي تحفظ السماء والأرض والكون من التفكك وتصونه من الاضطراب والخلل بأنها قوة الجاذبية، التي اكتشفها العالم الانجليزي "نيوتن"، ففي أوائل القرن التاسع عشر عندما لاحظ يوماً أن تفاحة سقطت عن شجرتها على الأرض، فأخذ يفكر في أسباب سقوطها هي وغيرها من الأجسام التي تقع تلقائياً على الأرض، هداه تفكيره العميق إلى الوصول إلى استنباط نظرية الجاذبية، و استطاع أن يضع بها قوانين دقيقة، أثبتت صحتها بالتجارب العلمية، ووضع بما لا يقبل الشك هناك علاقة بين كل الأجسام المتجاذبة، وبين المسافات التي بينها، وقد ساعد قانون الجاذبية علماء الفلك في فهم الكثير من الحقائق الكونية التي كانت مجهولة تماماً من قبل.

يُؤخذ من الآية حقيقة علمية أخرى وهي أن الشمس والقمر غير مستقرين، فهما يجريان لأجل مقدر لهما، ويؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى:

**﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾** . (سورة يس: الآية 38– 40)

كان المعتقد قديماً أن الشمس ثابتة فجاء بعض علماء النصارى وقالوا إن الشمس تتحرك، وحكمت عليهم الكنيسة بالإعدام لاعتبار أن كلامهم كفر في نظرهم، وتقدمت

الأجيال، وآخر ما توصل إليه العلم الحديث أن الشمس تجرى بحركة دورية لولبية نحو نجمة تدعى بالنجم الواقع.

أما عن الأعمدة التي لا نراها والتي يجوز أن نراها هي أنابيب في مجال الجاذبية أو في عالم الأثير.

أما القبة الزرقاء التي تبدو واضحة فوق الرؤوس أثناء النهار فهي لا وجود لها، ولا تعدو أن تكون إحدى ظواهر الضوء التي تحدث في جو الأرض عندما تتشتت فيه أشعة الشمس وتتناثر كما تتناثر أمواج البحر الصغيرة على الصخور قرب الشاطئ، وترتد في كل اتجاه، فالمعروف علمياً أن أغلب الأشعة التي ترسلها الشمس تعاني ظاهرة التشتت هذه في طبقات الجو ، وذلك بواسطة جزئيات غازات الجو وبخار الماء العالق فيه، وكذلك الجسيمات الصغيرة التي تحملها تيارات الهواء المختلفة، ولما كانت الموجات الزرقاء أو موجات الضوء الأزرق، في حزمة الإشعاع الشمسي هي أغزر الطاقات التي ترسلها تبعاً لطبيعة جوها ودرجة حرارة سطحها الخارجي، كما أن هذه الموجات هي أصغر موجات الضوء طولاً، فإنها بمجرد دخولها جو الأرض تتشتت في جميع أركانه وتغمره بكميات وفيرة من اللون الأزرق، بحيث يبدو الجو كقبة زرقاء من فوق رؤوسنا، رغم أنه لا وجود لهذه القبة في صورة جسم مادي أو سماء صلبة كما يتصور الكثير من الناس، ولا تعدو هذه القبة في حقيقة أمرها كونها ظاهرة ضوئية. [1]

[1] . الفندي: القرآن والعلم، 229.

**الليل والنهار:**

قوله تعالى: ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا** ﴾. (سورة الشمس: 1 ـ 4)

يتلخص معني الآيات في أن النهار هو الذي يظهر الشمس، وأن الليل هو الذي يخفيها، فأي دقة في التعبير أكثر إحكاماً من هذه، فما هو ثابت أن حركة الشمس اليومية من الشرق إلى الغرب إنما هي حركة ظاهرية سببها دوران الأرض، لا تحرك الشمس، فالشمس بالنسبة لنا ثابتة لا تتحرك، إذ هي لا تدور حول الأرض، وبذلك فإن الليل والنهار لا ينتجان من دورانها حولنا حسب ما كان القدماء يعتقدون، وإنما دوران الأرض حول نفسها هو الذي ينتج عنه أن يتعرض إحدى نصفيها لضوء الشمس فيصير نهاراً ويبتعد النصف الآخر عن مدى الضوء فيصير ليلاً، فدوران الأرض إذن هو الذي يُظهر الشمس فيكون نهاراً وهو الذي يُخفيها فيكون ليلاً، وهذا هو نص القرآن الكريم، فلو كان من عند بشر كما يدّعون لقال إن الشمس هي التي تسبب النهار بظهورها لأن النهار هو الذي يظهرها، ويقال إنها تختفي فتسبب الليل لأن الليل هو الذي يخفيها. [1]

**القمر وظاهرة المد والجزر:**

يقرر العلم أن الإنسان قد لاحظ منذ قديم الزمان، وجود مد، وهو ارتفاع سطح الماء في المحيطات والبحار، يعقبه جزر وهو انحسار المياه وانخفاضها إلى ما كانت عليه قبل المد،

---

1. اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 171.

ولم يستطع أن يجد التعليل لما يرى، أو التفسير لما يشاهد، إلى أن اكتشف نيوتن قانون الجاذبية منذ ثلاثة قرون، وقال أنه يمكن تفسير حدوث المد والجزر بوجود قوة جذب من القمر، وقوة جذب أخرى من الشمس، إلا أنها أقل قليلاً عن نصف قوة جذب القمر، وإن القمر يجذب كل جسم من جسيمات الماء على الأرض، وأنه بدوران الأرض حول محورها، ولأنها تتم دورة كاملة كل يوم وليلة، فإن كل نقطة عليها تقع تحت القمر مرتين كل يوم، فإنه يحدث مدان وجزران كل يوم، وإذا كان القمر ثابتاً فإن الزمن بين كل مدين يكون اثنتي عشرة ساعة تماماً، ولكن لأن القمر متحرك فإن الزمن بين المدين يبلغ حوالي اثنتي عشرة ساعة وخمساً وعشرين دقيقة.

وهكذا ارتاح العالَم إلى هذا التفسير، واطمأن العلماء إلى هذا التبرير، غير أنه مازالت هناك أسئلة وشواهد، تجعل هذا القول في حاجة إلى مزيد من البحث فيه، أو الرجوع عنه، فمثلاً يلاحظ أن حركة المد والجزر تتبع في شدتها أوجه القمر، فيبلغ ارتفاع المد أعلاه حين يكون القمر بدراً، أي في أوج نوره، وأيضاً يبلغ المد نفس الارتفاع حين يكون القمر في المحاق، أي أقل في نوره، ولا شك أن ذلك يُناقض بعضه بعضاً، فكيف يتفق البدر والمحاق.

ثم لماذا إذا كان المد يرجع إلى جاذبية القمر، تختلف درجات ارتفاع المد على سطح البحار المختلفة، فبينما يكون ارتفاع المد في متوسطه في البحر الأبيض المتوسط هو حوالي ثلث متر، فإنه يصل إلى حوالي عشرين مترا في خليج "فنداي"، بل كيف يختلف ارتفاع المد في المجرى المائي الواحد، فمثلاً في القطاع الشمالي لقناة السويس يصل المد إلى نصف متر، بينما

يبلغ في القطاع الجنوبي خمسة أضعاف هذا الارتفاع، إن ذلك يوجه النظر إلى دراسة في مجالات أخرى، لعله يصل إلى تبرير آخر أو تفسير مغاير.

وأيضاً كيف تستطيع الجاذبية (جاذبية القمر) جذب الماء وهو مادة ثقيلة نوعاً على ارتفاع عشرين متراً فوق سطح البحر، ولا تستطيع أن ترفع مثلاً الهواء على الشاطئ أو التراب أو أوراق الأشجار المتساقطة أو أي مادة أخف من الماء، فلو أن الأمر هو الجاذبية لصاحب المد جذب لكل ما هو في ثقل الماء أو أخف إلى ارتفاع يماثل ارتفاع الموج أو أزيد، وهذا لا يحدث.

ولقد سجل العلم أنه صدر عن بركان "كاراكتوه " الموجود في جزر الهند الشرقية سنة 1883م صوت أعلى من أي صوت لانفجار ذري أو هيدروجيني عُرف حتى الآن، وكان من نتيجة هذا الصوت أن حدث مد في البحار ارتفعت به الأمواج إلى أكثر من ثلاثين متراً، كيف يرفع الصوت الماء؟ وكيف يُحدث به مداً؟ إلى هذا الحد.

ومما يزيد في عمق سر المد والجزر، ما وصل إليه العلم أخيراً من وجود موجات مدية، تخالف موجات المد والجزر، وفيها تحدث في البحار موجة عالية علواً غير عادي ولا تنشأ عن بركان أو عن زلازل، ولكنها هي التي تسبب الزلازل، فلقد سببت إحدى الموجات المدية التي حدثت عام 1946م زلزالاً في قاع المحيط قرب جزائر "الوشيمان" وسارت مائتي ميل إلى أن وصلت إلى جزر "هاواي" في أقل من بضع ساعات، وكان من آثارها أن أُبيدت القرى وتحطمت المدن، وانتزعت الجسور والكباري، ووقف العلم عاجزاً أمام سبب هذه الموجات

المدية، لا يستطيع أن ينسبها إلى جاذبية، أو بركان، أو زلزال، لأنها هي التي تتسبب في الزلازل، وتثير البراكين، ولا تتقيد بأي جاذبية، وهكذا سيظل المد، والجزر، والمدية من الموجات . . آيات . . وآيات. [1]

ومن الأمور العجيبة ما أثبتته الدراسات الطبية أن لضوء القمر تأثيراً مباشراً على حياة الإنسان، فقد أعلن الدكتور "أويونديوان" من مركز الأبحاث الطبية التابع للطيران الأمريكي، أنه أجرى تجارب على عدد من النساء، وتبين أن لضوء القمر تأثير على انتظام الدورة الشهرية، وأن العلاقة بين دورة القمر الشهرية والدورة الشهرية للمرأة هي أن طول كل منهما 29.5 يوماً، وأن المرأة إذا لم تتعرض لضوء القمر فإن دورتها ترتبك إلى حد ما . [2]

## اتساع السماء:

قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ . (سورة الذاريات: الآية 47) .

## تشير هذه الآية الكريمة إلى معنيين واضحين:

**الأول:** أن بناء الكون المرئي أو المادي المترامي الأطراف، بما فيه من بلايين المجرات التي تمثل وحدات الكون العظمى، وما في كل مجرة من بلايين الشموس والنجوم، وما قد يتبع كل شمس أو نجم من كواكب وأقمار، كل ذلك إلى جانب ما يعج به الفضاء من طاقات وإشعاعات مختلفة القدر والصفات، قد اتسعت له مقدرة الخالق عز وجل، ولديه أكثر وأكثر،

[1] . نوفل: صنع الله، 39.

[2] . نوفل: السماء وأهل السماء، 60.

يضاف إلى ذلك إنا لموسعون السماء حين خلقناها ، أي أننا خلقنا الكون ابتداء على اتساع لا نهاية له، ولذلك فهو يتسع لكل المجرات مهما تباعدت عن بعضها البعض .

ومن الوجهة العلمية لم يثبت حجم الكون على حال منذ راح العلماء يقيسون أبعاده، ولعل الآية الكريمة تشير إلى ذلك أيضاً .

**والمعنى الثاني:** الذي يمكن أن نخرج به من هذه الآية إنما يتضمن الحديث عن اتساع حدود الكون المادي بمضي الوقت، فمن المشاهد أن المجرات تتباعد عنا بسرعات متزايدة، وبذلك يتسع حجم الكون كما نراه، وتؤيد بعض النظريات الرياضية الحديثة مثل النسبية هذا القول . [1]

وأنظر إلى الصياغة المصدرية الراقية باسم الفاعل "لموسعون" التي تشير إلى اتساع الكون منذ نشأته والى استمرارية هذا الاتساع إلى وقتنا الراهن، والى أن يشاء الله تعالى . هذا الاتساع دفع العلماء إلى القول الصحيح بأننا إذا عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن فلا بد وأن تلتقي مادة الكون المنظور في جرم واحد .

هذا الجرم لابد وأن تكون كل الكثافة والطاقة فيه عالية للغاية "توقف عندها كل قوانين الفيزياء المعروفة" تجعله في حالة حرجة، ينفجر هذا الجرم بأمر من الله تعالى ويتحول إلى غلالة من الدخان، يخلق من هذا الدخان الأرض وباقي أجرام السماء .

[1] . الفندي: القرآن والعلم، 171 .

فالكون يتسع الآن، وإذا أردنا أن نعرف البداية فلنرجع بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن إلى نقطة البداية حيث ينتهي بنا الأمر إلى الجرم الأولى، وبه كثافة عالية تجعله في حالة حرجة ينفجر هذا الجرم ويتحول إلى غلالة من الدخان يخلق منه دوامات تجمع كمًا من المادة والطاقة حول مركز الجاذبية، ويظل هذا الكم من المادة والطاقة في التكدس على ذاته حتى يتشكل بقدرة الله تعالى على هيئة أجرام السماء المختلفة.

هذه أكثر النظريات قبولاً عن نشأة الكون، وتسمى "نظرية الانفجار العظيم" ومما يدعمها اتساع الكون الآن، ومما يدعمها كذلك درجة الحرارة الثابتة على أطراف الجزء المدرك من الكون، والتوزيع الحالي للعناصر المختلفة في صفحة الجزء المدرك من الكون، وتصوير الدخان الكوني على أطراف هذا الجزء المدرك.

والقرآن يصف هذه الحقيقة، بقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ . (سورة الأنبياء: الآية 30)

والرتق في اللغة بعكس الفتق، فالرتق هو الجمع والضم والتكوين، وهو وصف دقيق للحالة التي كان عليها الكون في الجرم الابتدائي الذي سبق عملية الانفجار العظيم، أو هو عملية الرجوع بالاتساع إلى الوراء مع الزمن "مرحلة الرتق".

والفتق هو الانفجار والانتشار والانفصال مرحلة الفتق وما يتبعها من توسع للكون" هذه النظرية نظرية الانفجار الكوني العظيم " التي لا يستطيع العلم أن يصعد بها إلى مقام الحقيقة، تبقى عند حد النظرية، ولكن ورود إشارة لها في كتاب الله قبل ألف وأربعمائة سنة يعطي

هذا السبق للقرآن الكريم، ويعطي هذه النظرية من الدعم ما يرتقي بها إلى مقام الحقيقة، لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله، وعلى ذلك فإن كوننا قد بدأ بجرم أوَّلي واحد "مرحلة الرتق" انفجر هذا الجرم "مرحلة الفتق" وتحول إلى غلالة من الدخان "مرحلة الدخان"، والعلماء التجريبيون يقولون: غلالة من التراب، والقرآن يقول:

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ﴾ . (سورة فصلت: الآية 11)

والتجربة تؤكد أن هذا الجرم عالي الكثافة إذا انفجر فلا بد وأن يتحول إلى غلالة من الدخان.

**والتعريف العلمي للدخان:** أنه جسم أغلبه غاز، به بعض الجسيمات الصلبة، له شيء من السواد أو الدكنة وله شيء من الحرارة. والآية تشير إلى ذلك بقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ . (سورة فصلت: الآية 11)، وهنا يتبادر سؤال: هل الأرض والسماوات قادرة على النطق فتجيب الحق تبارك وتعالى "أتينا طائعين" أم أن هذا رمزية مجازية؟

على أي حال علماء الفلك يقولون: إن الذي يتحكم في سلوك الجرم السماوي بعد إرادة الله تعالى، هو كتلة المادة والطاقة المتجمعة فيه، فالذي يجعل الأرض كوكباً بارداً له غلاف غازي مائي وصالح للحياة الأرضية التي نعرفها هو الكتلة.

والذي يجعل القمر تابعاً صغيراً ليس له غلاف غازي وليس له غلاف مائي وغير صالح للحياة المشابهة للحياة الأرضية هو أيضاً الكتلة.

والكتّلة بمعنى كم المادة والطاقة التي انفصل بها الجرم السماوي من غلالة الدخان الكوني، فتكثف على ذاته بفعل الجاذبية. والسؤال الذي يطرح نفسه من الذي قدر تلك الكتل؟ والجواب المنطقي على ذلك هو أنه الله تعالى، ولعل هذا هو المقصود من قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾، مع التسليم بأن القرآن يقول: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾. (سورة الإسراء: الآية 44) فقد يكون رد السماوات والأرض رداً حقيقياً لا نفهمه.

والقرآن يقرر أن الانفجار العظيم هذا تحول إلى غلالة من الدخان، فقدر الله تعالى منه جميع أجرام السماء وما بقي من هذا الدخان يملأ المسافات بين هذه الأجرام، وتم تصويره على أطراف الجزء المدرك من الكون، ونحن نرى نجوماً تتخلق أمام أنظارنا في هذه الأيام، من الدخان الكوني الموجود في داخل السُدم، تماماً كما بدأ الخلق الأول.

والعلماء التجريبيون يقولون إن عملية اتساع الكون هذه إلى الخارج لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية، لأنها محصلة الانفجار الأول، ولما كان معدل اتساع الكون اليوم أبطأ من المعدل الذي بدأ به، فسوف يأتي على هذا الكون زمان تتساوى فيه القوتان: القوة الدافعة إلى الخارج بالانفجار، والقوة اللامة إلى الداخل بالجاذبية، ثم مع ضعف القوة الدافعة إلى الخارج تبدأ قوى الجاذبية في تجميع الكون مرة أخرى في جرم واحد مشابه تماماً للجرم الابتدائي الأول الذي ابتدأ منه الخلق، ويُسمي العلماء المعاصرون هذه النظرية باسم "نظرية الانسحاق الشديد".

والقرآن يسبق العلم بألف وأربعمائة سنة، في الإشارة إلى تلك النبوؤة العلمية وذلك لقوله تعالى:

**﴿ وَمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾** . (سورة الأنبياء: الآية 104) وانظروا إلى روعة التعبير القرآني: **﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾** ، يعني أن عملية خلق الكون ستعيد نفسها تماماً بأمر من الله تعالى، وسوف يعود الكون في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى إلى جرم عالي الكثافة، ينفجر، يتحول إلى غلالة من الدخان يُخلق من هذا الدخان أرض غير الأرض وسماوات غير السماوات.

والقرآن الكريم يقرر ذلك بقوله تعالى: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾** . (سورة إبراهيم: الآية 48) فقصة خلق الكون يجمعها القرآن الكريم بدقة متناهية في ست آيات تلخص خلق الكون، وإفنائه، وإعادة خلقه من جديد في إجمال ودقة وإحاطة معجزة للغاية، لم يستطع الإنسان أن يصل إلى تصور شيء منها حتى أواخر القرن العشرين. [1]

**يقول تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ .** (سورة التكوير: الآية 15- 16)

النجم جرم سماوي، مشتعل، مضيء بذاته، ثم هو في دورة من دورات حياته تتضاءل هذه الجذوة بالتدريج حتى يخبو وهجه ويضعف ضوؤه، وضعف الضوء بالتدريج هو الانكدار، والاختفاء الكامل لضوء النجم هو الطمس.

[1] . النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 1 / 40.

والعلماء يتحدثون الآن عما يسمونه باسم "الثقوب السوداء"، وهي حالة من حالات النجوم المبهرة، تتكدس فيها المادة تكدساً شديداً فلا يستطيع الضوء أن ينفلت من عقالها وهي مضيئة، وإذا سقط عليها الضوء فتبتلعه ولا ينعكس من سطحها فلا تُرى، ولكن آثار جاذبيتها الشديدة ومجالاتها المغناطيسية الفائقة القوة فتتحدد بذلك مواقعها في داخل مجرات السماء، وهذه هي نهاية النجوم العملاقة، بينما يتحدث القرآن الكريم عن الكواكب بأن نهايتها الانتشار فيقول تعالى في محكم كتابه: ﴿ **وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ** ﴾ . (سورة الانفطار: الآية 2)، ويتحدث عن النجوم بأن نهايتها الانكدار والطمس **فيقول تعالى:** ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ . (سورة التكوير: الآية 2 ﴾ **ويقول:** ﴿ **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ** ﴾ . (سورة المرسلات: الآية 8)، هذه الدقة البالغة في التعبيرات القرآنية لم يدركها الناس إلا في زماننا، زمان التقدم العلمي والتقني المذهل الذي نعايشه اليوم، فمراحل حياة النجم لم تعرف إلا منذ سنوات قليلة، ولم يعرف العلماء أن نهاية النجم الانكدار أو الطمس، وأن نهاية الكوكب الانفجار والانتشار إلا منذ سنوات قليلة، وقد جاء القرآن الكريم بها منذ أكثر من ألف وأربعمائة من السنين. ولا يزال بعض العلماء التجريبيين مترددين في فهم هذه القضايا، وهي واضحة وضوح الشمس في كتاب الله الذي يذكُر لنا أن حياة النجم العملاق تمر بهذه المراحل حتى يطمس أي ينطفيء نوره بالكامل فلا يُرى، وهي حقيقة لم يدركها العلم إلا في أواخر القرن العشرين، ولا يزال كثير من أهل العصر يجهلونها .

والآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾، فيها قسم عظيم أقسم به ربنا تبارك وتعالى وهو سبحانه غني عن القسم لعباده، أقسم بحقيقة لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة، أعتقد أنها هنا أيضاً الثقوب السود، وهذه حالة من حالات النجوم العملاقة تتركز عادة في قلب المجرات وتعتبر مراكز ثقل للمجرة ، وهي حالة كثيفة جداً للمادة لا يكاد العقل البشري أن يتصورها ، تتكدس فيها المادة بحيث تتلاشى المسافات البينية بين مكونات الذرة أغلبها فراغ، وحجم المادة فيها ضئيل للغاية، فإذا تلاشت المسافات بين اللبنات الأساسية للذرة تضاءل حجمها تضائلاً شديداً حتى لا تكاد تُدرك، وبتكدس المادة في داخل النجم العملاق تصبح له جاذبية فوق التصور تحول دون انفلات الضوء منه، وحينئذ يختفي النجم تماماً، ولكن تبقى آثار جاذبيته الشديدة، ومجاله المغناطيسي الشديد تحدد موقعه بدقه بالغة، وعلى ذلك فإن هذا النجم المختص هو مركز ثقل المجرة، لأن كل ما في المجرة من أجرام "نجوم وكواكب وكويكبات وأقمار ومذنبات وغيرها "تترابط بجاذبية الثقب الأسود كمركز الثقل لها .

ولكي يتكون ثقب أسود لا بد أن تنضغط كتلته حتى تعادل السرعة الكونية للهروب من سطحه سرعة الضوء على الأقل، وعلى سبيل التشبيه فإن نجماً في حجم الشمس التي يبلغ قطرها" . . .1392" كيلومتراً تحتاج إلى الانضغاط حتى يصبح قطرها 3كيلومترات فقط كي تتحول إلى ثقب أسود، وإن كان النجم يحتاج إلى كتلة أكبر من كتلة الشمس بثلاث مرات على الأقل كي يتم تحوله إلى ثقب أسود، ويتم التعرف على الثقوب السود بواسطة مجالات

الجذب القوية المتكونة حولها، ومن الكم الهائل من الأشعة السينية المحيطة بها، والتي تحدد أماكنها.

والقرآن الكريم يقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ وخُنَس في اللغة: يعني اختبأ واختفى، وخُنَّس صيغة مبالغة يعني أجرام مبالغ في اختفائها، يقسم الله بها سبحانه وتعالى وهو الغني عن القسم ولأنها من أروع صور بديع صنعه في الكون. والمجرة التي نحيا فيها، فيها ثقب أسود أو أكثر من ثقب واحد، وفي كل المجرات أيضاً توجد هذه الخنس أي النجوم الخانسة، وتقدر الحسابات الفلكية أن كتلة نواة مجرتنا " درب اللبانة " تقدر بمائة مليون مرة قدر كتلة الشمس، "المقدرة بحوالي 2.19 × 10 27 طناً " بما يؤيد وجود ثقب أسود في قلب تلك المجرة يُعرف باسم "منزل القوة".

﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾: قالوا كنس في اللغة مثل خنس، بمعنى اختبأ واختفى أيضاً، ولكن التكرار هنا ما معناه، إذ إنه ليس للتأكيد، والتكرار في القرآن يأتي عادة لتأكيد حقيقة، ولكن لا يوجد هنا ما يحتاج إلى توكيد، ولذلك خلصت إلى أن الكنس هنا من الكنس بمعنى مسح صفحة السماء، وليست من الاختفاء.

وثبت علمياً أن هذه النجوم الكثيفة للغاية والتي لا تُرى تبتلع وهي تدور في مدارها كل ما تمر به من صور المادة والطاقة حتى تصل إلى كتلة حرجة فتنفجر، وتتحول إلى غلالة من الدخان، قد يخلق منها نجوم جديدة، وتكمل بذلك دورة حياة النجوم، وهي مصغرة للخلق الأول.

والجواري: جمع جارية من الجري، وعلى ذلك فإن المعنى الظاهر لنا من هاتين الآيتين الكريمتين هو النجوم التي لا ترى على الإطلاق من مثل الثقوب السوداء، وإن كان بعض أهل العلم قد رأى فيها أجراماً سماوية تبعد في أثناء جريها وتختفي ثم تقترب بعد اختفائها فتظهر، فشبهوها بالمذنبات التي تدور حول الشمس في أفلاك متطاولة تجرى فيها تلك المذنبات بسرعة فائقة فتظهر في دورات محددة كانسة مساحة متساوية في الأزمنة المتساوية ولكن عندي أن الإشارة إلى الثقوب السود أبلغ في هذا القسم القرآني وأوقع.

إذاً الخُنس هي الثقوب السود، وكل مجرة لها هذا المركز من مراكز الثقل، وهو عبارة عن نجم تكدس على ذاته فلا يمكن أن يُرى ولا أن ينطلق الضوء منه، ولكن هل يمكن إدراك مكانه؟

إن الجاذبية هي نتاج مباشر لانحناء كل من المكان والزمان حول أي جسم له كتلة و كلما زادت كتلة الجسم زادت جاذبيته، وتظل جاذبية النجوم تزداد بزيادة كتلة النجم وتضاغط المادة بداخلة حتى لا يستطيع الضوء أن ينفلت من عقاله فيتحول إلى ثقب أسود ولا يُرى، ولكن يمكن إدراك موقعه بالتعرف على مجال جذبه القوي المتمثل فيما يسمى بالقرص التراكمي اللولبي الدوار المحيط به، والذي تنقل المادة إليه فتندفع في هذا القرص التراكمي بسرعة فائقة فترتفع درجة حرارتها إلى أكثر من مليون درجة لتشع في المدى الطيفي للأشعة السينية قبل سقوطها في الثقب الأسود، وبواسطة تلك الأشعة السينية يتعرف الفلكيون على موقع الثقب الأسود الذي يمثل مركز ثقل المجرة، وقد يكون بالمجرة ثقب أسود أو أكثر، هذا

الثقب الأسود نظراً لكثافته العالية يسحب من المادة قبل أن يبتلعها تياراً من الالكترونات، فيتحدد موقعه بهذا التيار، فهو نجم لكنه لا يُرى، وحينما يدور في فلكه يمر بدخان كوني أو بأجرام أو بنجوم أخرى أو بنواتج انفجار تلك الأجرام والنجوم يبتلعها حتى يصل إلى كتلة حرجة ينفجر عندها، فيتحول إلى سحابة من الدخان، وكأن الله تعالى يرينا عملية الخلق الأول في صفحة السماء أمام أنظارنا، وهكذا بدأ الخلق.

فيقسم ربنا تبارك وتعالى بالخنس وهو تعالى الغني عن القسم فيقول: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ**﴾ ونفي القسم في اللغة العربية توكيد للقسم.

﴿**الْجَوَارِ الْكُنَّسِ**﴾ والكنس هنا من الكنس، لأنها حقيقة مكانس السماء، وأذهلني أن أجد عالماً أمريكياً يصف الثقوب السود بقوله "هذه مكانس السماء الشامخة العملاقة" وتعبير القرآن الكريم لهذه الحالة من حالات النجوم بوصف "نجم خانس كانس" أبلغ ألف مرة من تعبير "الثقب الأسود" لأن الثقب يوحي بالفراغ على عكس الواقع فهو حالة من حالات التكدس الشديد للمادة.

وهذا ليس غريباً فلدينا كثير من حقائق العلم الكوني التي يعبر عنها بعض العلماء الغربيين تعبيراً كأنه نص التعبير القرآني دون أن يطلعوا على كتاب الله، وهذا أيضاً من الشهادات المبهرة على صدق القرآن الكريم، و على نبوة هذا الرسول الخاتم ﷺ .

**يقول تعالى: ﴿إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .**

(سورة الرحمن: الآية 37–38)

هذا موقف من مواقف الآخرة، وهول من أهوالها تنشق فيه السماء وتتصدع فتتحول إلى ما يشبه الورد الأحمر أو الأديم الأحمر من شدة الحرارة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، [1] أو تنصهر كالدردي "أي ما يركد في أسفل كل مائع كالشراب والدهان" فتكون كالمهل أو كالدهان الذائب الأحمر اللون في صفاء الدهن، ولكن كيف يتم ذلك؟ هو في علم الله سبحانه وتعالى، لأن الآخرة لها من القوانين والسنن ما يغاير قوانين وسنن الدنيا .

ولكن من رحمة الله تعالى أنه أبقى لنا من الشواهد الحسية والظواهر المرئية في صفحة الكون ما يؤكد على إمكانية حدوث كل ما أخبر عنه في كتابه الخاتم عن مظاهر الآخرة، ومنها تصدع السماء وانشقاقها حتى تصير وردة كالدهان.

ومن أمثلة ذلك ما أرسله إلينا تليسكوب هابل الفضائي من صور لعدد من النجوم عند انفجارها، ففي 31 أكتوبر سنة 1999م قامت مؤسسة الفضاء الأمريكية "ناسا" بنشر عدد من الصور التي بثها هذا التليسكوب الفضائي لنجوم في مرحلة الانفجار في سديم يعرف باسم "سديم عين القط"، وهذه النجوم على مسافة منا تقدر بحوالي ثلاثة آلاف من السنين الضوئية، وكل نجم من تلك النجوم المنفجرة يبدو في الصورة على هيئة وردة حمراء عملاقة لها من صفاء اللون ما جعل العلماء يصفونها بالتعبير الذي ترجمته "وردة حمراء مدهنة"، وكأنه التعبير القرآني بدقته اللفظية والدلالية. [2]

---

1 . القرطبي: التفسير، 9 / 173.

2 . النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 1 / 62 .

**السنة الشمسية والقمرية:**

يقول تعالى: ﴿ **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** ﴾ . (سورة الكهف: 25)

يقص الله سبحانه وتعالى قصة أهل الكهف، ويخبر رسوله الأمين أنهم لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً، فلما سمع نصارى نجران تلك الآية، قالوا: أما الثلاثمائة فقد عرفناه، وأما التسع التي زادت على مدة بقائهم في الكهف فلا علم لنابها، فقال الله لرسوله "**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**"، فما العلاقة بين الثلاثمائة سنة والثلاثمائة وتسع؟ لقد وردت هذه الآية من أربعة عشر قرناً، والآن نسمع ما يقوله العلم في العصر الحديث.

تبلغ السنة الشمسية، وهي التي تسمى بالانقلابية، لأنها عبارة عن مدة تنقضي بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد (24 و365) يوماً شمسياً ينتج بمرورها الصيف والخريف والشتاء والربيع، السنة القمرية تتكون من (36 و354) يوماً وهي المدة بين كسوفين متواليين مقسومة على عدد حركات القمر الدائرية. فالفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية (87 و10) يوماً وبذلك يكون في كل 33 سنة فرق قدره (87 و358) يوماً، أو ما يقرب من السنة، وعليه تزيد كل مائة سنة ثلاث سنين وتكون 300 سنة شمسية يقابلها 309 سنوات قمرية، هذا هو علم العصر الحديث، وهذا ما قرره القرآن من 1435سنة. [1]

**معجزة الرياح:**

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، 134.

يقول تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ** ﴾. (سورة الحجر: الآية 22)

فسرت هذه الآية في ضوء العلم الحديث، على أن الرياح لواقح للنبات، بعدما ثبت أن الهواء من أهم وسائل تلقيح النباتات لا يتم تلقيحه إلا بالهواء، وكثيراً ما شوهد في جو غابات الصنوبر أثناء نضج أزهارها غيم كأنه عاصفة رملية، وما هذا الغيم إلا حبوب اللقاح يحملها الهواء إلى حيث يتم إخصاب النبات، ويمكن أن يكون للآية تفسير آخر، إذ لم يرد فيها ذُكر للنبات أو الأرض، وأما ما يدل على قصر هذه الآية تلقيح النباتات، أنظر إلى نور القرآن عندما قرر العلم الحديث أن الرياح إنما هي لواقح للسحب التي يتم بها نزول الماء من السماء. فالرياح هي حركة الهواء الموجود في الطبقات السفلى من الجو إذا سارت متوازية مع سطح الأرض وتختلف سرعة الرياح حتى تصل إلى مائة كيلو متر في الساعة فتسمى زوبعة، وإذا زادت على مائة سميت إعصاراً، وقد تصل سرعة الإعصار إلى 240 كيلو متر في الساعة، والرياح هي العامل المهم في نقل بخار الماء وتوزيعه، ومن تكاثف هذا البخار في الهواء بالتبريد بعد أن تصل حالته إلى ما فوق التشبع تتكون السحب أو يختلف ارتفاع السحب على حسب نوعها، فمنها ما يكون على سطح الأرض كالضباب، ومنها ما يكون ارتفاعه بعيداً إلى أكثر من 12 كيلو متراً كسحاب السيرس الرقيق.

وعندما تكون سرعة الرياح الصاعدة أكثر من ثلاثين كيلو متراً في الساعة، لا يمكن نزول قطرات المطر المتكون، وذلك بالنسبة لمقاومة هذا الريح لها، ورفعها معه إلى أعلى، حيث ينمو

حجمها ويزداد قطراً، ومتى بلغت أقطار النقط نصف سنتيمتر، تتناثر إلى نقط صغيرة، لا تلبث أن تكبر بدورها، ثم تتجزأ بالطريقة السابقة وهكذا، وكلما تناثرت هذه النقط تشحن بالكهرباء الموجبة وتنفصل الكهرباء السالبة التي تحملها الرياح، وبعد مدة تصير السحب مشحونة شحناً وافراً بالكهرباء فعندما تقترب الشحنتان بعضهما من بعض بواسطة الرياح كذلك يتم التفريغ الكهربائي وذلك بمرور شرارة بينهما، ويستغرق وميض البرق لحظة قصيرة، ويكون شكله خطاً منكسراً، أو كشكل المفرش، ولونه أبيض أو أخضر أو أزرق أو أحمر، وبعده يسمع الرعد وهو عبارة عن الموجات الصوتية التي يحدثها الهواء، وما هي إلا برهة حتى تخيم على السماء سحابة المطر القاتمة اللون، ثم تظهر نقط كبيرة من الماء تسقط على الأرض، وفجأة يشتد المطر ويستمر حتى تأخذ الأرض ما قدر الله لها من الماء.

فانظر كيف ولدت الرياح الكهرباء بنوعيها في السحب، وكيف سببت هي في تلقيحها بعضها ببعض، فأنزلت بذلك المطر الذي يسقينا وما نحن له بخازنين. [1]

وقد وردت الآيات في أكثر من سورة، تشير إلى تلازم السحب والمطر والرياح بما يؤكد هذا التفسير، ففي سورة الأعراف يقول تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾. (سورة الأعراف: الآية 57)

[1] . الفندي: القرآن والعلم، 135-137.

فهذه الآية نصت صراحة أن الرياح تقل السحاب وأن الله أنزل بها الماء .

**وفي سورة الروم يقول الحق جل شأنه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾** . (سورة الروم: الآية 46)

**أي أن الرياح تبشر برحمة الله وهي هنا المطر .**

**وفي سورة الفرقان يقول عز شأنه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾** . (سورة الفرقان: الآية 48-49)

**وفي سورة فاطر يقول تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾** . (سورة فاطر: الآية 9)

**فسبحان الله العظيم .**

قال تعالى: **﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾** . (سورة الجن: الآية 8)

وقال تعالى: **﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾** . (سورة الأنبياء: الآية 32)

يقول القرآن الكريم في سورة الجن أن الجن لمسوا السماء فوجدوها ملئت حرساً شديداً وشهباً، هذا الحرس لا بد أن يكون من غير جنس الشهب، فقد ذكر زيادة على الشهب، ولما كانت الشهب هي كل مكونات النجوم والكواكب، فالحرس إذاً من غير الكواكب والنجوم

والأفلاك وأقرانها، أما مكان هذا الحرس كما ذكره القرآن، ففي السماء وهي كل ما يغلف ويحيط بالكرة الأرضية، فهل أمكن للعلم أن يصل إلى معرفة حرس شديد يقوى على الجن الذي خلق من نار؟ ومتى وصل العلم؟ بعد أن قال القرآن من أربعة عشر قرناً.

أذاعت الجهات العلمية في 20 أكتوبر 1955م أن لجنة الطاقة الذرية قد أعلنت أن الدكتور "ايرنست لورنس" قد توصل إلى اكتشاف المارد الذري الذي يرهب العلماء منذ 25 سنة، وذلك في المعمل الذري بجامعة كاليفورنيا، كان العلماء يبحثون عن هذا المارد، فهم يحسون بوجوده ولا يرونه، هذا الكشف هو جزئ ذري يسمى البروتون السالب، ويستطيع افناء المادة في جميع أشكالها افناءً كاملاً، وأن هذا البروتون السالب، موجود في طبقات الجو العليا، وعمره قصير جداً لا يزيد على واحد من ألف مليون جزء من الثانية.

وقد شرح العلماء أهمية الكشف الجديد، كما أورده بيان اللجنة في أن الطريقة المعروفة حتى الآن في إطلاق الطاقة الذرية هي تقسيم نواة الذرة المعروفة باسم البرتون الموجب، وهذه الطريقة لا تطلق غير واحد في الألف من الطاقة الموجودة في الذرة، ولكن تسليط البرتون السالب على الذرة يفنى البرتون الموجب، وعملية الإفناء هذه تطلق 99 في الألف من الطاقة الموجودة في الذرة.

كما أعلنت اللجنة أن البروتون السالب منطلق في الفضاء، حول الكرة الأرضية، وهو يفني جميع أنواع المادة التي يصطدم بها، والسيطرة على هذا البروتون لا تزال صعبة، لأن اصطياده من الفضاء يتطلب عمليات معقدة، ومع ذلك يقول الدكتور "صمويل جلاستون"

مستشار اللجنة أنه سيأتي اليوم الذي يمكن الحصول على تيار منه، وإذا جاء هذا اليوم ، فإن رطلاً واحداً من أي مادة ذرية، يمكن توليد طاقة منه باصطدام البروتون السالب به، توازى الطاقة المتولدة من مليون ونصف مليون طن من الفحم، وأعلنت اللجنة أنه بالاكتشاف الجديد يمكن لقنبلة زنتها عشرة أرطال فقط أن تدمر العالم كله.

فقد قررت لجنة الطاقة الذرية، أن الكرة الأرضية محاطة بالبروتون السالب، أو ما أسمته المارد الذري، إن الفناء الذي يصيب العالم، والتدمير الذي يشمل الكون إذا ما ارتطم جزئ من البروتون الموجب الموجود في أي ذرة بهذا البروتون السالب لا يمكن تخيله، فالعالم به يُفنى في أقل من لمح البصر، وكل تقدم في أبحاث ما وراء المادة ودراسة الفضاء يضيف الجديد عن تلك الأحزمة المدمرة التي تحيط بالأرض من مواد ملتهبة يعرف الإنسان بعضها ويجهل أكثرها، أليس ذلك هو الحرس الشديد الذي ملأ السماء. [1]

**﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ .**

**اختلال نظام السماء:** [2]

إن مشاهد اضطراب النظام الكوني واختلاله يوم القيامة تملأ نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم، هيبة ورهبة، وأكثر الاضطراب يقع للأرض والجبال والسماء والشمس

1 . نوفل: الله والعلم الحديث، ص199 .

2 . انظر: القنيبي: المشاهد في القرآن الكريم، ص 164 .

والقمر والنجوم والبحار، كما في مطالع سور التكوير، والانفطار والانشقاق، وقد تنوعت هذه المشاهد فالأرض والجبال في سورة المزمل ترجف، والجبال تصبح كثيباً مهيلاً، والأرض والجبال في سورة الحاقة تحمل وتدك دكةً واحدة، والجبال في سورة طه تنسف ويصبح مكانها مستوياً، وفي سورة النمل تسير سير السحاب، وفي سورة النبأ تكون سراباً، وفي سورة القارعة تكون كالعهن المنفوش، ومثل هذا التنوع وارد بالنسبة للبحار والنجوم والسماء والشمس والقمر أيضاً.

إن مشاهد انفطار السماء وتناثر الكواكب، مجموع ملامحها الجزئية من تحول السماء إلى سائل، ودورانها، وتشققها وانفطارها ثم تناثر نجومها يُكوّن المشهد العام لما يصيبها من اضطراب وانهيار، وعندما تضطرب السماء، وينهار نظامها الكوني فإذا بها تنشق وتتحول إلى سائل متلوّث.

**يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.** (سورة المعارج: الآية 6 - 10)

وقد فُسر المهل بتفسيرين كلاهما منقول عن ابن عباس:

**الأول:** المهل درُدي الزيت وحثالته.

**الثاني:** الفضة المذابة أو المعادن المذابة بصفة عامة.

ويبدو أن إطلاق لفظ المهل على الزيت، أو المعادن المذابة منظور فيه لاعتبارين: أولهما أنها سوائل، والاعتبار الآخر أنها متنوعة الألوان والأشكال، ومن هنا عرضت الآيات

مشهداً عجيباً للسماء وقد تذاوبت واسودت، وللجبال وقد صارت هشة خفيفة متطايرة كالصوف المنفوش، وللناس وهم في ذهول واضطراب.

وكذلك نجد تصوير القرآن للسماء المنشقة الذائبة السائلة في سورة الرحمن.

**يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾** . (سورة الرحمن: الآية 37)

وقد تناولنا هذه الآية في موضع آخر بتفصيل كبير، ولكن هنا نتناولها من زاوية أخرى، قيل الوردة في الآية يراد بها الزهرة الحمراء المعروفة أي كوردة على التشبيه، وقيل الوردة الفرش الحمراء على التشبيه أيضاً، وقيل وردة اسم مرة من الورود مثل سجدة من السجود، أي أن السماء انشقت وردة أو دفعة أو حركة واحدة، والدهان دهن الزيت، أي أن السماء تصير مثل الدهن ذوباناً وسيلاناً، وقيل الدهان الجلد الأحمر الخالص، والانشقاق و التصدع والانهيار والذوبان، وذُكر القرآن مراراً هذه الصورة إبان البعث وأنها حين تقع ويختل النظام الكوني ذلك إيذاناً بالنشور والنشأة الثانية، ومن هنا نجد أن **قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ﴾** يعطينا الإيحاءات والصور التي توحيها آية **﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾** فلقد شبه سيلان السماء بالدهان، أي تكون كما تكون الدهان المختلفة.

أما دوران السماء فقد صورته الآيات من سورة الطور، **يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْرًا، وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا، فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾** . (سورة الطور: الآية 9-11)

ومعنى: ﴿**يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْرًا**﴾ أي تدور دوراناً سريعاً، وفي حركة دوران أي جسم تقلب أعاليه على أسافله فينكفئ. قال الزمخشري: تمور السماء: تضطرب وتجيء وتذهب، وقيل المور التحرك في تموج، ومن الطبيعي أن دوران السماء وانكفائها الذي صورته الآيات السابقة لا يترك السماء إلا منهارة الجوانب، متصدعة الأرجاء، وقد صُوِّر هذا التصدع بتعبير آخر، **يقول تعالى:**

﴿**إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ، وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ، وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ**﴾. (سورة الانفطار: الآية 1-5)

وقد فُسِّر الانفطار بالانشقاق، وهو معنى تؤكده آيات أخرى **كقوله تعالى:**

﴿**وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**﴾. (سورة الحاقة: الآية 16)

والآيات الكريمة تشكل مشهداً رهيباً لتصوير انفطار السماء، وذلك أنها حين تمور، وتضطرب تتصدع جوانبها، وتنشق وتنقل الآيات تلك التلقائية التي تظهر في استجابة الكون كله لأمر الله تعالى، وهي التي نجدها في فطر النبات عند أول طلوعه وشقه الأرض، وفق النظام الذي وصفه الله سبحانه وتعالى، ويؤكد هذا المعنى الأسلوب البياني الذي سارت عليه الآيات الكريمة بإسناد الفطر والشق إلى السماء مباشرة، دون إسنادها إلى محدث الفطر والشق وهو الله سبحانه وتعالى، لأجل توجيه الذهن إلى أن الظواهر التي تحدث يوم القيامة مسخرة لهذه الأحداث، مهيأة لها، وهي ظاهرة تطرد فيها كل التعابير القرآنية التي تخص اضطراب السماوات والأرض.

فالأرض تزلزل تلقائياً، وتدك بانبعاث قاهر، والجبال ترج وتنسف، والبحار تسجر، والنجوم تطمس وتبعثر، في طواعية تلقائية، وفي كل هذه المشاهد التي مر ذُكرها تتجسد لنا أهوال القيامة ومشاهد الاضطراب المفزع.

ويغمر الكون ظلام دامس، ويصيب الناس الهلع والفزع يتساءلون أين المفر؟

**﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ، كَلَّا لَا وَزَرَ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾** . (سورة القيامة: الآية 7–12)

**وهناك كثير من الآيات سأذكر بعضها دون تفصيل اكتفاءً بما سبق بيانه وشرحه:**

**﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾** . (سورة الرحمن: الآية 4)

**﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾** . (سورة الطارق: الآية 1–3)

**﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ، وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ، وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾** . (سورة المدثر: الآية 32–34)

**﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾** . (سورة يونس: الآية 5)

**﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾** . (سورة الواقعة، الآية 75 – 76)

**أكتفي بهذا القدر اليسير من آيات القرآن الكريم، الذي دل العلم الحديث على ما فيها من إشارات اعجازية.**

**وصدق الله العظيم القائل في محكم آياته: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾** . (سورة النساء: الآية 82) .

# الفصل الثاني

# بعض معجزات الأرض في القرآن الكريم

تناولت في هذا الفصل التعريف بالأرض وبيان مكوناتها وبعض ما تتصف،

وتتميز به عن غيرها من الكواكب،

ثم أوردت بعضاً من الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأرض وربطت بينها وبين ما

ثبت من العلم،

وبينت معجزة ما ورد في القرآن الكريم في هذا المجال،

مبيّناً استحالة أن يكون ذلك من عند غير الله سبحانه وتعالى.

الأرض مسكن الإنسان وملاذه، وهي المعرض المليء بكثير ممن خلق الله سبحانه وتعالى، فيه من بديع خلق الله ما يُبهر الأنفس ويدهش العقول، فيجعل الإنسان يتأمل هذا الخلق، خاشعاً لله تعالى، معترفاً بوحدانيته، مقراً بعظمته سبحانه وتعالى، أينما توجه الإنسان بعقله أو بصره، أو بصيرته يجد عظيم خلق الله، إن تأمل فوق رأسه رأى من الخلق والإبداع ما رأى، وإن نظر أسفل منه اكتشف من الأسرار ما اكتشف، البحار تحيط به، والجبال تطبق عليه من كل ناحية، والغيوم والسحاب ينتقل أمامه من مكان إلى مكان.

الشجر يُظلل عليه، والطيور تزقزق من حوله، والأنعام والدواب، ومالا يحصى من خلق الله، إن تأمل أي شيء فيها، اكتشف من المعجزات والأسرار ما فيها، فسبحان الخالق العظيم.

يقول العلم إن الأرض انفصلت عن الشمس على هيئة غاز، وبدوران هذا الغاز حول نفسه، وبُعده عن الشمس مصدر الحرارة بدأت هذه الغازات تبرد شيئاً فشيئاً، مكونة طبقة من السطح الخارجي الذي أخذ يتجمد رويداً رويداً، ويزداد في السمك بتوالي الأزمنة، والغازات والأبخرة التي كانت تتصاعد من الأرض وقت نشأتها، وبعده كانت تعود لتهطل عليها في صورة بخار ماء أو مطر، كون بتوالي الأزمان البحار والمحيطات، فكأن الأرض خلقت أولاً ثم الماء تكون بعد ذلك.

**ويقرر العلماء "علماء علم طبقات الأرض "أن الصخور المكونة للقشرة الأرضية نوعان:**

1. صخور تكونت بفعل البرودة التدريجية من المواد المنصهرة.

2. صخور رسوبية كونتها المياه من فتات الصخور الأصلية.

**هذه العلوم والنظريات التي تعتبر أحدث وأدق ما كتب عن تكوين الأرض تقول:**

أن الأرض تكونت من غازات، وأنها ببرودتها بعد انفصالها من الشمس خرج منها الماء وبذلك وجدت التربة الصالحة والماء المناسب لإخراج النبات، وأن تراكم المواد الذاتية في الماء يكون الصخور التي تدخل في تركيب الجبال، أليس ذلك ما يقرره القرآن الكريم في بضعة ألفاظ جميلة، كقوله تعالى: ﴿ **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا** ﴾ (سورة النازعات: الآية 30 – 32) مع الانتباه للتتابع الزمني الذي كشف عنه التقدم العلمي الحديث.

## كروية الأرض:

**يقول تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾** (سورة النازعات: الآية 30)

هذه الآية دليل ليس بعده دليل على معجزة من معجزات القرآن العلمية، فالدحية هي البيضة، وما زالت معظم الأقطار العربية لا تعرف البيضة إلا باسم الدحية، فكأن الله سبحانه وتعالى يحدد شكل الأرض بالبيضة وقد كان أصدق وصف علمي لشكل الأرض ما قيل من أنها كروية منبعجة من الوسط.

وقد صرح الله سبحانه بهذا التكوير في آية أخرى حيث يقول تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (سورة الزمر: الآية 5)

والتكوير اللف واللي كما يقول الزمخشري [1] في تفسيره، إلا أنه جعل يلتمس لذلك معنى مجازياً لما غاب عنه ما ظل مجهولاً للناس أجمعين لعدة قرون بعده (من أن الله سبحانه يلف الليل على النهار بلي حقيقي لأشعة ضوء الشمس على غلاف الأرض الهوائي الذي تملؤه الظلمة وهي تدور) ، والآية تفيد استدارة الليل على ما كان نهاراً، واستدارة النهار على ما كان ليلاً، وهذا دليل على كروية الأرض ودورانها .

وقد جاء العلم الحديث بأجهزته العلمية وأقماره، وسفنه الفضائية ورواده ليقول إن محيط الأرض عند القطبين 24220 ميلاً، بينما عند خط الاستواء 24900 ميل، أي بزيادة تقارب 700 ميل، أما قطرها فالمار بالقطبين 7900 ميل والاستوائي 7927 ميل أي بزيادة قطرية تبلغ 27 ميل.

كيف عرف محمد بن عبد الله قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة عام أن شكل الأرض يماثل شكل الدحية، هذا هو السؤال العجيب. [2]

## تناقص اليابسة:

[1] . الزمخشري: الكشاف، 38/4.

[2] . اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 173.

**قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾** . (سورة الرعد: الآية 41)

**وقال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾** . (سورة الأنبياء: الآية 44)

فُسرت هاتان الآيتان على أنه نقص أطراف من أكل البحر، وهو مشاهد في مختلف بقاع الأرض، ولكن كل أكل بحر، إنما يقابله طرح من مكان آخر، مما يتفق معه المعنى الدقيق الذي تهدف إليه هاتان الآيتان، اللتان أشرق بنورهما العالم بتقدم العلوم الجيولوجية.

يقرر العلم بأن الأرض أخذت في الانكماش بتوالي برودتها، بعد انفصالها عن الشمس ويسبب هذا الانكماش التواءات في القشرة الأرضية ، كما يسبب ضغطاً على جوف الأرض ، فتخرج منه الحمم والصخور الملتهبة على شكل غازات، هذه الغازات الخارجة من باطن الأرض والغازات الأُخرى بها، ففي الغلاف الجوي واقعة تحت فعل الجاذبية الأرضية، ويقول الأستاذ محمد محمود إبراهيم : أستاذ الجيولوجيا في جامعة القاهرة في كتابه عن إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض : إن سرعة انطلاق جزيئات الغازات إلى أعلى في الجو تجعلها الجاذبية الأرضية تتلاشى، حتى تصل إلى الصفر، ولكن إذا زادت سرعة انطلاقها على فعل الجاذبية، فإن الجزيئات تخرج بذلك عن نطاق الجاذبية الأرضية، وعلى هذا تغادر هذه الجزيئات الأرض إلى غير رجعة، وتذهب في الفضاء الشاسع في ملكوت السماوات. وهذه النظرية العلمية المكتشفة، تفسر لنا سر اختفاء الهيدروجين الطليق وندرة الموجود من غاز الهليوم في الغلاف الجوي الأرضي، بينما هذه الغازات موجودة وبنسبة كبيرة في جو الشمس، الأمر الذي يدل

على هجرة هذه الغازات من جو الأرض، ولما كانت الأرض كروية، فإن أطرافها هي كل ما يحيط بها، أفليس ذلك ما تقرره الآيتان الشريفتان. [1]

**يقول الدكتور زغلول النجار:**

سطح الأرض غير مستوٍ، ففيه قمم عالية، وسفوح هابطة وسهول، وهي أطراف طبقاً للتباين في المناسيب، ومن ناحية أخرى فإن الأرض شبه كرة، فلها قطبان ولها خط استواء فتعتبر هذه أطرافاً لها، والسطح كله يعتبر أطرافاً للأرض، فالمحيط في الشكل الكروي أو شبه الكروي يعتبر أطرافاً للأرض، وكل هذه الأطراف في تناقص مستمر إلى أن يشاء الله، فما معنى تنقصها من أطرافها إذاً؟

لقد ورد هذا المعنى في الآيتين السابق ذُكرهما "سورة الرعد الآية 41، وسورة الأنبياء الآية رقم 44"، قدامى المفسرين قالوا: إنقاص الأرض من أطرافها هذا له معنى من اثنين: إما موت العلماء، لأنه يؤدي إلى فساد عظيم في الحياة. أو انحسار دولة الكفر بالفتوحات الإسلامية فهذا إنقاص للأرض من أطرافها .

وقال بعضهم غير هذا، ولكن يأتي العلم الحديث ليؤكد على حقيقة كونية مبهرة مؤداها أن الأرض تنكمش باستمرار، تنكمش على ذاتها من كل أطرافها أو من كل أقطارها، وسبب الانكماش الحقيقي هو خروج الكميات الهائلة من المادة والطاقة على هيئة غازات وأبخرة ومواد سائلة وصلبة تنطلق عبر فوهات البراكين بملايين الأطنان بصورة دورية فتؤدي إلى

---

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، ص 130 .

استمرار انكماش الأرض، ويؤكد العلماء أن أرضنا الابتدائية كانت على الأقل مائتي ضعف حجم الأرض الحالية.

فعملية الانكماش مستمرة إلى يومنا هذا، وهذه حقيقة كونية لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة، ويعجب الإنسان على إيرادها في كتاب الله بهذه الصياغة المبهرة من قبل ألف وأربعمائة من السنين حيث.

**يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ .** (سورة الرعد: الآية 41)

**ويقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .** (سورة الأنبياء: الآية 44)

إن خروج ملايين الأطنان من الغازات والأبخرة والمواد السائلة والصلبة من فوهات البراكين سنوياً يؤدي قطعاً إلى إنقاص الأرض من أطرافها وإلى انكماشها بالكامل، وإن كان بعض العلماء يقولون أيضاً: إن عوامل التعرية تأكل من قمم الجبال، وتلقي في المنخفضات، وهذا إنقاص للأرض من أطرافها، كما أن البعض الأخر يقول إنه نتيجة لدوران الأرض حول محورها فقد انبعجت قليلاً عند خط الاستواء، وتفلطحت قليلاً عند القطبين، والفرق بين القطر القطبي والقطر الاستوائي للأرض هو 42 كيلومتراً، وهذا إنقاص للأرض من أطرافها، ويقول عدد من العلماء: إن في طغيان البحار على اليابسة إنقاص للأرض من أطرافها، وهناك تفاسير عديدة لتلك الظاهرة قد لا يتسع المقام لشرحها . فإنقاص الأرض من أطرافها له معان كثيرة

جمعها القرآن الكريم في هاتين الآيتين السابق ذُكرهما، الجملتين اللتين تحتملان كل هذه المعاني، وقد يرى فيها العلماء في المستقبل مالا نعرفه نحن اليوم. [1]

**حركة الجبال:**

**قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾** . (سورة النمل: الآية 88) لماذا قال تعالى تحسبها ؟ قالها رحمة بالعقل البشري، فالإنسان يظن أن الجبال جامدة، ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أن هذه الجبال التي نراها أمامنا ونحسبها جامدة، تتحرك من مكان لآخر، ولكنها "تمر مر السحاب" لماذا، لأن السحاب لا يملك ذاتية الحركة، لا يتحرك بنفسه، إنما تحركه الرياح، فالسحاب بدون الرياح يبقى في مكانه، ولكن الرياح هي التي تدفعه من مكان إلى آخر، ومن هنا فإن استخدام الله سبحانه وتعالى لكلمة "مر السحاب" يريد أن ينبئنا أن الجبال التي نحسبها جامدة، تتحرك ولكنها لا تتحرك بنفسها، بل هي تابعة لحركة أُخرى تدفعها تماماً كما تدفع الرياح السحاب، وإذا كانت الجبال وهي أوتاد الأرض، لا تتحرك حركةً ذاتية من نفسها، فما الذي يدفعها، محرك آخر؟، إنه الأرض، وكأن الجبال تتحرك بحركة الأرض، فلا بد أن الأرض نفسها تتحرك، وتدور حول نفسها وحول الشمس، وإلا فكيف تقوم بتحريك الجبال وهي ثابتة، إن الجبال في حركتها تابعة لشيء آخر يتحرك، تماماً كالسحاب الذي يتبع في حركته الريح، والجبال ثابتة فوق الأرض، فلا يوجد محرك

---

[1] . النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 47/1.

آخر لها إلا الأرض، هكذا مسَّ الله سبحانه وتعالى دوران الأرض بشكل بديع يبين لنا أن الأرض تتحرك وتدور حول نفسها وأن الجبال التي هي أوتاد الأرض تتحرك بحركة تابعة للأرض في حركتها، وأننا نحسب هذه الجبال جامدة، ولكن قول الله سبحانه وتعالى "تحسبها جامدة" محتاج إلى وقفه، وذلك أنه يقدم لنا حقيقة علمية أُخرى، إنك حين تكون فوق جسم متحرك حركة رتيبة لا اهتزاز فيها، فإنك لا تحس بهذه الحركة، إلا إذا قست هذا الجسم إلى جسم ثابت. الطائرة حين تطير بنا، إذا نظرت من النافذة فإني أحس بحركة الطائرة وطيرانها، ولكن إذا أقفلنا النوافذ وكان الجو مستقراً ليس فيه أي اضطراب بحيث لم يصاحب هذا الطيران أي اهتزاز، فإنني لا أشعر اطلاقاً بحركة الطائرة، لماذا؟ لأن كل شيء داخل جسم الطائرة هو ثابت بالنسبة لي، فالمقاعد ثابتة وموقع من يجلسون حولي ثابت، ولا أحس في هذا بأية حركة، وكذلك بالنسبة للقطار والسيارة، أنت حين تغلق النوافذ وتكون الحركة ذاتية متزنة هادئة لا اهتزاز فيها، فإنك لا تحس بالحركة، ولكن إذا فتحت النافذة وقست الحركة إلى شيء ثابت فإنك تحس بالحركة.

إذن فالله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا أنتم لا يمكنكم أن تدركوا حركة الجبال هذه بجسكم، لأن وضعها بالنسبة للأرض ثابت ووضعها بالنسبة لكم ثابت ووضعها بالنسبة لكل شيء حولها ثابت، ومن هنا فإنك تحسها جامدة، ولا تفطن إلى حركتها أبداً، لأنه ليس هناك شيء أمامك، نقيس الحركة به، ولكني أقول أن هذه الجبال تتحرك وهي في حركتها ليست لها حركة ذاتية، أي أنها لا تنتقل من مكان إلى مكان فوق الأرض، بل تتبع الأرض في دورانها، ثم

تتعجب أنت لذلك، فيقول لك الله سبحانه وتعالى لا تتعجب، إنه صنع الله الذي أتقن كل شيء، حينئذ يكون هناك اليقين. [1]

**وحول نفس الآية يقول الدكتور: عبد السلام اللوح:** هذه الآية تقرر حركة انتقالية للأرض قبل أن يعرفها العالم بقرون، ويلحقها قدامى المفسرين بآيات الجبال، إذ لم يخطر ببالهم أن للأرض حركة، وينكر بعض المحدثين أن الآية عن الجبال في الدنيا وذلك صوناً للآيات القرآنية أن تقحم عليها النظريات العلمية، بل أن تقحم عليها الحقائق العلمية، ناسين أن الطريق الصحيح لصون القرآن عن مثل هذا ليس هو إيصاد الباب دون إثبات الإعجاز العلمي للقرآن، ولكنه هو النقد الدقيق لدليل ذلك الإعجاز، وإن حركة الجبال هذه لا بذاتها، لأنها في مرأى العين جامدة، ولكن بواسطة الأرض التي تحملها، أي أن الآية تثبت حركة انتقالية عن طريق إثبات حركة السحاب، وهي معجزة علمية قرآنية لا شك فيها .

**وهذا الدوران يتمثل في نوعين من الحركة:**

1 . حركة حول نفسها وهي المسماة بالحركة اليومية.

2 . حركة حول الشمس وهي المسماة بالحركة السنوية.

فالحركة اليومية عبارة عن دوران الأرض حول نفسها من المغرب إلى المشرق، في مدة أربع وعشرين ساعة مرة واحدة، وإن مشاهدتنا لتحرك الشمس والكواكب حول أرضنا ما هي إلا

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن، ص92.

في الظاهر فقط، وإنما هو ناشئ من حركة الأرض، ومن هذه الحركة يتولد تعاقب الليل والنهار، لأن الشمس لا تضيء إلا النصف المقابل لها من الأرض فقط، فيكون عند أهل هذا النصف نهار، وعند أهل النصف الآخر ليل.

أما الحركة السنوية، وهي المسماة عند العلماء بالحركة الانتقالية، فهي عبارة عن دوران الأرض حول الشمس من المغرب إلى المشرق أيضاً في مدة سنة كاملة، وهي عبارة عن 365 يوماً وربع يوم تقريباً، وهذه المدة هي المعبر عنها السنة الشمسية، وتقطع الأرض في اليوم الواحد أثناء هذه الحركة السنوية ما يزيد على نصف مليون من الفراسخ، ومن هذه الحركة يتولد تعاقب الفصول الأربعة وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء. [1]

خلال هذا الدوران السريع للأرض في كلتا الحالتين، حول نفسها أو حول الشمس، تكون حركة الجبال، والتي لا يحس أو يشعر بها الإنسان، لأنه يقف معها على نفس المكان، فلا الإنسان يشعر بحركة الجبال، ولا الجبال تشعر بحركة الإنسان، لأنهما ثابتان في نفس المكان، ولكن الخروج من المكان يعطي للإنسان القدرة على رؤية الجبال وهي تتحرك، وهذا ما أثبته رواد الفضاء الذين خرجوا من نطاق الأرض، ونظروا إليها من عالم خارجي عنها، فرصدوا تحرك الجبال في سيرها. فسبحان الله.

**أهمية الجبال:**

---

[1] . اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 175.

وردت كلمة جبل بصيغة المفرد والجمع في القرآن الكريم 38 مرة، وجاءت الإشارة إليها بالتعبير "رواسي" في عشر آيات أخرى.

**ويمكن تصنيف هذه الإشارات القرآنية للجبال إلى فئات مميزة على النحو الآتي:**

1. آيات تشير إلى شكل مرتفع ارتفاعاً ملحوظاً من الأرض.
2. آيات تشير بصورة رمزية إلى ضخامة الكتلة الجبلية أو تدل على ارتفاعها وطبيعتها الصلبة الهائلة.
3. آيات تذكُر كلمة جبال في مقام التشبيه.
4. آيات تشير إلى جبال ذات أهمية تاريخية كجبال ثمود .
5. آيات تشير إلى الجبال التي شهدت بعض المعجزات.
6. آيات تذكُر استخدام كل من الإنسان والحيوان للجبال كملجأ أو كمصادر للمياه الجارية.
7. آية واحدة تصف الجبال بأنها أوتاد، وإشارة امتداداتها الداخلية الهائلة وآيات تؤكد دور الجبال في تثبيت الأرض، أو تصف كيفية قيام الجبال على سطحها .
8. آيات تشير إلى الجبال بوصفها من الخلق المسبح لله، والعابد له تعالى.
9. آيات تصف مصير الجبال يوم الحساب ودمارها التام.

كل ذلك من خلال تكرار ورود هذا اللفظ في حالاته الثمان وأربعون.

**أما عن المفاهيم الأساسية للجبال كما بينتها آيات القرآن الكريم فهي كالآتي:**

1 . إن الجبال ليست فقط تلك الارتفاعات الكبيرة التي تبدو على سطح الكرة الأرضية، ولكنها أيضاً امتدادات تلك الارتفاعات في داخل الأرض، والتي يسميها علماء الأرض اليوم باسم "جذور الجبال" وهذه حقيقة تؤكدها الآيات القرآنية بوصفها للجبال بأنها أوتاد، وكما يختفي معظم الوتد إما في التربة أو الصخر، لتثبيت أركان الخيمة، ويبقى الجزء الأصغر منه ظاهراً فوق سطح الأرض، فلابد وأن الجزء الأكبر من الجبال يختفي بالمثل في القشرة الأرضية.

يقول تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ . (سورة النبأ: الآية 6 – 7)

ويعتبر مصطلح "وتد" الذي استخدمه القرآن الكريم لوصف الجبل أكثر دقة من الناحيتين اللغوية والعلمية من كلمة "جذر" المستعملة حالياً لوصف الامتدادات الداخلية للجبال.

2 . يؤكد القرآن الكريم في عشر مواضع على الدور الذي تؤديه الجبال في توازن الأرض، حيث يقول تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ . (سورة الرعد: الآية 3)

ويقول تعالى: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾ .

(سورة لقمان: الآية 10)

ويقول تعالى: ﴿ **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ** ﴾ . (سورة النازعات: الآية 30 – 33)

3. يحث القرآن الكريم الناس على التفكير في عدد من الظواهر في خلق الله، ككيفية تكون الجبال، وقد أدى هذا التأمل إلى بلورة نظرية التوازن التضاغطي للقشرة الأرضية، أي تعرضها لضغوط متساوية من جميع الجهات التي تفسر كيف تنصب الجبال على سطح الأرض، يقول تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ .

(سورة الغاشية: الآية 17 –20)

4. يصف القرآن الكريم الجبال بأنها تتكون من جدد بيضاء وحمراء مختلفة الألوان ومن جدد أخرى سوداء، يقول تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** ﴾ . (سورة فاطر: الآية 27)

ولعل في ذلك إشارة إلى كلٍ من الجبال الحامضية وفوق الحامضية في تركيبها الكيميائي والمعدني، والتي تتكون أساساً من الصخور الجرانيتية وشبه الجرانيتية، ويطغى عليها اللونان الأبيض والأحمر بدرجات متفاوتة، ولذلك قال ربنا ﴿ **مختلف ألوانها** ﴾ والجبال القاعدية وفوق القاعدية التي تتكون أساساً من صخور خضراء اللون داكنة الخضرة إلى سوداء اللون من مثل جبال أواسط المحيطات، وفي اللغة

العربية يوصف الأخضر بالسواد والأسود بالخضرة، ولكل نوع من هذين النوعين من الجدد نشأته الخاصة وتركيبه الكيميائي والمعدني الخاص بصخوره.

5. يؤكد القرآن الكريم في الموضع الأخير من هذه المجموعة على حقيقة أن الجبال أجسام غير ثابتة، حيث إنها تتبع الأرض في دورانها حول محورها، يقول تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾. (سورة النمل: الآية 88) ([1])

ويقول في موضع آخر: الوتد كتلة من الخشب مدببة الطرف تثبت بها أركان الخيمة إلى الأرض سواء كان ذلك تراباً أم صخراً، أغلبها يكون مدفوناً في الأرض، وأقلها يكون ظاهراً فوق السطح، ووظيفتها التثبيت، وفيما درس العلماء الجبال وجدوا أن امتداداتها أكبر في داخل الأرض من ارتفاعاتها فوق مستوى سطح البحر، ولا نجد وصفاً لذلك أبلغ من لفظة "وتد" التي تصف كلاً من الشكل الظاهري والامتداد الداخلي والوظيفة، ﴿**والجبال أوتاداً**﴾ فالجبل وتد حقيقي أقله ظاهر فوق سطح الأرض، وأغلبه مدفون في باطن الأرض، ووظيفته التثبيت، وكون القرآن الكريم الذي أُنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة يصف الجبال بأنها أوتاد فهذا سبق علمي مبهر لم يصل إليه العلماء إلا في القرن العشرين، ولا يزال العديد من الناس يجهلونه إلى يومنا هذا.

---

[1] . النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 3 / 38.

ويأتي العلم التجريبي ليؤكد على أن كل ارتفاع فوق سطح اليابسة له امتداد في داخل القشرة الأرضية يزيد بأضعاف عديدة تتراوح بين 10 إلى 15 ضعفاً على هذا الارتفاع فوق سطح الأرض تبعاً لكثافة صخوره، وكثافة الصخور والصهارة المنغرس فيهما، وليست فقط الجبال هي التي تطفوا هذا الطفو في نطاق الضعف الأرضي، بل إن القارات أيضاً غائصة في هذه الصهارة كنوع من أنواع التثبيت، والجبال وسيلة رائعة لتثبيت كل القارات وجعلها صالحة للعمران ، كما أنها وسيلة رائعة لتثبيت الأرض في دورانها حول محورها أمام الشمس، وهي تترنح في حركات عديدة أهمها حركة الميسان "الفوران أو التذبذب" .

وقد ورد في القرآن الكريم الحديث عن إرساء الأرض بالجبال في أكثر من عشر آيات محكمات. [1]

**قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا ﴾ .** (سورة المرسلات: الآية 27)

**وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .**

(سورة النحل: الآية 15)

يلفتنا الله إلى حكمته البالغة في الجبال، التي قد حسبها الإنسان زيادة في الأرض لا حاجة إليها ، فهذه الجبال الشوامخ آية من آيات الله تعالى بثباتها ورسوخها وشموخها ، وهي

1 . المصدر السابق، 1 / 84.

كالأوتاد للأرض في حفظ موازنتها، ورسوّ جوانبها، فهي تقيها الاضطراب والجيشان والمَيدان، كما تقي الخيمة أوتادها من مثل ذلك، وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا المعنى في كثير من آياته في القرآن الكريم، والتي تزيد في عدد ورودها عن ثلاثين آية.

كما أن خلق الجبال نعمة أُخرى هي نشوء السحب فوقها، وهطول الثلوج والأمطار عليها، فتكون بسبب ذلك الأنهار والجداول والينابيع، ثم تكثر الزروع والأشجار والمراعي وضروب النبات، فالجبال مخازن الثلوج والأمطار، ولولاها لسقط الثلج على وجه الأرض جملة وذاب، فأهلك الحرث والنسل، وكل بلاد تقل فيها الجبال تقل فيها الأمطار، فيقل الزرع والخصب وتكثر الصحاري الرملية ويعم الجدب.

وبعد أن ذُكر الله سبحانه نعمة الجبال الشامخات قال: ﴿ **وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا** ﴾ أي عذب بالغ العذوبة، للإشارة إلى أن الحكمة في خلق الجبال هي أن تكون مستودعات للمياه والأمطار، ومادة للعيون والجداول والأنهار التي نستقي منها.

كما أن الجبال حصون ومعاقل طبيعية، ومنها ينحت الإنسان حجارة البناء، كما يجد فيها معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها، كما أن الجبال تردّ الرياح العاصفة، وتكسر حدتها، كما ترد السيل إذا كان من مجاريها، ومن حكمة الله البالغة أنه خلق الجبال على الوضع الذي نعرفه، فلو طالت واستدقت لتعذر الصعود عليها وفيها، وامتنع الانتفاع بها،

وحرمت الناس الشمس والهواء، ولو بسطت على وجه الأرض لضيقت على الناس المزارع والمساكن ولملأت السهل وضاع التحصن بها من الرياح والسيول والأعداء. [1]

## دقة التعبير:

**قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾** . (سورة الشعراء: الآية 28)

**وقال تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾** . (سورة الرحمن: الآية 17)

**وقال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾** . (سورة المعارج: الآية 40)

لو أخذنا كل آية من هذه الآيات وقت نزول القرآن الكريم على حجم تفكير العقل البشري في ذلك الوقت نجد أن مفهوم المشرق هو جهة شروق الشمس ومفهوم المغرب هو جهة غروب الشمس، فعندما يقول الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب فليس هناك تعارض بين العقل والآية الكريمة في ذلك، نأتي بعدها إلى الآية الكريمة ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ** ﴾ نقول إذا كان المشرق هو جهة الشرق فإن رب المشرقين معناها أنها تجمع بين عمومية الجهة وهي المشرق، وبين المكان المحدد لشروق الشمس، بمعنى أنك تقول هذا هو الشرق، وهذا هو الغرب، وتشير بيدك إلى جهة المشرق أو المغرب، فإذا أردت أن تحدد

---

[1] . قنيبي: المشاهد في القرآن الكريم، ص 68.

مكان شروق الشمس فإنك تقول أن الشمس تشرق من هنا، وتحدد المكان بالضبط، وهذا هو التفسير في وقت نزول الآية، ثم نأتي بعد ذلك إلى ﴿ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾، التفسير وقت النزول هو أن كل بلد له مشرق ومغرب، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى هو رب المشارق كلها والمغارب كلها فإذا جئنا إلى هذه الآيات اليوم، لوجدنا تفسيرها يختلف، رب المشرق والمغرب هذه قالوا عنها عمومية، ولكن الله سبحانه وتعالى قرن كلمة المشرق بالمغرب لأنه لا يوجد مشرق بدون مغرب، كروية الأرض تحتم ذلك، ففي الوقت الذي تغرب الشمس على جهة، في نفس الوقت، وفي نفس اللحظة تشرق على جهة أخرى، إذن قول الله تعالى رب المشرق والمغرب ولم يقل رب المشرق ورب المغرب، أو لله المشرق أو لله المغرب، حيث كان المعتقد نزول القرآن أنهما جهتان مختلفتان تماماً، متقابلتان بالنسبة للعين المجردة، ولكنه قول الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب، معناها أن المشرق والمغرب يتم في وقت واحد، أي أن الشمس تغرب على بلد في نفس الوقت تشرق فيه على بلد آخر.

**نأتي بعد ذلك للآية الكريمة: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾**

**لماذا قال المشرقين بالذات والمغربين؟** إذا نظرنا إلى الكرة الأرضية نجد أنها مقسمة إلى جزأين، نصف مضيء ونصف معتم، والنصف المضيء له مشرق ومغرب، بينما النصف المعتم يسبح في ظلام دامس.

فإذا استدارت الكرة تماماً يواجه النصف المظلم الشمس والنصف المضيء يصبح ظلاماً، أصبح نصف الكرة الذي كان مظلماً له مشرق، ونصف الكرة، الذي كان مضيئاً

يسبح في ظلام، إذن فالكرة الأرضية في عموميتها لها مشرقان، مشرق تضيء منه الشمس نصف الكرة ومغرب، ثم تستدير الكرة كلها، فيأتي نصف الكرة الآخر فيكون له مشرق ومغرب، إذن فآية رب المشرقين ورب المغربين تعرض لنا بأن نصف الكرة يكون ظلاماً ليس له مشرق ولا مغرب، وهذا النصف لا مشرق له ولا مغرب وهكذا في عمومية الكرة الأرضية، هناك مشرقان ومغربان.

فإذا انتقلنا إلى رب المشارق والمغارب، نجد أنه بعد أن تقدم علم الفلك لا يوجد مشرق واحد ومغرب واحد لأي دولة في العالم، وإنما هي مشارق ومغارب. إذن فزاوية الشروق تتغير، وزاوية الغروب تتغير ، ولكن الحس لا يدرك ذلك، بل إنه إذا نظرنا إلى الكرة الأرضية نجد أنه في كل جزء من الثانية مشرق تشرق الشمس فيه على مدينة وتغيب عن مدينة أخرى، أي أن هناك ملايين المشارق والمغارب لكل بقعة من الأرض، المشرق والمغرب للبلدة الواحدة لا يتكرر طوال أيام السنة، لا تشرق الشمس على بلدة في نفس مكانها الذي أشرقت منه بالأمس، أو تغرب على بلد من نفس مكانها الذي غربت منه بالأمس، وإن كانت جهة الشرق واحدة، إلا أن الشرق تختلف زاويته كل يوم، وكذلك المغرب وتختلف في الفصول الأربعة، فصول السنة، وفي أيام الصيف عن الشتاء عن الخريف عن الربيع، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا من حركة دوران الأرض حول الشمس مرة كل عام. فإن هذه الحركة هي التي تجعل لكل يوم مشرقاً ومغرباً بزاوية مختلفة، بل بتوقيت مختلف عن اليوم الآخر، وأبسط شيء لتدرك هذا بدلاً من الدخول في التعقيدات الفلكية هو صيام رمضان، ففي كل يوم تفطر في مغرب

مختلف عن المغرب الآخر في الوقت، وكذلك تمتنع عن الطعام من مشرق مختلف عن المشرق الآخر في الوقت، وأوقات الصلاة تختلف كل يوم من أيام العام تبعاً لحركة الأرض حول الشمس.

واختلاف المشارق والمغارب يبين بخلاف أن الأرض تدور حول الشمس، أن الأرض كروية. فلو كانت مسطحة كان لابد أن تطلع الشمس من مشرق واحد، وتغيب من مغرب واحد، حينئذ لا يكون هناك مشارق ومغارب، ولكن كونها كروية، وكونها تدور حول نفسها وحول الشمس هو الذي يجعل هناك مشارق ومغارب.

والذي أريد أن أقوله أن عطاء القرآن في الأولى رب المشرق والمغرب لم يلغ عطاءه في الثانية وهو رب المشرقين ورب المغربين، وهو لا يلغي عطاءه في الثالثة وهو رب المشارق والمغارب، بل إن التقدم العلمي الذي غير كثيراً من مفاهيم الكون لم يستطع أن يغير معنى الآيات الكريمة، بل انسجم معها، ويحضرني قول قرأته في أحد المخطوطات القديمة يقول كاتبه "يا زمن وفيك كل الزمن" ومعنى هذا القول أن الزمن نسبي في الكون، فمثلاً عندما اؤدى أنا الظهر، هناك أناس في مكان آخر يصلون العصر، وأناس في مكان ثالث يصلون المغرب، وأناس في مكان رابع يصلون العشاء وأناس في مكان خامس يصلون الصبح ، أي أنه في الوقت الواحد يؤذن لله على ظهر الأرض الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، إذن فالله مذكور في كل زمن وبجميع أوقات الزمن.

هذه آية من آيات الله في القرآن الكريم، اتضحت دقة معناها عندما تقدم العلم، كان لها عطاء حين نزول القرآن، ولها عطاء مختلف الآن، وربما يكون لها عطاء آخر في الأزمنة

القادمة بعد أن يتقدم العلم، والإعجاز هنا أن القرآن يعطى لكل جيل عطاءه، ويعطى لكل عقل حاجته دون أن يتناقض مع الحقيقة العلمية أو يتصادم مع حقائق الكون، فهو متجدد العطاء دائماً، وحقائق الكون لا يمكن أن تتصادم أبداً مع القرآن، لأن الله هو الفاعل، والله هو الخالق، والله هو القائل. [1].

**حركة الإنسان والأرض:**

**قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**

إذا أردنا أن نتحدث عن معجزات القرآن الكريم المتعددة، فإن ذلك لا ينفصل عن بلاغته وعن دقة اختياره للألفاظ، فكلام الله تبارك وتعالى هو في غاية الدقة، بحيث يُعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً، فلا تجد حرفاً زائداً بلا معنى، ولا كلمة مترادفة، إلى آخر ما يقال عن القرآن الكريم، والحقيقة أن المعجزة في القرآن الكريم قد تجدها في حرف، وهذا ما سنبينه من خلال الآية سابقة الذكر. لماذا قال الله **﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ﴾** ؟ ولماذا لم يقل قل سيروا على الأرض، هل نحن نسير على الأرض أم في الأرض، حسب مفهوم الناس جميعاً فنحن نسير على الأرض، ولكننا نجد أن الله قد استخدم كلمة **"في"** ولم يستخدم كلمة **"على"**، يقول: سيروا في الأرض، **"ففي"** تقتضي الظرفية، والمعنى يتسع، لأن الأرض ظرف المشي، ومن هنا فإن التعبير جائز، ولكن ليس في القرآن كلمة جائز، فالتعبير بقدر المعنى تماماً، والحرف الواحد

[1] . انظر: الشعراوي: معجزة القرآن، ص 1 / 25 .

يغير المعنى وله هدف، وقد تم تغييره لحكمة، لكن ما هي حكمة استخدام حرف "**في**" بدلاً من "**على**".

عندما تقدم العلم وتفتح، وكشف الله أسرار الأرض، وأسرار الكون، عرفنا أن الأرض ليس بمدلولها المادي فقط، أي ليست الماء والأرض، أو الكرة الأرضية وحدها، ولكن الأرض هي بغلافها الجوي، فالغلاف الجوي جزء من الأرض يدور معها ويلازمها، ومكمل للحياة عليها، وبدونه تصبح الحياة غير ممكنة على الأرض، وسكان الأرض يستخدمون الخواص التي وضعها الله في الغلاف الجوي في اكتشافاتهم العلمية، والدليل على ذلك أنك إذا ركبت الطائرة فإنها ترتفع بك 20 ألف قدم مثلاً عن سطح الأرض، مع ذلك فإنك لا تقول أنك خرجت من الأرض، ولكنك تقول تطير في الأرض، متى تخرج من الأرض علمياً وحقيقة ؟ عندما تخرج من الغلاف الجوي للكرة الأرضية، ما دمت أنت في الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية، فأنت في الأرض، ولست خارج الأرض، فإذا خرجت من الغلاف الجوي، فأنت في هذه اللحظة التي تخرج فيها خارج الأرض، الغلاف الجوي متمم للأرض، وجزء منها، ويدور معها .

نعود إلى الآية الكريمة ونقول، لماذا استخدم الله سبحانه وتعالى لفظ "**في**"، ولم يستخدم لفظ "**على**" لأنك في الحقيقة تسير في الأرض، وليس على الأرض، هذه حقيقة علمية لم يكن يدركها العالم وقت نزول القرآن ولكن الله سبحانه وتعالى هو القائل، وهو الخالق يعرف أسرار كونه، يعلم أن الإنسان يسير في الأرض، إنه يسير على سطح الأرض، ولكنه لا يسير على الأرض،

يسير في الأرض، أي في وسطها بين غلافها الجوي الذي هو جزء منها، وبين اليابسة التي هي جزء آخر، وهكذا نجد دقة التعبير في القرآن في حرف ونجد معجزة القرآن في حرف. [1]

**توقف الأرض عن الحركة:**

**قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾** . (سورة القصص: الآية 71 -72)

الآيتان تدعواننا إلى النظر والتدبر والاستماع، إذا وقفت الأرض عن دورانها، فأصبح نصفها المواجه للشمس نهاراً دائماً، والبعيد عنها ليلاً دائماً، فمن غير الله يهبكم تعاقب الليل والنهار، مرة بعد مرة، فهل يمكن أن يحدث أن تقف الأرض فيبقى الليل ليلاً دائماً ويبقى النهار نهاراً دائماً ؟

قرر التاريخ الجيولوجي والفلكي أن الأرض بعد انفصالها عن الشمس كانت تدور حول نفسها بسرعة أكبر مما هي عليه الآن، إذ كانت تتم دورتها حول نفسها مرة كل أربع ساعات، فالليل والنهار كانا في مجموعها أربع ساعات فقط، وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها، زادت المدة التي تتم فيها دورانها هذه، فزادت مدة الليل والنهار على خمس ساعات ثم ست، حتى وصلت إلى أربعة وعشرين ساعة التي هي عليه الآن.

[1] . انظر: الشعراوي: معجزة القرآن، 1 / 47.

وقد أمكن للعملاء احتساب النقص في سرعة دوران الأرض، فوجدوا أن هذا النقص يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين ألف سنة، وعليه فبعد 432 مليون سنة ينقص دوران الأرض بمقدار ساعة، وعندئذ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار 25 ساعة، وهكذا يتوالى النقص ويطرد طول النهار والليل، وعلى هذا الأساس لا بد أن تقف الأرض يوماً، فلما تقف يصبح الوجه المقابل للشمس نهاراً دائماً، والوجه البعيد عنها ليلاً دائماً. وهذا ما قاله سبحانه وتعالى في دستور العلم والحكمة. [1]

**القطب الشمالي والقطب الجنوبي:**

**قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾.** (سورة الكهف: الآية 90)

بعض الناس، بل ربما كثير منهم، يمر على هذه الآية دون أن يتنبه إليها، ولكن العقل يجب أن يقف هنا ليسأل، ما هي الحكمة في هذه الآية، ما هي المعجزة العلمية التي تكلمت عنها الآية؟ فإذا فكرنا فيها، نجد أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أن هناك قوماً لم يعجل لهم من دون الشمس ستراً، ما معنى هذا الكلام؟ ما هو المقصود من أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل لهم من دون الشمس ستراً؟ هل المفروض أن هذه الأرض قاحلة، ليس فيها شجر يستر الناس من الشمس؟ أم المقصود أنه ليس لديهم مساكن يجلسون فيها لتسترهم من الشمس، أم المفروض أنهم عراياً مثلاً، ليس عندهم ملابس تقيهم الشمس.

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، ص 133.

كل هذا قد يخطر على العقل البشري، ولكن الحقيقة أن كل هذه الأشياء لا تستر الشمس، فالشمس موجودة خارج المنزل، ولو جلست فيه، كما أنها موجودة خارج ظل الشجرة، ولو جلست تحتها، كما أنها موجودة حتى ولو ارتديت الملابس التي تقيك من الشمس، إذن كل هذا قد يبعد الشمس عنك، ولكنه لا يسترها، أي لا يخفيها .

ولكن ما هو الذي يستر الشمس، الذي يجعلها تختفي، تغيب، تذهب، ما الذي يستر الشمس في أي وضع من الأوضاع، بحيث لا تجدها، إنه الظلام، إنه الليل، الليل هو الذي يستر الشمس، فلا تجد أشعتها في أي مكان، ولا تنظرها أينما كنت، وكيفما كنت، ولو صعدت إلى أعلى مكان، ولو خرجت إلى الشارع، فإنك لا ترى الشمس لأنها مستورة عنك بالظلام.

هنا يجب أن نتوقف قليلاً، الله سبحانه وتعالى في الآية، وضع لنا القوانين التي يجب أن يسير عليها المُمكن في الأرض، وقال لنا إننا يجب أن نضيف إلى الأسباب التي يعطيها الله سبحانه وتعالى أو يمكننا منها، ثم بعد ذلك عندما بلغ **ذو القرنين** السدين وجد **يأجوج ومأجوج** أنهم قوم مفسدون في الأرض، ولكنه في الآية الكريمة:

**﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾**، لم يزيد الله سبحانه وتعالى شيئاً مما قام به **ذو القرنين** عندما بلغ هذه الأرض، ولما كان القرآن الكريم كل حرف فيه بميزان دقيق، فلا بد أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا شيئاً في هذه الآية الكريمة وحدها، إذن ما هي الحكمة المستورة في هذه الآية الكريمة؟

بعض الناس يمر على هذه الآية ولا يسأل نفسه هذا السؤال، الله سبحانه وتعالى جعل **لذي القرنين** عملاً حين بلغ مغرب الشمس، وجعل له عملاً حين بلغ بين السدين، ولكن في هذه الآية الكريم لم يجعل له عملاً ، إذن لا شك أن المراد هنا هو ما ذُكره الله سبحانه وتعالى: **﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾**، ومن هنا فإن معنى الآية الكريمة: **﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾**، أن الاسكندر قد وصل إلى مناطق في الأرض لا تغيب عنها الشمس مدة طويلة، أي أنه لا يتعاقب عليها الليل والنهار كباقي أجزاء الكرة الأرضية بل تظل الشمس مشرقة عليها لفترة طويلة لا يسترها ظلام، وإذا بحثنا الآن نجد أن هناك مناطق في العالم لا تغيب عنها الشمس ستة شهور في العام، فالشمس لا تغيب عن القطب الشمالي مدة ستة شهور، وعن القطب الجنوبي ستة شهور، فكأن الله تعالى يريد أن يخبرنا أن هناك أماكن في الأرض لا تخضع لقواعد تعاقب الليل والنهار، كالتي تخضع لها باقي أجزاء الأرض، وإنما تشرق عليها دون أن يسترها الظلام لفترة طويلة. [1] فسبحان الله العظيم.

**حراس السماء:**

**قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾** . (سورة الرحمن: الآية 35).

**قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾** . (سورة الجن: الآية 8).

---

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن، 201/2.

يرى العلماء أن أخطر ما يواجه الإنسان في السماء وهو يحاول اختراقها، الأشعة الكونية التي تمتلئ بها السماء، هذه الأشعة التي ما زالت تكتنفها الأسرار ، وتعتبر من الألغاز التي تحير فيها الإنسان، فكل ما وصل إليه العلم عنها هو ما يقر أنها جسيمات ذرية معظمها من البروتونات الطليقة وتأتي من بعيد، بعيد جداً من السماء، ولا يعلم أحد مصدرها، ولا كيف تكون، ولا كيف تنطلق، لا علاقة لها بالشمس، لأنها أبعد منها جداً، بل أبعد من النجوم التي رصدت، مما يؤكد أن مصدرها ليس الشمس ولا النجوم، وسرعة انطلاقها في السماء تجعل طاقة هذه الأشعة تصل إلى أكثر من مائة مليون الكترون فولت وهو أمر رهيب، أكثر رهبة مما يظنه إنسان، أو يتخيله عقل، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان، الذي يعيش على الأرض، وحتى تستمر الحياة على هذه الأرض، فإن هذه الجسيمات العنيفة عندما تهبط بهذه السرعة من السماء متجهة إلى الأرض، فإنها تصطدم بجزئيات الهواء في حافة جو الأرض العليا وتتحطم إلى رذاذ، وتستمر في التحطم طوال مدة سقوطها إلى الأرض بحيث يمتص الهواء القدر الأكبر منها، فلا يصل إلى سطح الأرض بذلك إلا العدد القليل جداً منها، وبذلك فإنه كلما ارتفع الإنسان في السماء كلما تكثفت هذه الأشعة، وكلما زادت شدتها، وقويت شوكتها، واشتد خطرها، وإذا كانت هذه الأشعة الكونية لا تصيب ما يتعرض لها إصابة واضحة من حريق أو إتلاف ظاهري، إلا أن إصابتها أعمق من ذلك وأبعد أثراً، فقد تأكد العلماء من أن هذه الأشعة من أهم العوامل الأساسية في عملية التطور التي تحدث في مختلف الأجهزة، وفي شتى صفات الإنسان، وتأثيرها مباشر وفعال على حبيبات الوراثة الموجودة

داخل الخلية الحية، فهي التي يتسبب عنها تغير في شكل وقدرة وطاقة الأجنة التي تتكون من خلية تعرض صاحبها إلى زيادة في كمية أو تركيز الأشعة الكونية، وما زال العلماء يبحثون عن مزيد من أثر هذه الأشعة على الإنسان، ولم يستطع الإنسان حتى الآن على الأقل التغلب على هذه الأشعة والراجح أنه لن يستطيع حماية نفسه منها لأنها ذات طاقة كبيرة، بحيث يمكنها أن تنفذ من الأرض الصلبة لمدى آلاف الأمتار، كما أنها تتغلغل من أي جدار فولاذي، ومهما كانت درجة سُمكه، وإذا كان الأثر السيئ لهذه الأشعة لم يظهر بعد على من تعرضوا لها في محاولاتهم غزو السماء حتى الآن، فليس ذلك بالتأكيد مما يشير إلى تغلبهم عليها، ولكن الراجح أن أثر ذلك قد يظهر في الجيل الأول من ذرية هؤلاء الغزاة، أو الجيل الثاني ما لم تتخذ إجراءات الوقاية الصحيحة.

ولا يقتصر أمر الأخطار التي توجد في السماء على هذه الأشعة فقط، ولكن أعلن العلماء وجود حزام يغلف الأرض من طاقات حرارية وبروتونات تختلف في الكهرباء عن البروتونات في كل مواد الأرض، ولها من القدرة على التدمير ما يفوق الوصف، ومن القوة ما يعجز الإنسان عن مواجهتها، وكذلك تمتلئ السماء بالشهب وهي بقايا النجوم المنفجرة، وتكون عبارة عن قطع من الصخر دقيقة وصغيرة، مندفعة في السماء نحو الأرض بسرعة تصل إلى أكثر من أربعين ميلاً في الثانية، وتجعلها هذه السرعة تنصهر وتغلي نتيجة احتكاكها بالهواء، فتوجد الصخور الملتهبة، والمعادن السائلة فوق درجة الغليان فهل إذا تغلب الإنسان على مثل هذه المواد التي توجد حول الأرض، أيستطيع التغلب على ما يوجد حول الكواكب الأخرى من مواد

مثيلة، إذ لا بد أن لكل كوكب ونجم الأحزمة الواقية الشبيه بما للأرض، والمواد الملتهبة من المعادن والنار، فإلى أي حد معين لا يستطيع تجاوزه يقيناً، مهما اتخذ من احتياطات ، ومهما تمكن من وسائل ، فهل سيكون هذا الحد إلى كواكب المجموعة الشمسية، أم إلى بعضها فقط ، أم إلى أبعد منها قليلاً، وما قال به العلم سبق أن قرره القرآن الكريم في آياته الشريفة، فعن وجود المواد الحارقة الملتهبة من نار ومعادن ثبت أن أغلبها من النحاس، والتي ستحول في نقطة معينة عن مواصلة الإنسان للتعمق في السماء ما ذكرته الآية الكريمة سابقة الذكر [1] .

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ . (سورة الحديد: الآية 25)

قال الأقدمون والمحدثون من المفسرين: أنزلنا هنا بمعنى: قدرنا وجعلنا، وذلك لأن الحديد يتركز في جوف الأرض، وأن نسبته تتناقص من مركز الأرض إلى قشرتها، وأن له من الصفات الفيزيائية والكيميائية ما يجعله متميزاً عن جميع العناصر الأخرى المعروفة لنا، والتي يتعدى عددها مائة وأربعة عناصر، فركز المفسرون على بأسه الشديد ومنافعه للناس.

ولكن في السنوات المتأخرة من القرن العشرين، لاحظ العلماء أن الغالبية العظمى من تركيب الجزء المنظور لنا من الكون هو غاز الأيدروجين ، أخف العناصر وأبسطها تركيباً، ولذلك وضع في الرقم واحد من الجدول الدوري للعناصر، ويلي غاز الأيدروجين في الكثرة

[1] . نوفل: السماء وأهل السماء، 144.

غاز الهيليوم، العنصر الثاني في الجدول الدوري للعناصر، وهذان الغازان معاً يكونان أكثر قليلاً من 98% (74% غاز الأيدروجين، 24% غاز الهيليوم) من مادة الكون المنظور، وباقي العناصر الأخرى مجتمعة لا تشكل سوى أقل من 2% فقط، وقد دفعت هذه الملاحظة بعالمين معاصرين هما "فريد هويل" و"فاولر" إلى وضع نظرية عن تأصل العناصر، بمعنى أن جميع العناصر المعروفة لنا في الجزء المدرك من الكون قد تخلقت باندماج نوى ذرات الأيدروجين مع بعضها البعض، في سلاسل متتالية أنتجت العناصر المتزايدة في أوزانها وأرقامها الذرية بطريقة متتابعة، وبعملية تعرف باسم الاندماج النووي، تنتج عنها كميات هائلة من الحرارة التي تمثل حرارة النجوم.

وهذه العملية المعروفة باسم عملية الاندماج النووي تستمر مطلقة للطاقة حتى تصل إلى مرحلة تخليق نوى الحديد، فتتحول إلى عملية مستهلكة للطاقة، وحين يتحول لب النجم إلى حديد ينفجر وتتناثر أشلاؤه في صفحة السماء، لتدخل بقدر الله في مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إلى الحديد، أو تتفاعل مع اللبنات الأولية للمادة والموجودة في صفحة السماء على هيئة الأشعة الكونية، ولتكون العناصر الأعلى في وزنها الذري من الحديد.

وحينما نظر العلماء في شمسنا، لاحظوا أن عملية الاندماج النووي فيها لا تتخطى إنتاج عنصر السيليكون، لذلك فدرجة حرارة سطحها لا تتعدى 6000مْ، وتزداد تلك الحرارة في اتجاه مركزها إلى حوالي خمسة عشر إلى عشرين مليون درجة مئوية، وأن هذه الحرارة أقل بكثير من الحرارة اللازمة لتخليق الحديد بعملية الاندماج النووي. ثم نظر العلماء في صفحة

الكون خارج مجموعتنا الشمسية، فوجدوا نجوماً عملاقة تتوهج في مرحلة من مراحل حياتها فتزيد درجة حرارتها إلى مئات البلايين من الدرجات الحرارية، ولاحظوا أن تلك النجوم، التي عرفوها باسم النجوم المستعرة، أو المستعرات، هي التي تصل فيها عملية الاندماج النووي إلى مرحلة تخليق الحديد، ولكنها لا تستطيع أن تستمر في إنتاج الحديد طيلة عمرها، لأنه في الوقت الذي تنتج فيه عملية الاندماج النووي لتكوين العناصر قبل الحديد كميات هائلة من الحرارة فإن هذه العملية تستهلك كميات هائلة من الحرارة في إنتاج الحديد، ولذلك فإن المستعرات تنفجر على هيئة مستعرات عظمى، عندما تصل نسبة الحديد فيها إلى حوالي 50% من كتلتها، فتتناثر أشلاؤها في صفحة الكون، وتدخل بقدر الله في نطاق جاذبية الأجرام السماوية التي تحتاج إلى هذا القدر من الحديد، تماماً كما تدخل النيازك الحديدية إلى أرضنا اليوم، وبذلك ثبت لنا أن الحديد في أرضنا قد أُنزل إليها من خارج مجموعتنا الشمسية إنزالاً حقيقياً، وأن أرضنا حينما انفصلت عن الشمس لم تكن سوى كومة من الرماد ليس فيها من العناصر شيء أثقل من الألمونيوم والسيليكون، ثم رجمت بوابل النيازك الحديدية، التي استقرت في جوفها، فانصهرت بحرارة الاستقرار وصهرتها ومايزتها إلى سبع أراضين : لب صلب داخلي أغلبه من الحديد والنيكل، ولب سائل حول تلك النواة الحديدية الصلبة أغلبه أيضاً من الحديد والنيكل، ثم أربعة أوشحة متتالية ومتباينة في صفاتها الطبيعية والكيميائية، تتناقص فيها نسبة الحديد من الداخل إلى الخارج، والنطاق الأعلى منها شبه منصهر، ثم الغلاف الصخري للأرض وبه أيضاً نسبة من الحديد تصل إلى 5.6%.

ومن الثابت الآن أن الحديد الذي يشكل أكثر من ثلث كتلة الأرض (35.9% من كتلة الأرض) المقدرة بحوالي (ستة آلاف مليون، مليون، مليون طن)، قد أُنزل إلى الأرض من السماء، وأن جميع الأجرام الموجودة في مجموعتنا الشمسية قد أُرسل الحديد إليها من خارج المجموعة الشمسية، وهذا ما أثبته القرآن الكريم من قبل أربعة عشر قرناً بقوله تعالى:

**﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾** . (سورة الحديد: الآية 25)، ولولا حديد الأرض ما أمكن أن يكون لها مجال مغناطيسي، وبالتالي ما أمكن لها أن تجتذب غلافاً هوائياً أو غلافاً مائياً، ولا أمكن أن تكون صالحة للحياة، خاصة أن الحديد يشكل جزءاً مهماً من المادة الحمراء "الهيموجلوبين" في دماء الإنسان، وفي دماء كثير من الحيوانات. [1]

والحديد يكون جزءاً من المادة الحمراء في دماء البشر، وفي دماء كثير من الحيوانات، كما يشكل الحديد جزءاً من المادة الخضراء في أجسام كل النباتات، ولذلك فالحديد لازمة من لوازم الحياة، والقرآن يقول ﴿ **وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ﴾، وقد تأكد لنا أن ذرة الحديد شديدة التماسك، ومن ثم فهي شديدة البأس، وأن له من المنافع العديدة ما جعل الأرض صالحة للعمران، وجعل الحياة ممكنة بإرادة الله سبحانه وتعالى، وجعل من الحديد العمود الفقري للصناعات الثقيلة الحربية منها والمدنية في حياة الإنسان.

---

[1] . النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 3 / 20.

والذين أثبتوا وتحدثوا عن الأصل الخارجي للحديد في أرضنا وفي مجموعتنا الشمسية هم من غير المسلمين، وأكدوا على هذه الحقيقة بأن الطاقة اللازمة لتكوين ذرة حديد واحدة تفوق كل الطاقة في مجموعتنا الشمسية أربع مرات، ولذلك يمن علينا ربنا سبحانه وتعالى بإنزال الحديد، ويقارن ذلك بإنزال الهداية الربانية في صورة وحي السماء "الحديد، آية 5". ومن الأمور المذهلة أن رقم سورة الحديد يساوي الوزن الذري للحديد "57" والحديد له ثلاثة نظائر وزنها الذري 54، 56، 57، ورقم الآية 25 والعدد الذري للحديد 26، فإذا اعتبرنا البسملة آية من السورة يكون رقم الآية 26 مساوياً للعدد الذري للحديد . [1] فسبحان الخالق العظيم.

**أهمية الهواء للمخلوقات:**

**قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ .**

(سورة الأنعام: الآية 125)

بعد أربعة عشر قرناً من توجيه القرآن الكريم لنظر الإنسان إلى السماء، وأمره له بدراسته موضحاً له أن الجن سبق لها أن نجحت جزئياً في غزو السماء إلى درجة استطاعت معها أن تتوغل فيها إلى قدر محدد، وأن الإنسان سيحاول كذلك ما سبق أن حاولته الجن، وأن الإنسان كذلك لن يستطيع أن يصل إلا إلى حد مقدر لا يتعداه، فهل هذا القدر داخل المجموعة الشمسية؟ أو خارجها ؟ وإذا كان داخل المجموعة الشمسية فهل إلى الكوكب القريب منا

[1] . المصدر السابق، 1/ 89.

فقط وهو القمر؟ أم إلى البعض البعيد عنا كالمريخ أو الزهرة؟ أم إلى البعيد جداً منها، هذا ما لا يعلمه الإنسان، والله وحده أعلم حيث اراد ولا يكون إلا بإرادته، وحيث شاء، ولا تتم إلا بمشيئته، بعد هذه الفترة الطويلة التي تبلغ أربعة عشر قرناً اتجهت أنظار العلماء إلى السماء تحاول الكشف عن أسرارها، ولكن بطرق جديدة تهدف إلى تحقيق غزو السماء وأصبح ما كان يتخيله الكتاب والأدباء والشعراء من اختراع مركبة تنزل بهم إلى القمر أو ما يحلم به العلماء الطبيعة من قذيفة تطلق من مدفع ضخم بها إنسان يصل فيها إلى القمر، أصبح ذلك موضع التجريب العلمي، والبحث العلمي.

وإن الإنسان لا يستطيع أن يتخيل قدر ما أنفقته الدول المختلفة في دراستها لطبيعة المرحلة الانسيابية إلى السماء، سواء أكان من الناحية المالية، فقد يبلغ قدر هذا الإنفاق رقماً هائلاً من الجنيهات قد لا يمكن حصره أو كتابته، أو من الناحية العلمية كالتجارب والأبحاث، فإن الصعوبات التي تكتنف الرحلة في السماء مما لا يمكن تصورها بسهولة، وبدرجة سليمة، فإن أول الصعوبات التي تعترض الإنسان في غزوه للسماء هي انعدام طبيعة الهواء عن الصورة التي نعهدها، فقد وجد بالتجربة أنه على ارتفاع 13 ألف قدم على وجه التقريب يبدأ الهواء يتخلخل بحيث يظهر تأثير ذلك على الإنسان حيث يتنفس بصعوبة بالغة، وتقل قدرته على التفكير، ولا يستطيع التركيز أو التذكُر ولا التخيل أو الاستنتاج، ووجد أنه حتى بالكمامات التي تمد الإنسان بالأكسجين يمكن معها الارتفاع إلى **20 ألف قدم**، أما فوق ذلك المنسوب فإن الأكسجين حتى ولو كان خالصاً لا يكفي، إذ يجب أن يكون ضغط الهواء معادلاً للضغط

الجوي عند سطح الأرض، إذ لو فقدت الغرفة التي بها الإنسان ضغطها على ارتفاع **45 ألف قدم** فإنه يصاب بما يسمى التنبه المفيد لمدة ثلاثين ثانية، وعلى ارتفاع **55 ألف قدم** تقل فترة التنبه المفيد إلى **15 ثانية** بعدها يتحول إلى فقدان في الوعي يتزايد بسرعة رهيبة، وعلى ارتفاع **63 ألف قدم** فإن الضغط الخارجي يكون من الانخفاض بحيث أن دم الإنسان يتحول في لحظة واحدة إلى رغوة كثيفة حمراء، وينتفخ جسمه كما ينتفخ الكعك وهو في النار، وقد قارب على النضج، ولقد كان التنفس وضغط الهواء وما يلاحظ على الإنسان من ضيق في صدره وصعوبة في نفسه عندما يخرج إلى طبقات الجو العليا هو الموضوع الأساسي والدراسة الهامة التي أنشأ العلم لها فصلاً مستقلاً بما يسمى طب الفضاء، وكل الأوصاف العلمية التي وصل إليها العلماء في هذا الصدد قد سبق القرآن الكريم على إيرادها وبيانها، نصاً صريحاً وواضحاً، **كما في الآية سابقة الذكر.** [1]

**يقول الدكتور: محمد جمال الدين الفندي:** "والحقيقة الثابتة هي أن الهواء تتناقص كثافته سريعاً بالارتفاع فوق سطح الأرض، وأن أكثر من نصف وزن الغلاف الجوي كله يتركز في الستة كيلو مترات الأولى، وأكثر من ثلاثة أرباع كتلته أو وزنه توجد في الاثنتي عشرة كيلو مترا الأولى، وتبلغ كثافة الهواء على ارتفاع **(80)** كيلو متر فوق السطح نجد جزء واحد من مائة جزء من كثافته عند السطح، أي أن **99%** من كتلة هواء الأرض توجد في الطبقة الأولى الممتدة على نحو **(20)** كيلو متراً، وهذا هو سر تناقص الأكسجين الجوي سريعاً مع الارتفاع

[1] . انظر: نوفل: السماء وأهل السماء، 141.

حتى أن الإنسان يشعر بضيق الصدر مع الارتفاع، ويختنق على علو **(12)** كيلو متراً فقط". [1]

**طبقات السماء:**

**قال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾** . (سورة الانشقاق: الآية 16–19)

الشفق هو ما يشاهده الإنسان في السماء بعد الغروب، فكأن القسم يشير إلى السماء، والليل وما وسق، فإن الليل تظهر فيه النجوم بكثرة بالغة، فالقسم إذاً بالنجوم والكواكب، والقمر إذا اتسق، أي إذا وضح وضوح الرؤية والمعرفة، ولا يتم ذلك يقنياً إلا بزيارته، والتعرف عليه وهو ما نجح الإنسان في معرفته بهبوطه عليه، ثم وردت الآيات جواب القسم أن الإنسان سيركب طبقاً عن طبق، فإذا الطبق هو الجهاز الذي سيركبه الإنسان وهو سفينة الفضاء، فإن ذلك ما قرره العلم، واتخذ إجراءات تنفيذه، وإذا كان الطبق هو المرحلة المكانية أي طبقة السماء، فهذا ما لابد منه، وما حققه العلم، إذ قرر أن الإنسان سينتقل في غزوه للسماء من طبقة إلى أخرى، ومن القمر، إلى ما بعده. [2]

بهذا الغزو وبهذه المكتشفات سيرى الإنسان آيات الله في الكون والآفاق، وسينكشف امامه كثير من المحجوبات، أمام كل هذا ماذا سيكون موقف الإنسان؟ سؤال كبير وعظيم،

---

[1] . الفندي: الله والكون، ص11 .

[2] . انظر: نوفل: السماء وأهل السماء، ص155 .

تجيب عنه الآية اللاحقة للآيات السابقة ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ . (سورة الانشقاق: الآية 20-21)

**معجزة البحار والأنهار:**

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ . (سورة الفرقان: الآية 53)

وقال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ . (سورة الرحمن: الآية 19-21)

**مرج تأتي بمعنيين:** أرسل وخلط، يقال مرج الإبل في المرعى إذا أرسلها فيه، كما يقال مرج الماء واللبن، إذا خلطهما ، إذن فقوله ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ، إما أن يكون بمعنى أرسلهما متجاورين متلاقين، لا فصل بين مائيهما في مرأى العين، وإما أن يكون خلطهما فهما يلتقيان، والبرزخ: الحاجز بين الشيئين، ومثله الحجر، ولعل معنى ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ستراً مستوراً .

وهذا البرزخ والحجر إما حقيقيان بمعنى أن بين البحرين برزخاً من اليابسة، وكأن المقصور مطلق البحر العذب ومطلق البحر الملح ووجودهما على ظهر المعمورة، وإما مجازيان بمعنى قدرة الله ويجرى مع ذلك فهمان متقابلان، فهم يمثله التقاء الأنهار بالبحار والمحيطات، وأن كلاً من المائين العذب والملح لا يجاوز حده، وهو معنى "**الَّا يَبْغِيَانِ**" فكل منهما لا يبغي على صاحبه ولا يطغى عليه بالممازجة والاختلاط، وفهم آخر أعم وهو قدرة الله على أن

خلق البحار ملحة والأنهار عذبة، والتقاؤهما ليس التقاءً حقيقياً، وإنما هو التقاءٌ في مرأى العين، بمعنى أن الإنسان يراهما، وإذا رأى أحدهما تذكُر صاحبه.

وهكذا يكاد يجمع المفسرون على أن المراد بالبحرين مياه البحار الملحة، ومياه الأنهار العذبة، **قال الزمخشري: "وسمي الماءان الواسعين بحرين، والفرات: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة، والأُجاج نقيضه".** [1]

فسبحان الله الذي أجرى البحرين، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج، وبقدرة الله ومشيئته جعل بينهما برزخاً وحاجزاً منذ فطرهما الله.

ومجاري الأنهار تكون غالباً أعلى من سطح البحر، وعليه يصب النهر العذب في البحر الملح، وبهذا التقدير الدقيق لا يطغى البحر المحيط على النهر الصغير، وليس هذا التقدير مصادفة عابرة، بل هو مطرد يتم بإرادة الخالق الذي أنشأ هذا الكون لغاية تحققها نواميسه في دقة وإحكام.

وقد يشير السياق إلى نعمة الله على عباده بعدم اختلاط الماء الملح المتسرب من البحار في الصخور القريبة من الشاطئ بالماء العذب المتسرب إليها من البر اختلاطاً تاماً، بل إنهما يلتقيان مجرد تلاق يطفو العذب منها فوق الملح كأن بينهما برزخاً يمنع بغي أحدهما على الآخر وحجراً محجوراً، حاجزاً خفياً مستوراً لا نراه، وقد روعي في نواميس هذا الكون ألا تطغى مياه

---

[1] . الزمخشري: الكشاف، 96/3.

المحيطات الملحة لا على الأنهار ولا على اليابسة، في حالات المد التي تحدث من جذب القمر للماء من على سطح الأرض، ويرتفع به الماء ارتفاعاً عظيماً .

يقول صاحب كتاب **(العلم يدعو للإيمان)**: **" يبعد القمر عنا مسافة مائتين وأربعين ألف ميل، ويذُكرنا المد الذي يحدث مرتين تذكيراً لطيفاً بوجود القمر، والمد الذي يحدث بالمحيط قد يرتفع إلى ستين قدماً في بعض الأماكن، بل إن قشرة الأرض تنحني مرتين نحو الخارج مسافة عدة بوصات بسبب جذب القمر، ويبدو لنا كل شيء منتظماً لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة التي ترفع مسافة المحيط كلها عدة أقدام، وتنحني قشرة الأرض التي تبدو لنا صلبة للغاية"** . [1]

ولا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن هذه البحار الملحة ليست ساكنة لا تجرى مياهها كما وصفها **"ابن كثير"** بل هي في حركة دائمة.

يقول صاحب كتاب: **(من الخالق. . الله أم الصدفة):** انظر إلى حركات مياه البحر، وإلى عملية صعود المياه الأدفأ والأخف، وهبوط المياه الأبرد والأثقل.

وهذه العمليات التي تتمثل في هبوط المياه الباردة إلى أسفل، وصعود المياه الساخنة إلى أعلى تجعل جزئيات الماء غير ساكنة وغير راكدة، فنرى الجزئيات مثلاً عند القطب المتجمد الشمالي والجنوبي، ثم نراها بعد ذلك على خط الاستواء، وبذلك تمد هذه العمليات كل الكائنات الحية في البحر باحتياجاتها، حيث تحمل المياه الهابطة الأكسجين معها إلى أسفل،

1 . موريسون: العلم يدعو للإيمان، 55 .

إلى قاع المحيط نفسه، كما أنها بذلك توزع الأملاح والمعادن الأخرى هنا وهناك في الماء، تماماً كما يضع الفلاح السماد في أرضه ويوزعها لتصنع الخصب، وهذه المعادن ضرورية لحياة النبات التي هي غذاء الحياة الحيوانية في البحر.

ويشبه العلماء هذه الدورة التي تحدث في المحيطات، والتي تؤدي إلى تجديد المياه، بدورة الدم في جسم الإنسان عندما ينساب الدم من القلب إلى أطراف الأصابع، في الأقدام والأذرع، ثم يعود مرة أخرى إلى القلب، وتعتمد الحياة في الكرة الأرضية على دورة المياه في البحر كما يعتمد الجسم على دورته الدموية في حياته.

والصعود المستمر للماء وهبوطه، وزحف المياه البطيء إلى قاع المحيط، كل ذلك ينظف البحر وينقيه، وهذا بدوره أيضاً يحمي المياه من أن تأسن ويعتريها العفن كما يحدث لماء البركة الراكدة.

وهكذا تتعاون الملوحة مع تيارات المياه في منع العفن عن مياه البحر والمحيطات، وإذا وجدت منطقة لا توجد بها دورة مائية كتلك التي توجد في الأغوار السحيقة في البحر الأسود، التي أدى مثل هذا فيها إلى جمع المواد السامة حتى أن الأسماك أصبحت غير قادرة على المعيشة بها، فكيف حدث هذا التناسق الرائع؟

وهل الصدفة هي التي جعلت المياه تهبط وتعلو؟ وهل تدرك الصدفة أنها بذلك تجدد المياه.

وهل تعرف الصدفة أن هذا التجديد يمد الاعماق بمزيد من الأملاح والغذاء؟

وهل تعرف الصدفة أنه لولا ذلك التجديد في الهواء والغذاء لماتت أحياء كثيرة في البحار والمحيطات؟

وهل تدرك الصدفة أيضاً أن ذلك التجديد ينقي البحار ويمنعها من العفن؟

هل تعلم الصدفة ذلك وتعرفه؟

وإذا كانت البحار قد تجددت في هوائها وتجددت في أملاحها، فهل كان ذلك للعبث؟

هل تدرك الصدفة أنها بذلك تحافظ على الحياة والأحياء؟ مرة أخرى نقول: أنه التدبير المقصود، لم يُخلق شيء للعبث، ولم يُخلق باطلاً. [1]

ومن تدبير الله ملوحة البحر، فمن هذا الماء الملح يأخذ الإنسان تلك المادة الأساسية اللازمة لطعامه ولغيره من الشؤون، كما أن ملوحة البحر ضرورية وحيوية للأسماك والأحياء المائية كضرورة الهواء النقي للإنسان.

ومن المعروف أن بعض الأسماك لا يستطيع الحياة لو عدمت تلك الملوحة، وصارت المياه عذبة، فالملوحة تلائم المخلوقات التي تعيش في البحار والمحيطات.

كما أن الملح نفسه يعطي الماء كثافة لازمة لسهولة الملاحة والسير بالسفن في البحار، وبذلك تستطيع السفن الضخام بحمولتها أن تبخر لباب اليم لتجوب أقاصي الأرض، دون أن تخشى غرقاً أو فرقاً أو صعوبة، وهناك كثير من "الجواري المنشآت في البحر كالأعلام" لا يتيسر لها أداء مهماتها في الأنهار العذبة كما يتيسر لها في البحار الملحة.

[1] . انظر: مدبولي: من الخالق . . الله أم الصدفة، 76.

وعن ملوحة البحر يقول الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "زاد المعاد" ﴿وقد جعله الله سبحانه ملحاً أجاجاً مراً زعافاً لتمام مصالح من هو على وجه الأرض من الآدميين والبهائم، فإنه دائم راكد كثير الحيوانات وهو يموت فيه كثيراً ولا يقبر، فلو كان حلواً لا نتن من إقامته وموت حيوانه فيه وأجاف، وكان الهواء المحيط بالعالم يكتسب منه ذلك وينتن ويجيف فيفسد العالم، فاقتضت حكمة الرب سبحانه وتعالى أن يجعله كالملاّحة التي لو أُلقى فيها جيف العالم كلها وأنتانه وأمواته لم تغير شيئاً، ولا يتغير على مكثه من حين خلق وإلى أن يطوي الله العالم، فهذا هو السبب الغائي الموجب لملوحته. . [1]

ولا ريب في أن نعمتي البحار والأنهار من أعظم النعم التي أخفاها الله على الإنسان، أما الأنهار ففيها الماء العذب كيمياء الحياة، وأما البحار ففيها الأسماك التي أُحل للناس صيدها وطعامها، وفيها الحُلي وغيرها من المنافع التي ذُكرها القرآن: ﴿ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ . (سورة فاطر: الآية 12)

وتنوع الماء وتقسيمه بين فرات سائغ، وملح مرّ، لم يجيء مصادفة ولا جزافاً، فوراء هذا التنويع حكمة وتقدير عجيب، فالماء العذب السائغ اليسير التناول نعرف جانباً من حكمة الله فيما نستخدمه وننتفع به، وهو قوام الحياة لكل حيّ، وأما الماء الملح الذي يغمر نحو ثلاثة أرباع سطح الأرض، ويتصل بعضه ببعض، فهو القدر اللازم بدقة لتطهير جو الأرض وحفظه

[1] . ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، 230/3.

دائماً صالحاً للحياة، ويقول أحد العلماء في بيان التقدير العجيب في تصميم هذا الكون الضخم.

"وعلى الرغم من الانبعاثات الغازية من الأرض طول الدهور –ومعظمها سام– فإن الهواء باق دون تلوث في الواقع، ودون تغير في نسبته المتوازنة العظيمة لوجود الإنسان، وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء الذي استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل، والنباتات". [1]

ومن هذه الكتلة الضخمة الواسعة تنبعث الأبخرة تحت حرارة الشمس، وهي التي تعود فتسقط أمطاراً يتكون منها الماء العذب في جميع أشكاله، وأعظمها الأنهار، والتوافق بين سعة المحيط وحرارة الشمس وبرودة الطبقات العليا للجو، والعوامل الفلكية الأخرى، هو الذي ينشأ عنه المطر الذي يتكون من كتلة الماء العذب.

ولعل من تمام القول أن الجسم الصلب أكبر كثافة من نفس مادته السائلة، ولا يمكن أن يطفو بل يغوص، فمن أبسط الأمور المعروفة في علم الطبيعة أن الماء دون غيره من السوائل يبلغ أقصى كثافة له عند درجة مئوية تقريباً، ويكون الماء الصلب أو الثلج أخف من الماء السائل فيطفو على سطحه كما يحدث إذا وضعنا قطعة ثلج في كوب من ماء، وهكذا تطفوا قطع الجليد التي تنفصل من القطب على سطح المحيطات فلا تغرق في اليم، وتبقى معرضة لضوء الشمس وإشعاعاتها حتى تذوب، ولكن لو كان الثلج أثقل من الماء السائل لغاص إلى قاع

[1] . موريسون: العلم يدعو للإيمان، 66.

المحيط المظلم الذي لا تصله أشعة الشمس، والذي تظل درجة حرارته عند الصفر، أي نفس درجة حرارة الثّلج، معنى هذا هو : ماذا كان يحدث لو تراكم الثلج في قاع المحيط ولم يتمكن من الذوبان؟ حتماً كان يتجمد ماء الأرض وينعدم البحر ولا يكون هناك مطر، فتموت الأحياء بدورها على اليابس وتفنى الحياة، ولكن الله سبحانه وتعالى قدر كل هذا فقال للماء كن هكذا فكان، وهذه العناية تكمن وراء عالم المادة. [1]، فسبحان الله الذي أتقن كل شيء خلقه.

**يقول عبد الرزاق نوفل:** كان من المتداول المعروف أن قاع البحار والمحيطات حالك الظلام، وأن أشعة الشمس أو أنوار القمر لا يستطيع أن يخترق أبعد من سطح الماء بقليل لا يذكُر، إلا أن التقّارير العلمية التي نشرت في أواخر عام 1976م قد ذُكرت أن الغواصين الذين هبطوا إلى أعماق المحيطات ليلاً شاهدوا منظراً مذهلاً، مئات المصابيح الكهربائية المتعددة الألوان تنبعث من الأسماك المضيئة وتنشر حولها أنواراً تحيل ليل وظلام البحر إلى نهار ساطع حتى أن ما قام الغواصون بتصويره كان على أضواء هذه الأسماك، ويقول العلماء إن هذه الأضواء تنطلق من نوع من البكتيريا المضيئة يعيش تحت عيون تلك الأسماك، وتستخدم الأسماك هذه الأضواء في جذب ما تتغذى عليه من صغار السمك كما أنها تدافع به عن نفسها بما تسببه من ارتباك لأعدائها، وكذلك تتجنب الاصطدام بالصخور والعوائق.

[1] . الفندي: من روائع الإعجاز في القرآن الكريم، ص 25.

ويتابع التقرير العلمي الذي نشر وأذيع قوله، هل يمكن أن تستفيد البشرية من تلك المعجزة البحرية وتستعين بالبكتيريا المضيئة لإنارة منازلها ومدنها، واعتبار هذه الكائنات مصدراً للطاقة يوفر الآن البلايين من الجنيهات سنوياً . [1]

**قال تعالى ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .** (سورة لقمان: الآية 11)

عندما ينزل الشعاع الضوئي من الشمس تعترضه السحب حيث توجد بكثرة فوق المحيطات، نظراً لكثرة التبخير، فيتشتت جزء من الضوء بسبب هذه السحب، وتمتص السحب جزءاً آخر، فينشأ عند ذلك ظلمة تحت السحاب، ثم إذا سقط باقي الشعاع على سطح البحر قابله الموج المتعرج المائل، فينعكس جزء من الأشعة ثم يدخل الجزء المتبقي من الأشعة إلى داخل البحر، فيمتصه البحر في طبقات متعددة، والشعاع الضوئي له سبعة ألوان هي ألوان الطيف، وكل لون منها له طاقة خاصة، وطول موجه خاص، فلذلك لا يتمكن من اختراق الماء بقوة متساوية، فأول شعاع يُمتص نهائياً هو الشعاع الأحمر، وهذا يمتص في العشرة أمتار الأولى العليا السطحية، فيحدث بعد ذلك منطقة ظلام من اللون الأحمر، وتعقب ظلمة اللون الأحمر ظلمة اللون البرتقالي، فظلمة اللون الأصفر، فالأخضر، فالأزرق، فالنيلية، فالبنفسجية، وهكذا طبقة بعد طبقة، ظلمة فوق ظلمة، أو ظلمة تحت ظلمة، حتى نصل إلى ظلام دامس، يبدأ الظلام الشديد على عمق مائتي متر، ويشتد عند مسافة خمسمائة متر

[1] . انظر: نوفل: الله والعلم الحديث، ص 83.

أسفل، وينعدم الضوء نهائياً على عمق ألف متر. إذن فالشعاع عندما ينزل تكون فيه ظلمات بعضها فوق بعض، الظلمة الأولى بسبب السحاب، والثانية بسبب الموج السطحي، والظلمات الأخرى هي ظلمات الألوان التي تحدث طبقة بعد طبقة. (1)

هذا قليل من قليل عن البحار والمحيطات، والحديث عن البحار والمحيطات طويل، ولكن أردنا أن نوجز الحديث حتى لا يطول البحث ونحن أردناه موجزاً، ننتقل الآن للحديث عن الأنهار التي تجري في الأرض، ماذا قال القرآن الكريم عنها، مالها وما عليها .

**عُذوبة ماء الأنهار:**

قال تعالى: ﴿ **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ . (سورة النحل: الآية 15)، وقال تعالى: ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ** ﴾ . (سورة محمد: الآية 15)، النهر في اللغة "المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر، يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر، واللغة العالية نهر بفتح الهاء، ومدار التركيب على السعة، وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي" (2)

وللأنهار في القرآن حديث جليل، جعلها الله في طلائع النعم التي يفيضها على عباده في جناته يوم القيامة، حتى لكأن الجنة لا تكون جنة إلا بهذه الأنهار، والأنهار في الحياة الدنيا

[1] . اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 216.

[2] . انظر: الزمخشري: الكشاف، ص 208/1.

هي شرايين الحياة، فهي تنتشر في الأرض شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، تحمل معها الخصب والنماء، وتكون الأنهار من تجمع مياه الأمطار وجريانها وفق طبيعة الأرض.

ومن المشاهد أن معظم أنهار الأرض تصب في البحر بعد أن تسلك سبلاً متعرجة وسط الوديان الواسعة والممرات الجبلية الضيقة، ووسط الغابات الكثيفة، ووسط الحدائق والمراعي والمروج، يجتاز المدن والريف، وكل هذه الأنهار مسخرة لخدمة الإنسان، وارتبطت حياة الإنسان ارتباطاً وثيقاً بالأنهار الجارية، ومن ملايين السنين نشأت على ضفافها أقدم الحضارات في الأرض. [1]

والله الذي خلق هذا الكون هو الذي قدر إمكان تكون السحب، ونزول المطر، وجريان الأنهار، وما يملك أحد أن يقول: إن أحداً سوى الخالق قد شارك في خلق هذا الكون على هذا النحو، وجريان الأنهار حقيقة واقعة يراها المشركون والمؤمنون، العالمون والجاهلون.

"فالله سبحانه وتعالى قد جعل الأرض قراراً للحياة بما أودعها من الخصائص التي تجعلها قارة بنفسها، أي ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترتجف بهم، فإنها لو كانت كذلك ما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً وبساطاً، ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، وجعل فيها الأنهار العذبة الطيبة، شقها من خلالها وصرّفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرّها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، بحسب مصالح عباده في

1 . الفندي: مع روائع الإعجاز في القرآن الكريم، ص27.

أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض ومسيّر لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه " [1]﴾

**مخلوقات غير الإنسان:**

قال تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 44)

أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع، إلى أن في السماء أحياء عقلاء يسبحون له، وأن القرآن لهو أول كتاب تعرض لوجود الأحياء في السماوات، أما العلم فما زال يجدُّ البحث في هذه الناحية، إلى أن وصل إلى شواهد وأدلة تعتبر فتحاً جديداً في العلم الحديث.

جاء في كتاب للماجور "دونالد كيهو" في سلاح البحرية الأمريكية أنه في 30 يونيو 1908م، حدث في أواسط سيبيريا أن سقط ما سمى في ذلك الوقت، شهاباً جباراً، وقد بلغ الدمار الذي أحدثه، أنه اعتبر من أعظم الكوارث الطبيعية التي حلت بكوكبنا وأشدها هولاً. وقد كانت الصدمة على درجة من العنف، حتى أن جميع محطات رصد الزلازل في العالم سجلتها، وأحدث الانفجار صوتاً كالرعد، أو كطلقات المدافع سمع على بعد أكثر من ألف كيلو متر من مكان السقوط، وعلى بعد 600 كيلو متر انقلب الناس والحيوانات على الأرض وما عليها، وارتفع في الجو عمود من اللهب والمعادن المنصهرة، يبلغ طوله عشرين ألف متر،

[1] . ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 3 /370.

وكان الناس يحسون بحرارته على بعد 85 كيلو متراً . وظلت السماء خلال عدة ليال متعاقبة مضيئة بضوء عجيب بلغ من شدته أنه كان يمكن من القراءة والتقاط الصور حتى على شواطئ الأطلنطي.

وقد اثبت عالم روسي في عام 1953م أي بعد دراسة 45 عاماً، أن ذلك الحادث لم يكن جرماً سماوياً اطلاقاً، وإنما سفينة كوكبية آتية من كوكب وارتطمت بالأرض وتفتتت.

وفي 6 مارس 1959م أذاعت الجهات العلمية في روسيا أنه صدر كتاب يثبت بالأدلة أن هذا الحادث هو بسبب سفينة قادمة من كوكب الزهرة، وأن من مات من الأهالي بسبب الحادث كان موتهم بأعراض مرض غامض ينطبق على من يموت بالإشعاع الذري، وأن الحديد الباقي لا يشبه حديد النيازك، ولا حديد الأرض اطلاقاً .

وفي ربيع 1953م وجد في "كونكتكت" بالولايات المتحدة كرة معدنية غريبة، قطرها متر، وفي داخلها اسطوانة تدور بسرعة كبيرة، وقد نقلت هذه الكرة الغامضة في الحال إلى المعامل لتحليلها، ونزلت نتيجة التحليل كالصاعقة على علماء الطبيعة والكيمياء، الذين استولى عليهم الذعر والذهول، فقد ثبت أن ذلك المعدن كان من الكوبالت في حالته الطبيعية الخالصة، وقد لا يحمل ذلك أي مغزى للشخص العادي، ولكن عندما تعلم أن الكوبالت في حالته الطبيعية الخالصة، ليس له وجود على الكرة الأرضية، فإنك تدرك مدى الغرابة في هذه الواقعة، وتدرك صدق القرار الذي اتخذ في هذا الشأن، من أن هذه الكرة جاءت من كوكب آخر.

**ويقول الفلكيون في الوقت الحاضر:** أنه من المؤكد أن هناك ملايين الكواكب المسكونة بمخلوقات وهبت العقل والذكاء، وقد أيدت هذه النظرية بعض الوقائع التي لوحظت خلال السنوات الثلاث الأخيرة، وأهم هذه الأدلة هو بلا شك الانفجار الغامض الذي حدث في المريخ عام 1949م، وقد لاحظ هذه الظاهرة فلكي ياباني مشهور اسمه **"تسونيو ساهيكى"** الذي لم ينقطع عن مراقبة المريخ من عام 1933م، ولذلك فإن لتقريره وزناً كبيراً، وقد أحدث الانفجار الذي حدث تحديداً يوم 9 ديسمبر 1949م ضوءاً ساطعاً خلال عدة دقائق، تكونت على أثره سحابة مضيئة رمادية تميل إلى الاصفرار، بلغ ارتفاعها 64 كيلو متراً، وقطرها 112 كيلو متراً، ويرى العالم المذكور أن هذا الانفجار قد حدث بواسطة مخلوقات على درجة هائلة من الذكاء أطلقت من مكانها قذيفة على المريخ للبحث والدراسة والاختبار.

ومما أُذيع في 15 يناير 1957م أنه قد تكونت جمعية في مدريد، تضم مائة عضو، وتطلق على نفسها جمعية **(أصدقاء الزائرين في عالم الفضاء)**، وذلك لدراسة الظواهر غير العادية التي تؤكد بأن الأرض يزورها رجال الفضاء، أو على الأقل من كواكب أُخرى. ويجتمع هؤلاء الأعضاء كل أسبوع في مدريد، ومما يستندون إليه من أدلة على زيارة الأرض لرجال من العالم المجهول، ما يحتفظون به من حجر يؤكدون أنهم أخذوه من قائد طبق طائر، تحت شجرة بحديقة جامعة مدريد في الساعة الثانية من صباح أحد أيام شهر نوفمبر 1954م، وهذا الحجر كان في البداية وردي اللون ثم تحول لونه إلى الاخضرار ثم الاصفرار، وهو ملحي المذاق

وقابل للاحتراق، وعلى سطحه رسوم كالكتابة الهيروغليفية، وقد أرسلت قطعة من هذا الحجر إلى معملين جيولوجيين في اسبانيا، وإلى معهد علمي في نيويورك، ولكنهما لم يستطيعا تحليله، لافتقارهما إلى الأجهزة اللازمة التي تستطيع بها أداء هذا التحليل.

وقد صرح الأدميرال **"بلمر فاهرناي"** المشرف على توجيه الطائرات والقذائف الموجهة، والمرشح للعمل بمكتب الملاحة الجوية، في حديث له في 17 يناير 1957م بأنه شاهد أجساماً طائرة مجهولة يبدو أنها موجهة بفعل كائنات مفكرة تخترق طبقات الجو، وأن هذه الأجسام تطير بسرعة مذهلة لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها.

وقد جاء في تقرير نشر في 11 مارس 1957م لأحد طياري شركة بان أمريكان أن جسما غريباً اعترض طائرته وهي في منتصف الطريق بين نيويورك وسان جون، وقال الطيار أن هذا الجسم واجه الطائرة بطريقة مباشرة، وأنه اجتاز فترة عصيبة حتى يتفاداه، وقد أمضى ركاب الطائرة مدة من الوقت في المستشفى من أثر الصدمة والانفعال اللذين تسببا عن محاورة الطيار للجسم الغريب، وصرح متحدث رسمي أن طائرات أخرى تعرضت لأكثر من جسم ولم يمكن تحديد ماهية هذا الجسم.

وفي أوائل عام 1964م أعلنت المصادر العلمية في أمريكا أنها استطاعت بمعرفة بالون من التقاط مجموعة من البكتريا الحمراء والبرتقالية اللون، من ارتفاع يزيد على خمسين ألف قدم، ولم يتمكن العلماء من معرفة وسائل حياة هذه البكتريا، ولا طريقة حصولها على غذائها، ولكن وجودها حية في هذا الارتفاع إنما يدل دلالة أكيدة على وجود أحياء في الفضاء.

وفي عام 1976م أعلنت العقول الالكترونية أن الأطباق الطائرة حقيقة، وأنها آتية من كواكب أُخرى وبها مخلوقات، وقد تساءل عالم الفضاء الفرنسي الذي كان يقوم بهيئة الأبحاث وهو "**كلود بهلر**" من أين تأتي، وقد رد على السؤال العالم الأمريكي "**روبرت ساميلى**" بأن هذه الكائنات هبطت الأرض لأول مرة من خمسة آلاف سنة ، وأنها تحاول مغادرة الكرة مرة ثانية حالياً، وقد تم تشكيل لجنة عالمية بناء على طلب روسيا وأمريكا لدراسة الإشارات الكهرومغناطيسية التي ترد إلى الأرض من كواكب أُخرى، والتي أمكن رصدها ولم يمكن حل رموزها ، وأن هذه الإشارات تعاود محاولات الاتصال بالأرض على فترات متقاربة، وأنها من حضارات تزيد على حضارة الأرض، ومن أذكياء يفوق ذكاؤهم ذكاء أهل الأرض.

وفي 14 فبراير 1969م، أعلنت الجهات الرسمية بالبرازيل أن سلاح الطيران يحقق في حادث وجود جسم طائر يحمل أربعة رجال صغار الحجم لونهم أخضر، هبط بالقرب من بلدة "**بيراسو نونجا**" في ولاية "**سان باولو**" أليس ذلك دليلاً على معجزة القرآن، الذي قال بوجود الأحياء في السماوات والأرض، من أربعة عشر قرناً . [1]

**وحول هذا الموضوع يتحدث عبد الرزاق نوفل في كتاب: غزو الفضاء بين أهل الأرض وأهل السماء يقول:**

فيما يزيد على نيف وثلاثمائة مرة كرر القرآن الكريم لفظ السماء والسماوات، وذلك لتوجيه نظر الإنسان إليها، ودفعه إلى دراستها، ومحاولته الوقوف على بعض ما فيها، وما يظهر

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، ص 189.

عليها، ومنها، بل إنه أمر بالنص الواضح وبالقول الصريح، دراسة السماء **في مثل النص الشريف:**

**﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ .**

(سورة يونس: الآية 101)

وهذه إشارة واجبة النفاذ، أن يدرس الإنسان ما في السماوات وما في الأرض، وأن يدعو غيره إلى ذلك، بل أن القرآن الكريم أمر في آيات كثيرة أن ندرس ملكوت السماوات، كما ندرس ملكوت الأرض، أي ملك الله العظيم، الذي في السماوات وملكه العظيم الذي في الأرض، والملك إنما يتضمن الوحدات والكائنات، والنظام، وكل ما يتصل به، ومن هذه الآيات الشريفة قوله تعالى:

**﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾** . (سورة الأعراف: الآية 185) .

ولأن السماء والأرض، وما بينهما إنما هي لتحقيق النظام الأكمل والهدف الأمثل، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾** . (سورة الأنبياء: الآية 16) .

وهكذا قرر القرآن الكريم أن السماء إنما خلقت لأهداف وأغراض، وأن الخلق منها مقصود، والقصد ممدود، فهي ليست خلاء أو أن ما بها مجرد وحدات في السماء، وهكذا الأرض وأيضاً كل ما بين السماء والأرض.

ثم أورد القرآن الكريم حقيقة علمية، سبق بها العلم ولا يزال في خلق السماوات والأرض، وهي أن السماوات السبع وأن الأرض كذلك، وذلك بالنص الشريف:

**﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾** . (سورة الطلاق: الآية 12) .

ولا شك أن العلم، أي علم، وكل علم، في أي زمن، وإلى أي زمن لا يستطيع أن يحدد عمق كل سماء، ولا إلى أين تتجه، إلا أن علم ما وراء الطبيعة، قد قرر أن السماوات ذات اهتزازات متغايرة وأنها على سبع درجات من الاهتزاز، فهي سبع، وبذلك فلا يمكن للإنسان وهو في حيلته الدنيا أن يعلم ولو القليل عن حجم كل سماء، طولها، وعرضها، وعمقها، وإنما يشير القرآن الكريم إلى أن السماء الدنيا، وهي السماء الأولى، هي التي فيها الكواكب بالنص الشريف: **﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾** . (سورة الصافات: الآية 6)، بل إن النجوم كلها، في السماء الدنيا، وذلك بالنص الكريم: **﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾** . (سورة فصلت: الآية 12) .

هذه السماء الدنيا أو السماء الأولى، والتي يقرر القرآن الكريم، أنها سماء الكواكب والنجوم، يقول العلم أن النجوم التي بها، تبلغ ملايين الملايين، والمسافات التي بينها أبعد مما يتخيله العقل، أما عمقها فإنه يقاس بالسنة الضوئية، وهي ضاربة في العمق إلى أبعد ما يتصور الإنسان، فإلى أي بُعد يمكن أن يتخيله العقل فهي أبعد منه، والى أي عمق يمكن أن يصل إليه العلم، فهي أعمق منه، فكيف يا ترى السماء الثانية، ثم الثالثة، فالرابعة حتى السماء السابعة،

ترى كم نجم، وعلى أي شكل يكون النجم، وكم كوكب، وعلى أي شكل يكون الكوكب في السماء الثانية، ثم الثالثة، وماذا عن السماء السابعة، أم ترى أن بها ما هو غير النجوم، فيما لا نعلم، وغير الكواكب، فيما لا نعرف، وعلى أي حال . . . فإن الحقيقة أن السماوات سبع، وأن الواحدة فيها بلايين الوحدات، وأن الأرض، كذلك سبع، فهل كل أرض تضم كما تضم السماء، بلايين الوحدات من الكواكب الأرضية، أم أنها سبع أرض في السماء الدنيا، و أن الكثرة العددية لكل وحدات السماء وضخامتها، وكذلك الأرض قد أشار الله سبحانه وتعالى إليها، إذ أطلق على ما فيها ملكوت وذلك في مثل قوله الشريف: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾ . (سورة الأنعام : الآية 75)، ويقرر القرآن الكريم أن الحياة في السماوات كما في الأرض، وفيرة وكثيرة، وإن الأحياء فيها منتشرون، وبأعداد كبيرة، و بكثافات شديدة، وعلى أوسع مجال في الحركة والانتشار، فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ** ﴾ (سورة الشورى: الآية 29)، والدابة التي يشير إليها القرآن الكريم والموجودة في السماوات والأرض، هي الكائنات العاقلة، إذ كرر القرآن الكريم إطلاق لفظ "من" وهي التي تطلق على العاقل على هذه الكائنات الموجودة في السماء، والموجودة في الأرض في مثل النص الكريم: ﴿ **وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ . (سورة الروم: آية 26)، وكذلك ليست مقصودها الملائكة، فإن الآية الشريفة من سورة الشورى تشير إلى احتمال جمع الله لكائنات السماء مع كائنات الأرض، إذا ما اراد سبحانه وتعالى وكانت مشيئته ولم يقع بعد هذا الجمع في حياتنا المعاصرة

على الأقل، أو منذ ما سجل الإنسان تاريخه على الأرض، بينما الملائكة تجتمع بالإنسان منذ أن كان على الأرض، ويقرر القرآن الكريم أن الملائكة تنزل على المؤمنين الذين اخلصوا في عبادته واستقاموا على أمره وذلك بالنص الشريف: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ . (سورة فصلت: الآية 30)

كما أنها لا تشير إلى الشياطين، فإن الجن تنزل على الناس في حياتهم الدنيا، وذلك في مثل النص الشريف: ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ، تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** ﴾ . (سورة الشعراء: الآية 221-222)، وأورد القرآن الكريم، بعض سمات وأحوال أحياء السماء، فهم سيحشرون مع أهل الأرض يوم الحشر، عبيداً لله سبحانه وتعالى وذلك في النص الشريف: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** ﴾ . (سورة مريم: الآية 93-94)، كما تشير الآيات إلى أن عدد هؤلاء الأحياء من الكثرة البالغة، والانتشار الواسع، بحيث أن من ضمن صور قدرة الله سبحانه وتعالى، وعظمته، إحصاء هذه الأعداد الوفيرة، المترامية في أصقاع مجهولة، وأغوار سحيقة، وآفاق عميقة، وأنهم يسبحون لله عز شأنه، كما يسبح له أهل الأرض وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 44)، كما أنهم يسجدون له جل شأنه، كما يسجد كذلك أهل الأرض، ومنهم من يسجد طوعاً، ومنهم من يسجد كرها، وذلك بالنص الشريف: ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾ . (سورة الرعد: الآية 15) .

وأهل السماء يتحدثون، كما يتحدث أهل الأرض، فيعلم الله، لأنه العليم الخبير بما يقوله هؤلاء، وهؤلاء، وذلك بالنص الكريم: ﴿ **قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ** ﴾ . (سورة الأنبياء: الآية 4)، وحاجة أهل السماء كأهل الأرض إلى الله دائمة، ومتغيرة، فأحياء الأرض، يسألون الله سبحانه وتعالى كل يوم، في شأن من شئونهم المتغيرة دواماً، فالمخلوق يسأل الله في يومه الصحة إن كان مريضاً، وفي غده يسأله الرزق إن كان فقيراً، وفي يوم يسأله الولد إن كان عقيماً، أو القوة إن كان ضعيفاً، أو العفو إن كان تائباً، أو المغفرة إن كان نادماً، والجنة إن كان مؤمناً، وهكذا تتغير حاجات الناس، يومياً، وهكذا تتبدل وتتنوع أسئلتهم لله في مختلف شئونهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ **يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ . (سورة الرحمن: الآية 29)

وهكذا يقرر القرآن الكريم في نص صريح ولفظ واضح وقول بليغ أن السماء تفيض بالحياة، وتزحم بالأحياء . [1]

**اختلال نظام الأرض:** [2]

تتصدع الأرض ويعمها الاضطراب.

**يقول تعالى:** ﴿ **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ، خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ، إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا، وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا، فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثًّا** ﴾ . (سورة الواقعة: الآية 1-6)

[1] . انظر: نوفل: غزو الفضاء بين أهل الأرض وأهل السماء، ص70 .

[2] . انظر: قنيبي: المشاهد في القرآن الكريم، 159 .

هنا نلمح تصويراً لحال الأرض، فيه حركة ملازمة للتشقق والتصدع، ورجة الأرض هنا معناها اضطرابها، وحركتها السريعة إثر صعقة النفير.

والرّج في اللغة أصل يدل على الاضطراب، والرّج تحريك الشيء، تقول رججت الحائط رجاً، وارتج البحر، ويمكن أن يكون الرج هذا مستمراً منتظماً لتتفق الصورة مع بس الجبال أي تفتتها . وقد فسر ابن عباس الزلزلة بالاضطراب "تزلزلت الأرض زلزلة، واضطربت الأرض اضطراباً فانكسر ما عليها من الشجر والجبال والبنيان"، ومن هنا يتضح لنا معنى الزلزلة وما تعرضه من الاضطراب، والحركة السريعة الشديدة المرعبة كما صورتها الآيات الكريمة من سورة الزلزلة:

**﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾** . (سورة الزلزلة: الآية 1-4) .

ففي الآيات تصوير حي لحال الأرض حين ترج رجاً شديداً، وتزلزل بما فيها من جبال وأناس، وتلفظ ما في جوفها من الدفائن، وهي ترسم في الذهن زلزلة الأرض، واضطرابها الشامل، كما ترسم لنا ذلك الاضطراب الذي يعتري الإنسان، فيشعر بالأرض تهتز تحته، وتضطرب.

ويصيب الجبال من الاضطراب ما يصيب الأرض، ويصورها القرآن الكريم وقد سُيرت، أو نُسفت، أو انهارت من هول يوم القيامة:

﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا** ﴾ . (سورة الكهف: الآية 47)

هذه الآية تعرض مشهداً يتجلى فيه الهول المادي في تسيير الجبال الراسية، وبروز الأرض منها عادية، فهي قاع صفصف لا عوج فيها ولا نتوء، ثم يلي ذلك مشهد الحشر الجامع الذي لا يخلّف وراءه أحداً، ومشهد سير الجبال شُبه في سورة النبأ بالسراب، **قال تعالى:**

﴿ **يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا، وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا، وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا** ﴾ . (سورة النبأ: الآية 18-20) .

**قال الطبري:** "ونسفت الجبال، فاجتثت من أصولها: فصُيرت هباءً منبثاً لعين الناظر كالسراب الذي يظن من يراه عن بُعد ماء وهو في الحقيقة هباء" والسراب في المعاجم هو ذلك الذي تراه في نصف النهار وكأنه ماء .

والآيات الكريمة مع وصفها لما يصيب الجبال من التبدل المادي، فإنها وصفت الإحباط والفشل الذي يواجه الكافرين حين يحشرون دون أن يفلت منهم أحد، وعندها يواجهون نتائج أعمالهم في الدنيا فتبدو لهم سراباً خادعاً .

أما نسف الجبال فقد صورته الآية الكريمة: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا** ﴾ . (سورة طه: الآية 105-107)

ونسف الجبال قلعها، واجتثاثها، قال ابن عباس: يقلعها ربي قلعاً، "فيذرها" فيترك الأرض "قاعاً" مستوية، "صفصفاً" أملس لا نبات فيها "لا ترى فيها عوجاً" وادياً بل شقوقاً

"ولا أمتاً" ولا شيئاً شاخصاً من الأرض، وأضاف الطبري إلى معنى القلع معنى التذرية، والتفت، قال "يُذريها ربي تذرية ويُطيّرها بقلعها، واستئصالها من أصولها، ودك بعضها على بعض وتسييره إياها هباء منبثاً".

وفي سورة الحاقة مشهد آخر يصور حال الجبال:

**﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ، وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾** . (سورة الحاقة: الآية 13-16)

ففي هذه الآيات الكريمة نجد تصويراً جامعاً لاضطراب الأرض، وتفتت الجبال معاً، يتجسد في تعبير الدك بما يحمله من معاني القوة والرعب، فالدك في اللغة يحمل معنى الهدم الذي يصاحبه دق، وتفتت. إن انهدام الجبال، وتفتتها بسبب تناثر أجزائها وتطايرها تبعاً للانكسارات السريعة التي تصيبها، يؤهلها للتناثر والانتقاص، قال تعالى: **﴿ الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾** . (سورة القارعة: الآية 1-5)

ويقول تعالى: **﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾** . (سورة المعارج: الآية 8-10)

والعهن: الصوف، والآيات من سورة القارعة، عرضت مشهداً لما يكون عليه حال الناس والجبال يوم القارعة، فالناس يتطايرون مضطربين في أجواز الفضاء كما يتطاير الفراش

ويحوم في كل مكان، والجبال تتحول إلى ذرات من الهباء وتتناثر فترى كأنها الصوف المنفوش الخفيف الذي يطيّره ويذروه أقل الريح.

وفي ذلك اليوم تكون السماء كعكر الزيت قتاماً أو ميوعة، والجبال كالصوف ليونة وتناثراً، ويشغل كل امرئ بنفسه، فلا محل لسؤال صديق نصراً أو معونة.

وتتجلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ **وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا، إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا، يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا** ﴾. (سورة المزمل: الآية 11-14)

**نهاية العالم:**

قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا** ﴾. (سورة يونس: الآية 24)

معنى الآية الكريمة أن الله سيكشف من أسرار كونه للبشر ما يريهم به دقة صنعه، وإحكام خلقه، ولكن البشر لن يأخذوا هذه الأشياء على هذه المعنى، بل سيركبهم الغرور، ويحسبون أنهم هم الذين صنعوا، وهم الذين اكتشفوا، ويجعلهم هذا الغرور يظنون أنهم قد وصلوا إلى العلم الذي يمكنهم من أن يتحكموا في كل شيء في الأرض، حينئذ يأتي قضاء الله، وتقوم الساعة، ولقد استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة ﴿ **ظن** ﴾ لحكمة بالغة، وذلك أن الله هو الذي سخر للإنسان كل ما في الكون، وهو الذي كشف له عن الآيات في هذا الكون، ولكن بدلاً من أن ينسب الإنسان الفضل لصاحبه، نسبه لنفسه، ليس حقيقة، ولكن

﴿ **ظناً** ﴾ ، فالعلم كلما تقدم، اعتقد الإنسان أن هذا عطاء من ذاته، وأنه هو الذي سخر هذه الأشياء لنفسه، وهذا الظن يجعله يعتقد أنه قد سيطر على الأرض تماماً ، وأصبح قادراً عليها ، وعلى كل القوى فيها ، حينئذ تأتي الساعة، وتتعطل القوانين كلها ، ويعرف الإنسان أن ما وصل إليه هو من فضل الله، وأن الله إذا كان قد خلق لنا الأسباب وجعلها خاضعة لنا ، فيجب ألا نغترّ بها ، وننسى طلاقة القدرة. [1]

ويقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ . (سورة الأنبياء: الآية 104)

إن علماء الفلك بعد أن أثبتوا توسع الكون في النصف الأول من القرن العشرين، قالوا إن هذا التوسع لا يمكن أن يستمر إلى ما لانهاية، بل لابد وأن يأتي وقت تتناقص فيه عملية الدفع إلى الخارج، والتي نتجت عن عملية الانفجار العظيم، ويؤدي ذلك التناقص إلى تغلب قوى الجاذبية، فيبدأ الكون في الالتمام على ذاته حتى تتكدس كل مادة الكون وطاقته، كما يتلاشى كل من المكان والزمان في جرم متناهٍ في الصغر حتى ليكاد أن يقترب من الصفر أو العدم ، شبيه تماماً بالجرم الابتدائي الأول، الذي انفجر فخُلق منه الكون، ويسمون تلك العملية باسم عملية "الانسحاق الشديد" ، والآية القرآنية الكريمة سابقة الذكر تصف ذلك وصفاً إجمالياً غاية في الدقة والإحكام والإيجاز، فالعرب كانوا قديماً يكتبون العقود والمواثيق والعهود في ورقة ثم يطوونها ، وهذا هو طي السجل لما هو مكتوب، كذلك فإن غلاف الكتاب يطوي صفحات

---

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن، 3 /361 .

الكتاب في عملية إغلاق لمحتواها، وعملية الانسحاق الشديد عملية مشابهة تماماً لعملية طي السجل للكتابة المدونة فيه أو طي الكتاب لصفحاته، هذه دقة بالغة، وصورة من صور الإعجاز القرآني، ويأتي العلم في نهاية القرن العشرين ليستنتج من عملية توسع الكون الحالية نهاية مشابهة تماماً لما رواه لنا ربنا في محكم كتابه قبل ألف وأربعمائة من السنين، ويسميها عملية الانسحاق الشديد، وهي تقابل عملية الانفجار الأولى، فهي عكس الانفجار الأول "عملية الفتق" لأن عكس الانفجار هو الجمع والضم واللم والتكديس، "عملية الرتق أو عملية الانسحاق الشديد".

ثم يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ . (سورة إبراهيم: الآية 48)

بعد عملية الانسحاق الشديد "الرتق الثاني" يتوقع أن ينفجر هذا الجرم الابتدائي الثاني تماماً كما انفجر الجرم الابتدائي الأول، فيتحول إلى غلالة من الدخان كما تحول الجرم الأول إلى سحابة من الدخان، فتتخلق من هذا الدخان أرض غير الأرض وسماوات غير السماوات الراهنة تماماً كما سبق وأن خلقت كل من أرضنا وسمائنا من سحابة الدخان الكوني الأول.

كذلك فإن من الآيات المبهرة في عملية إفناء الكون قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ، وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ . (سورة القيامة: الآية 7-9)، وهي تعبر عن فزع الإنسان من هول علامة من علامات تدمير الكون، فجمعُ الشمس والقمر أصبح حقيقة علمية

الآن، لأنه ثبت بقياسات دقيقة للغاية أن القمر الذي يبعد عنا في المتوسط حوالي 400 ألف كم، يتباعد عنا بطريقة مستمرة بمعدل ثلاثة سنتيمترات في السنة، هذا التباعد سيدخل القمر في وقت من الأوقات في نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه الشمس، وهذه من النبوءات العلمية المبنية على استقراءات كونية وحسابات فلكية دقيقة، فالقمر باستمرار تباعده عن الأرض لا بد وأن يؤدي به هذا التباعد في يوم من الأيام المستقبلية إلى أن تبتلعه الشمس، ولكن متى سيتم ذلك؟ هذا في علم الله، لأن الآخرة لها من سننها وقوانينها ما يغاير سنن الدنيا، لكن رحمة الله بنا أنه يترك لنا في الدنيا ما يؤكد على إمكانية حدوث هذه الواقعة في الآخرة.

فالقرآن الكريم يقول: ﴿ **وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ** ﴾، كيف يجمعان؟ يأتي العلم التجريبي ليؤكد أن القمر يتباعد عنا بمعدل ثلاثة سنتيمترات في السنة، فيدخله هذا التباعد في نطاق جاذبية الشمس في لحظة من اللحظات فتبتلعه الشمس، وهذا بداية تدمير النظام الكوني الذي نحيا فيه، فبداية التدمير أن يجمع الشمس والقمر وهي نبوءة عظيمة لهذا الكتاب العظيم، تشهد بأنه كلام الله الخالق علاّم الغيوب كما تشهد بالصدق لهذا النبي الخاتم ﷺ، الذي وصفه ربه بقوله:

﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾. (سورة النجم: الآية 2-5)

والخسف الوارد في آية سورة القيامة ﴿ **وَخَسَفَ الْقَمَرُ** ﴾، فمعناه هنا الاختفاء، والاختفاء بمعنى ذهاب الضوء، لأنه مع تباعد القمر عن الأرض، يظل انعكاس ضوء الشمس

عليه يضعف بالتدريج حتى يختفي تماماً، فكلما تباعد القمر عنا يبدو وكأنه يغيب ضوئه أي يخسف بالتدريج، لأنه يغيب عنا بالتدريج ويدخل في جاذبية الشمس حتى تُبتلع، إنها آية مبهرة من آيات هذا الكتاب العظيم.

إن في قضية الخلق آيات كثيرة، وكذلك في قضية الإفناء ولكن كما أشرنا من قبل فإن هذه القضايا لا تخضع للإدراك المباشر من الإنسان، ولولا ثبات السُنن الكونية، وبقاء العديد من الشواهد الحسية على ذلك في صخور الأرض وفي صفحة السماء ما استطاع كل من علماء الفلك والفيزياء الفلكية الوصول إلى فهم شيء عن كيفية خلق الكون ولا عن مصيره، ولذلك لا يمكن للعلماء تجاوز مرحلة التنظير في هذه الأمور، ويبقى للمسلم فيها نور من كتاب الله أو من سُنة رسوله ﷺ يُعينه على الارتقاء بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة لمجرد إشارة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إليها.[1]

**أمر الساعة:**

قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾.

(سورة النحل: الآية، 77)

وقال تعالى: ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾.

(سورة الدخان: الآية 10-11)

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾. (سورة التكوير: الآية 6)

---

1 . النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 54/1.

يقول الله تعالى في علامات الساعة وقيامها، أنها ستأتي فجأة، وستقوم في أقل من لحظة، فهي أسرع من أقل من لمح البصر، فهذه هي تقدير سرعة قيامها، وعلامتها أن السماء ستكون ناراً، إذ أنها تأتي بدخان مبين، والبحار ستُحمى، أي سيصبح الماء ناراً، وقد ظل هذا الوصف يعتبر أنه على سبيل التمثيل، أو من قبيل التصوير، إلى عهدنا الحالي، عهد الذرة.

فقد اكتشف العالم "**يورى**" أخيراً ما أسماه الماء الثقيل، إذ وجد نوعين من الماء يختلفان في خواصهما، باختلاف طبيعة تكوينهما، فالمعروف أن الماء مكون من اتحاد ذرتين من الأيدروجين وذرة أكسجين وقد وجد أن الأيدروجين تختلف طبيعة ذراته، فهناك ذرات خفيفة، تبلغ كثافتها نصف كثافة الذرات الثقيلة، وهذه باتحادها مع الأكسجين تكون الماء العادي الذي يستعمله الكائن الحي، والذرات الثقيلة إذا اتحدت مع الأكسجين كونت ماء يختلف عن الماء العادي، في أن له تأثيراً ساماً على الكائنات الحية وقد عرف أنه يوقف نمو البذور، فلا تنبت إذا رويت به، كما أنه يميت أجنة الأحياء وهى في مهدها هذا الماء سمى بالماء الثقيل، ومع هذا الماء يوجد الأيدروجين وغيره من العناصر غير المستقرة في جوف البحار والأيدروجين غاز مشتعل.

هذه العناصر المنفردة، إذا وقعت تحت ضغط كهربائي – صاعقة مثلاً – أو بفعل حرارة قوية طارئة، وتحطمت إحدى ذراتها، لتحتم تحطيم ذرات الأجزاء المكونة للماء، ولإنفرد من ذلك في أقل من لمح البصر الأيدروجين، فإذا البحر يصبح ناراً في التو واللحظة، وهذا يحدث عند تكوين وتفجير القنابل الذرية والايدروجينية صناعياً .

ويتتابع كذلك انقسام الذرات الموجودة في الكون، سواء أكانت في السماء أم على الأرض، أم في البحر، وبذلك تصبح السماء دخاناً، والبحر ناراً، ويتم ذلك في أقل من لمح البصر. [1]

يقول تعالى: ﴿**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾ . (سورة الطور: الآية 6)

هذا قسم بالبحر المسجور، وسجر التنور في اللغة: أي أوقد عليه حتى أحماه والعقل العربي وقت تنزل القرآن الكريم ولقرون متطاولة من بعد ذلك لم يستطع أن يستوعب هذه الحقيقة، كيف يكون البحر مسجوراً والماء والحرارة من الأضداد، الماء يطفئ الحرارة، والحرارة تبخر الماء، فكيف يمكن للبحر أن يكون مسجوراً؟

ولكن الصدوع الموجودة داخل الأرض والتي تتراوح في أعماقها ما بين 65كم إلى 150 كم، والتي تتركز أغلبها في قيعان البحار والمحيطات من رحمة الله بنا، هذه الصدوع جعلت قيعان كافة محيطات الأرض مسجرة باندفاع الصهارة الصخرية في درجات حرارة عالية، والماء على كثرته لا يستطيع أن يطفئ جذوة هذه الحرارة العالية، ولا الحرارة على شدتها "أكثر من ألف درجة مئوية "تستطيع أن تبخر هذا الماء، وهذا الاتزان هو من أكثر ظواهر الأرض إبهاراً للعلماء.

والصدع عبارة عن شق عميق في الغلاف الصخري للأرض، يخترق هذا الغلاف الصخري بالكامل حتى يصل إلى منطقة شبه منصهرة تسمى "نطاق الضعف الأرضي"، تندفع منه الصهارة الصخرية في درجات حرارة تتعدي الألف درجة مئوية، فتتحرك إلى أعلى حتى

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، ص 193.

تصل إلى قيعان كل محيطات الأرض وقيعان عددٍ من بحارها فتسجرها بتلك الصهارة التي تندفع بملايين الأطنان فتؤدى إلى تسجير قيعان المحيطات وقيعان عدد من البحار، وماء كل من هذه المحيطات والبحار يبردها قليلاً ، لكن لا يطفئ جذوتها بالكامل، وهي حقيقة لم يتوصل العلماء إلى إدراكها إلا في أواخر الستينات من القرن العشرين.

إن البراكين فوق قيعان المحيطات أكثر عدداً، وأعنف نشاطاً من البراكين على سطح اليابسة، وهي تمتد بطول قاع المحيط أو البحر من مئات إلى عشرات الآلاف من الكيلومترات في كافة الاتجاهات، وبأعماق تصل إلى 65 كم، يندفع منها ملايين الأطنان من الصهارة الصخرية في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية فتسجر قيعان كل محيطات الأرض وقيعان عدد من بحارها .

والمسافة بينها وبين سطح الماء أبعادها مختلفة، لأن هذه الثورات البركانية لو ارتفعت مخاريطها فوق سطح الماء فإنها تكون جزراً بركانية مثل جزر هاواي، وجزر اليابان، وجزر الفلبين، وجزر اندونيسيا وغيرها .

وحينما يكون القاع عميقاً، فإن هذا القاع يرتفع إلى أعلى تتجمع الصهارة الصخرية فوقه بالتدريج، فالبراكين الثائرة فوق قيعان المحيطات أو البحار عبارة عن مخاريط عظمى ترتفع جدرها إلى كيلو متر حتى ثلاثة كيلومترات من قاع المحيط، ومتوسط عمق المحيطات حوالي أربعة كيلومترات تقريباً "3.729 متر "، وتصل أحياناً أعماق المحيطات إلى 11 كيلو متراً " 11.033".

والجزر البركانية تبنى كلها من هذه الصهارة الصخرية المندفعة عبر صدوع قيعان البحار والمحيطات، والتي تظل تتجمع حتى تبرز من الماء، والجزر الموجودة في المحيطات كلها جزر بركانية، أما الجزر الرسوبية أي التي تتكون من تجمع الفتات الصخري فلا تتكون إلا في البحار الضحلة أو في مجاري الأنهار.

نرجع إلى قضية البحر المسجور فأقول: إن العرب عندما سمعوا هذا القسم قالوا ربما هذا في الآخرة استناداً إلى قول الحق تبارك وتعالى في سورة التكوير: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾. (سور التكوير: الآية 6)، لكن صياغة الأفعال في صدر سورة التكوير كله في المستقبل والإشارة فيها إلى الآخرة، أما القسم في مطلع سورة الطور كله بأمور واقعة في الزمن الحاضر.

فقال العرب: الماء والحرارة من الأضداد، فالماء يطفئ الحرارة، والحرارة تبخر الماء فكيف للأضداد أن تتعايش مع بعضها البعض دون أن يلغي أحدهما الآخر فيكون البحر مسجوراً، لم يستطيع بدو الجزيرة العربية من قبل ألف وأربعمائة سنة أن يستوعبوا تلك القضية، فقالوا: نبحث عن معنى لسجر غير أوقد على الشيء حتى أحماه ، فوجدوا من معاني سجر: "ملأ وكف" فقالوا: إن المعنى في القسم القرآني: ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ مؤداه أن الله تعالى يمن علينا بأنه ملأ مخفضات الأرض بالماء، وحجز هذا الماء عن اليابسة، لأن هذا الماء كان من الممكن أن يطغي على اليابسة أكثر من حدود البحار والمحيطات الحالية، وذلك لأن هناك كمية هائلة من الماء العذب محجوزة فوق قطبي الأرض وعلى قمم الجبال على هيئة كتل هائلة من الجليد، سمك الجليد في القطب الجنوبي يصل إلى أربعة كيلومترات، وفي القطب

الشمالي إلى أكثر من ثلاثة كيلومترات وثمانمائة من الأمتار ويقدر العلماء أن هذا الجليد لو انصهر فإنه يؤدي إلى رفع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى أكثر من مائة متر، ولكم أن تتخيلوا إذا أصبحنا بين يوم وليلة فوجدنا أن منسوب مياه البحار والمحيطات قد ارتفع بمقدار مائة متر ستغرق الدنيا حقاً .

فقالوا: إن من معاني هذا القسم: ﴿**والبحر المسجور**﴾ أن الله تعالى يمن علينا بأنه ملأ المنخفضات على الأرض بالماء وحجز هذا الماء عن مزيد من الطغيان على اليابسة، وهو صحيح أن جليد القطبين وجليد قمم الجبال إذا انصهر فإنه يؤدي حتماً إلى إغراق الأرض، وليس هذا من قبيل الخيال العلمي، لأن الأرض قد مرت بها فترات كانت البحار فيها أكثر غمراً لليابسة من حدود شواطئها الحالية، كما مرت بها فترات كانت أشد انحساراً عن حدودها الحالية، والضابط في الحالتين هو الجليد فوق قطبي الأرض وعلى قمم الجبال، فإذا ازداد كمُّ الجليد انخفض منسوب المياه في البحار والمحيطات، وإذا نقص ارتفع منسوب المياه في البحار والمحيطات، ومن هنا كان تفسير ﴿**والبحر المسجور**﴾ بالبحر المملوء بالماء المكفوف عن اليابسة تفسير صحيح، ولكن جاءت الاكتشافات العلمية الحديثة لتؤكد على أن كل محيطات الأرض وأعداداً من البحار قيعانها متصدعة، وعبر هذه الصدوع تندفع الحمم البركانية بملايين الأطنان، مما يؤدي إلى حقيقة مبهرة، هي أن كل المحيطات قيعانها مسجرة بالصهارة الصخرية في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية، وكذلك أعداد كبيرة من البحار، وهذه حقيقة لم يعرفها العلماء إلا في أواخر الستينات من القرن العشرين.

والمبهر في هذا القسم القرآني تلك الصيغة المعجزة ﴿ **بالبحر المسجور** ﴾ لأنه نظراً لعدم وجود على قاع البحر لا يمكن للحمم البركانية المندفعة عبر صدوع قاع المحيط أن تكون مشتعلة على طول خط الصدع، ولكنها عادة ما تكون داكنة السواد، شديدة الحرارة، دون اشتعال مباشر تشبه صاجة قاع الفرن البلدي إذا أُحمي أسفل منها بأي وقود فإنها تسخن سخونة عالية يمكن من خبز العجين عليها، وهذا هو القصد اللغوي تماماً للفظة ﴿ **المسجور** ﴾، ويعجب الإنسان من هذه الدقة العلمية واللغوية الفائقة في الصياغة القرآنية بلفظة ﴿ **المسجور** ﴾ حيث لا توجد كلمة يمكن أن تحل محلها، أو أن تغني عنها، كما يعجب الإنسان لهذا النبي الأمي ﷺ ومن أين له هذه الدقة اللغوية والعلمية لو لم يكن موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السماوات والأرض. [1]

[1] . النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 79/1.

# الفصل الثالث

# من معجزات القرآن الكريم في خلق الإنسان

تناولت في هذا الفصل شيئاً مما ورد في كتاب الله عن خلق الإنسان وما يتعلق به

جسداً وروحاً،

وما له علاقة بالإنسان من تحريم لبعض الأشياء التي حرمها الإسلام عليه

مثل الخمر والمخدرات وغيرها .

ثم تكلمت عن العلم عند الإنسان،

مبيناً ما تناوله القرآن من إرشادات صحية ونفسية تُعتبر إعجازاً،

ما كان محمدٌ عليه السلام يعرفه في زمانه،

فمصدر هذا الكتاب هو خالق هذا الإنسان.

## خلق الإنسان من تراب:

قال تعال: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ** ﴾ . (سورة الروم: الآية 20)

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 59)

وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ** ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 2)

وقال تعالى: ﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾ . (سورة الرحمن: الآية 14)

قرر القرآن الكريم في هذه الآيات الكريمة، وفي غيرها أن الإنسان خلق من تراب، أو من طين، أو من صلصال والطين هو التراب إذا أضيف إليه الماء، والصلصال هو الطين اليابس، فكلها إذاً تراب بإضافة الماء أو بغير إضافته.

وقد أثبت العلم الحديث، أن جسم الإنسان يحتوي من العناصر ما تحتويه الأرض، فهو يتكون من الكربون والأكسجين، والأيدروجين، والفوسفور، والكبريت، والآزوت، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، والكلور، والمغنيسوم، والحديد، والمنجنيز، والنحاس، واليود، والفلوريد، والكوبالت، والزنك، والسلكون، والألمنيوم، وهذه نفسها هي العناصر المكونة

للتراب، وإن اختلفت نسبتها في إنسان عن الآخر، وفي الإنسان عن التراب، إلا أن أصنافها واحدة، فحقاً خلق الإنسان من تراب، أليست هذه معجزة من معجزات القرآن الكريم.

والمعجزة الأخرى أن الإنسان يتكون أصلاً من النطفة التي تنشأ من اتحاد الحيوان المنوي الذي يفرزه الذكر بالبويضة التي تفرزها الأنثى، هذه الحيوانات والبويضات تتولد من الدم، الذي يتكون من المادة اللبنية الناتجة عن الكيلوس، وهو عبارة عن نواتج هضم الغذاء الذي هو نبات وحيوان وماء، وكلها مكونة من عناصر التراب، فالأصل كله إلى التراب، فالإنسان أصلاً آدم أول البشر خلق من تراب بدليل تحليل عناصر جسم الإنسان التي تتكون من عناصر التراب، ثم توالى خلق ذريته من النطفة التي هي خلاصة تراب، فسبحان الله العظيم، أليست هذه هي إحدى معجزات القرآن الكريم. [1]

تحديد الجنس في الإنسان:

يقول تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى** ﴾. (سورة القيامة: الآية 37-39)

تتكون أي خلية في الإنسان من 24 زوجاً من الكروموسومات، التي هي خيوط طويلة تحمل الصفات الوراثية للإنسان، وكل زوج من هذه الكروموسومات، يتكون من فردين متشابهين تماماً، منها 23 زوجاً تسمى الأوتوسومات أو الكروموسومات الجسمية وتتشابه هذه في الذكر والأنثى، أما الزوج الرابع والعشرين ويسمى زوج الكروموسوم الجنسي، فقد

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، ص 141.

وجد أنه في الأنثى عبارة عن فردين متشابهين، أما الذكر ففيه فرد يشبه كروموسوم الأنثى وفرد مخالف، وأطلق على الكروموسومات المتشابهة (×) والمختلفة التي في الذكر v .

وعلى ذلك فإن خلية الأنثى بها 23 زوج اوتوسومي +xx والذكر به 23 زوج اوتوسومي +x v .

فعند التزاوج تنقسم خلية الأنثى إلى قسمين، كل قسم يحوي نصف الكروموسومات أي 23 فرد اوتوسومي +x والثاني 23 فرد أوتوسومي +v .

فإذا اتحد الجزء الأول من خلية الذكر بأي جزء من خلية الأنثى كانت النتيجة هي 23 أتوسومي مع 23 أي 23 زوج وx مع x فتكون خلية بها 23 زوج + xx وهي خلية أنثى، وإذا كان الجزء الذي لقح الخلية الأنثية وهو الجزء الثاني من خلية الذكر كانت النتيجة اتحاد 23 أوتوسومي.

مع 23 أوتوسومي ، أي 23 زوج و X مع V فتتكون خلية بها 23 زوج + VX وهي خلية ذكر أي أن الذي يحدد جنس الجنين عند التزاوج هو خلية الذكر.

ومن قديم الزمان كانت الآراء تختلف حول كيف يحدد الجنس في الإنسان، فرأي يقول أكل اللحوم ينتج ذكراً، وإذا أكلت المرأة أثناء الحمل فاكهة أو أي حلوى أنتجت أنثى، ومن قائل إن نوم الحامل على جنب معين يتحكم في جنس المولود .

وشاعت الخرافات الشتى من غابر العصور، وكان المتواتر منها، أن الأنثى إذا أكلت قلب أسد مخلوط بعرف ديك أحمر، ومرارة ثور، حملت ذكراً وكثيراً ما عمل الملوك بها .

كل ذلك والقرآن يقول في غير لَبس أو شُبهة أن الحيوان المنوي أي الذكر هو الذي يُحدد الجنس، فسبحان الله العظيم.

**وجود الروح:**

أورد الله سبحانه وتعالى قصة خلق الإنسان، وتكوينه من جسم وروح، في آيات متعددة جمعت علوماً، وما زالت موضع أبحاث الجامعات والمعاهد والمؤسسات حتى الآن، وما ظهر من هذه العلوم، اعتُبر نصراً للعلم والعلماء، ومن عجب أن كل ما ظهر قد وجد في القرآن من مئات السنين، مفصلاً موضحاً لا لبس فيه ولا غموض، وردت الآيات التي تشير إلى خلق الإنسان ووجود روح له في أكثر من سورة، يقول الله تعالى:

**﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾** . (سورة ص: الآية 71-72)

ويقول تعالى: **﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾** . (سورة الإسراء: الآية 85)

وقد ظل موضوع الروح الشغل الشاغل للعلم، والعلماء، حتى ثبت أن الإنسان جسم وروح، وبعد التجارب القاسية التي بدأت بصورة منتظمة، قوامها العلم عام 1846م بدار الندوة بمدينة واشنجتون بأمريكا، وفي انجلترا عام 1867م في المجمع العلمي الذي تأسس لهذا الغرض في لندن، وفي فرنسا عام 1857م.

وتقدمت العلوم الروحية في العصر الحديث تقدماً مطرداً، وأصبح هذا العلم علماً معترفاً به، فقد عقد مجلس جامعة لندن للبحث الروحي جلسته الأولى في 6 مايو 1934م، وضم معظم أساتذة الجامعة. . . وقد تقدم الدكتور **"هنتجر"** الذي يحمل أرقى الشهادات في العلوم الطبيعية والكيماوية والهندسة الكهربائية، برسالة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة عام 1940م وكان موضوعها أعمق المواضيع الروحية وعنوان رسالته ﴿القوة فوق المدركة﴾، وفي العام نفسه أُنشئ للدراسة الروحية فرع بجامعة كمبردج تحت إشراف الدكتور ﴿بروض﴾ أستاذ الفلسفة، وحددت هذه الدراسة بأنها فحوى الظواهر العقلية والجسمية التي تبدو لأول وهلة كأنها تشير إلى وجود قوى أو أفعال خارقة للعادة في الإنسان، خلال حياته، وإلى بقاء عقل الإنسان بعد الموت الجسماني، وبدأت الدراسة في 1941م، وأنشئت جمعية للبحوث الروحية في جامعة أكسفورد عام 1943م وأول دراسة رسمية في أمريكا بدأت عام 1937م، حينما تولى الدكتور جون كندي الإشراف على هذه الدراسة، تتابعت هذه الدراسات في بون، وميونيخ وبرلين. وأساس هذه العلوم دراسة ما قرره القرآن من وجود روح للإنسان.

**بقاء الروح:**

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾. (سورة الفجر: الآية 27-30)

أي أن النفس أو الروح بعد الموت سترجع إلى الله، ربها، فإن كانت مطمئنة ستكون راضية مرضية، والرضا الذي ستشعر به يفيد إحساسها أي بقاءها بعد الموت.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 169-170)

وهذه الآية توضح بلا شك أن أرواح من ماتوا في سبيل الله حية عند ربهم، فرحة برزق الله وفضله.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 93)

أي أن الموتى يباشرون حياة أخرى فور موتهم، فالظالمون عند موتهم تقول لهم الملائكة، اليوم ستنالون جزاء أعمالكم، أي أن أرواحهم ستعذب من بعد خروجها، فماذا يا ترى يقول العلم؟

يقرر العلم الحديث أنه قد ثبت ثبوتاً تاماً، أن الروح بعد أن تغادر جسدها، لها كيانها الأثيري، والمؤلفات التي كتبت في هذا الشأن كثيرة ومتعددة، وكلها تجمع على أن الروح

باقية، وأن الحياة متواصلة بعد الموت، وأن ما نسميه موتاً إنما هو تطور اقتضته حكمة الخبير العليم. [1]

**ويقول الدكتور: محمود بن الشريف:** الروح سر من الأسرار أعيا العقول وحير الأفئدة، وأثار التساؤلات من قديم، والإنسان الذي سكنت في أعماقه الروح يسأل عن الروح، وعن ماهيتها، وجرمها، وحجمها، وهيئتها، ووزنها، ويظل من غير جواب إلى أن تخرج منه الروح فيعلم، ويعرف، ويبصر.

يقول تعالى: ﴿ **لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾ (سورة ق: الآية 23) وهذا دليل على ضعف الإنسان وجهله، فهو لا يدرى، ولن يدري شيئاً عن روحه التي بين جنبيه، والتي بها يحيا ويسعى، ويصول ويجول ويعمر ويدمر، مهما سما وعلا، وطغى، وبغى، مهما تقدم في الرقي والمدنية، مهما كشف عن المجهول الذي يحيط به في دائرة حسه، فسيظل ما بين جنبيه منيعاً عليه، عزيزاً على عقله وعلمه وتناوله وإدراكه، فالروح سر من أسرار الله لا يعلمها إلا هو والروح سر الوجود، وأصل الحياة، ومبعث الحركة، إذا سكنت دبّ الموت في الأحاسيس والمشاعر، وفي الأفئدة والأبدان، فعطلها وأخمدها، وإذا انسلت نشر الفناء رداءه فوأد الحيوية، وشل الحركة، وأباد الحس، وبدد الجسم.

**والروح كما ورد في القرآن الكريم لها معان كثيرة:**

فهي مرة تطلق ويراد بها القرآن . . .

---

[1] . انظر: نوفل: الله والعلم الحديث، ص183 .

ومرة يراد بها الإنجيل، كذلك يراد به روح عيسى نفسه عليه السلام . . .

وكذلك يراد به الفرقان . . .

ويطلق ويراد بها الملائكة . . .

ويراد به نصر الله. . .

ويراد به جبريل عليه السلام.

هذه هي المعاني الكثيرة التي وردت للفظة الروح في القرآن الكريم.

أما حقيقة الروح، وماهيتها، ومفهومها ومكوناتها، فهي بهذه المعاني كلها من أمر الله، لا يعلم حقيقتها إلا الله: مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 85)

ومع إيماننا القوى بأن الروح من أمر الرب، يعرف وحده حقيقتها ومستقرها ومستودعها، فإن علماء المسلمين وغيرهم بحثوا واجتهدوا، ودفعهم التطلع العلمي وحب البحث عن المجهول فحاولوا، وعللوا، واختلفوا، وكان لا بد أن يختلفوا: هل الروح موجودة قبل الجسد ؟ ومتى تسري في الجسد ؟ وأين مستقرها بعد الموت، وهل الروح فانية، أو باقية؟ وهل هي قديمة أو محدثة، مصنوعة مخلوقه لله تعالى أوجدها بعد أن لم تكن؟

وعن مكانها بعد الموت إلى يوم القيامة: هل هي في السماء أو في الأرض؟ وهل تودع أجساماً أو تكون مجردة. [1]

---

[1] . انظر: ابن الشريف: القرآن وحياتنا الثالثة، ص67.

## السمع والإبصار:

لقد مس القرآن الكريم مساً دقيقاً الجسم البشري، وعلم الأعضاء، يذكر الله سبحانه وتعالى الأذن دائماً قبل العين: ويقول: السمع والإبصار، ولا يقول البصر والسمع. يستوقفنا هذا، لأن الإنسان حين يفقد بصره، يفقد كل شيء، يعيش في ظلام دائم، لا يرى شيئاً على وجه الإطلاق، يصطدم بكل شيء ولكن حين يفقد سمعه فإنه يرى وحينئذ تكون المصيبة أهون، ولكن الله سبحانه وتعالى حين يذكر السمع يقدمه دائماً على البصر.

إن هذا إعجاز في القرآن، لقد فضل الله سبحانه وتعالى السمع على البصر، لأنه أول ما يؤدي وظيفته في الدنيا، ولأنه أداة الاستدعاء في الآخرة، لأن الأذن لا تنام أبداً.

إن السمع أول عضو يؤدي وظيفته في الدنيا، فالطفل ساعة الولادة يسمع ولكن العين لا تؤدي مهمتها لحظة مجيء الطفل في الدنيا، فكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا أن السمع هو الذي يؤدي مهمته أولاً، فإذا جئت بجوار طفل ولد منذ ساعات، وأحدثت صوتاً مزعجاً فإنه ينزعج، ويبكي ولكنك إذا قربت يدك من عين الطفل بعد الميلاد مباشرة فإنه لا يتحرك ولا يحس بالخطر، هذه واحدة وإذا نام الإنسان فإن كل شيء يسكن فيه إلا السمع، إنك إذا أردت أن توقظ النائم ووضعت يدك قرب عينه فإنه لا يحس، ولكنك إذا أحدثت ضجيجاً بجانب أذنه فإنه يقوم من نومه فزعاً، هذه ثانية، أم الثالثة فهي أن الأذن هي الصلة بين الإنسان والدنيا، الله سبحانه وتعالى حين أراد أن يجعل أهل الكهف ينامون مئات السنين قال:

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ . (سورة الكهف: الآية 11)

ومن هنا عندما تعطل السمع استطاعوا النوم مئات السنين دون أي إزعاج، ذلك أن ضجيج الحركة في النهار يمنع الإنسان من النوم العميق، وسكونها بالليل يجعله ينام نوماً عميقا، إذن الأذن هي التي تؤدي وظيفتها أولاً، وهي لا تنام ولا تغفل أبداً، وهي الصلة بين الإنسان والدنيا، وأداة الاستدعاء في الآخرة، ولذلك فضلها الله سبحانه وتعالى، على أن هناك شيئاً آخر نلاحظه، هو أن الله سبحانه وتعالى يأتي بكلمة السمع مفردة دائماً، وكلمة الأبصار مجموعة يقول الله سبحانه وتعالى في سورة فصلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ . (سورة فصلت: الآية 22)، لماذا تأتي السمع مفردة، وكلمة البصر مجموعة، مع أنه كان يجب أن يقول الله سبحانه وتعالى أسماعكم وأبصاركم، كان من المفروض أو المنطقي أن يكون هناك سمع وبصر، أو أسماع وأبصار، ولكن الله سبحانه وتعالى بهذا التعبير أراد أن يكشف لنا دقة القرآن الكريم، فالبصر حاسة يتحكم فيها الإنسان بإرادته، فأنا استطيع أن أبصر ولا أبصر، واستطيع أن أغمض عيني عما لا أريد أن أراه، أو أدير وجهي أو أدير عيني بعيداً عن الشيء الذي أريد أن أتجاهله، ولكن الأذن ليس لها اختيار في أن تسمع أو لا تسمع، فأنت في حجرة يتكلم فيها عشرة أشخاص تصل أصواتهم جميعاً إلى أذنك، سواء أردت أو لم ترد، أنت تستطيع أن تدير بصرك فترى منهم من تريد أن تراه، ولا ترى من لا تريد رؤيته، ولكنه يصل إلى أذنيك سواء أردت أو لم ترد، إذاً الأبصار تتعدد . أنا أرى هذا وأنت ترى هذا، وثالث يرى هذا، إلى آخر تعدد الأبصار، وإنسان يغمض عينيه فلا يرى شيئاً، ولكن بالنسبة للسمع فنحن جميعاً ما دمنا جالسين في مكان واحد، فكلنا نسمع نفس الشيء،

ومن هنا أختلف البصر، ولكن توحد السمع، كل واحد به بصر، ينظر به إلى المكان الذي يريده، ولكننا كلنا نتوحد في السمع فيما نريد، وما لا نريد أن نسمع، ومن هنا تأتي كلمة الأسماع، على أن الأذن مفضلة على العين لأنها لا تنام والشيء الذي لا ينام أرقى في الخلق من الشيء الذي ينام، فالأذن لا تنام أبداً منذ ساعة الخلق، إنها تعمل منذ الدقيقة الأولى للحياة، بينما باقي الأعضاء، بعضها ينتظر أياماً، وبعضها سنوات.

والأذن لا تنام، فأنت حين تكون نائماً تنام كل أعضاء جسمك، ولكن الأذن تبقى متيقظة، فإذا أحدث بجانبك صوت، وأنت نائم، قمت من النوم على الفور، ولكن إذا توقفت الأذن عن العمل، فإن ضجيج النهار وأصوات الناس، وكل ما يحدث في هذه الدنيا من ضجيج لا يوقظ النائم، لأن آلة الاستدعاء وهي الأذن معطلة، كما أن الأذن هي آلة الاستدعاء يوم القيامة حين ينفخ في الصور.

والعين تحتاج إلى نور حتى ترى، تنعكس الأشعة على الأشياء، ثم تدخل إلى العين فترى، فإذا كانت الدنيا ظلاماً فإن العين لا ترى، ولكن الأذن تؤدي مهمتها في الليل والنهار، في الضوء والظلام، والإنسان متيقظ، والإنسان نائم، فهي لا تنام أبداً، ولا تتوقف أبداً.

أعرفت الآن لماذا فضل الله سبحانه وتعالى السمع على البصر، وقدمه في القرآن الكريم.

**الإحساس والجلد:**

شيء آخر يستوقفنا هو ما كشف عنه الله سبحانه وتعالى عن الحس، فالقرآن يلمس هنا حقيقة كونية هامة. لأنه يأتي ويعلمني كيف أعرف منافذ الحس، أو مواضع "الحس" وهو يأتي ليحس هذا على أنه حقيقة كونية، ولكنه لا يشرحه ككتاب طبي، بل يقول الحقيقة، فعندما يتحدث عن الكفار الذين يعذبون في النار يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾ . (سورة النساء: الآية 56)

أي أن الله قد حدد لي حكمة تبديل الجلد أو تغييره، بأنه ليذيقهم العذاب، إذن فالإذاقة حسب القرآن الكريم محلها الجلد .

نأتي الآن إلى الحقيقة العلمية التي تؤكد لنا أن كل أعصاب الإحساس موجودة تحت الجلد مباشرة وأن هذه الأعصاب التي تشعر بالألم وتجعل الإنسان يحس به وتنقله إلى المخ، مكانها تحت الجلد مباشرة إذن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**﴾ ، إعلان لحقيقة كونية يمسها الله في القرآن، وهي أن الإحساس يتم بأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة، وأن الله كلما أراد أن يذيق الكفار العذاب بدل جلودهم التي احترقت وماتت فيها أعصاب الإحساس بجلود سليمة لم تحترق ليذوقوا العذاب مرة أخرى، فحينما يأتي الطب ليقول لنا أن أعصاب الجسم تحت الجلد مباشرة، تقول الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بهذه الحقيقة في القرآن قبل أربعة عشر قرناً .[1]

**العقل . . وآية جديدة من آياته العديدة:**

[1] . انظر: الشعراوي: معجزة القرآن، ص98 .

قال تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾ . (سورة العنكبوت: الآية 43)

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ . (سورة الملك: الآية 10)

العقل الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ثمان وأربعون مرة، لا يعرف العلم شيئاً عن شكله ولا عن هيئته، ولا مساحة عمله أو حدود طاقته، ولا حقيقة تكوينه أو أصل مادته، بل يجهل تماماً مكانه، إذ يعتقد بعض العلماء أن مكان العقل هو الرأس. في مكان ما من المخ، وكل تشريح أو تحليل لم يصل إلى أثر لوجود مادة في الرأس أو المخ تشير إلى أنها، أو منها، أو فيها، يتكون العقل، ولذلك قال البعض أنه شيء ما في الإنسان، في داخله، قد يكون في قلبه ، وآخر الآراء التي قيلت أن العقل من أجزاء الروح، وأن مكانه في هالة النور التي تحيط بالإنسان، ولذلك فإن الإنسان بانتقاله من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، تنتقل روحه ومعها العقل وبما علم به في الدنيا ليتابع، فيعلم الجديد، و به يحاسب الإنسان نفسه على ما كان منه، ويظل في حسابه حتى يوم الوعيد، وكل دراسة عن العقل، لا تتم الدراسة إلا على مظاهر عمله ومحيط أثره، فلا سبيل إلى العثور عليه، بل ولا معرفة الطريق إليه، وأي دراسة إنما تزيد سرهُ عمقاً، وتبعدنا عن معرفته حقاً. وسيطرة العقل على الجسم وعلى النفس من الأمور البديهية التي لم تعد بحاجة إلى دليل أو برهان، فكل إنسان يحس في كل لحظة مدى سيطرة عقله على كل حواسه ورغباته، وأثره على جسمه ونزواته، ويستطيع أن يدرك قدر عقله، والطريق الأمثل للتعامل معه، ومن فقد إدراك عقله، وافتقد الطريق الصحيح للتعامل معه كان الجنون هو النتيجة الحتمية والنهاية الطبيعية ولا شفاء منه، إلا بالعودة إلى إدراك العقل والتعامل

السليم معه، ولذلك فإن الدكتور "كورت واختل" وهو من أكبر أساتذة الطب العقلي في ألمانيا **يقول** : إذا كنت لا تفهم عقلك فهماً جيداً ولا تستخدمه بطريقة صحيحة، فمن الممكن أن يضر بجسمك، ويمكن أن نحول هذه العملية ونعكسها فنقول إذا كنت تفهم عقلك فهماً جيداً وتستخدمه بطريقة صحيحة فإنه قطعاً يفيد جسمك، وما يجعلك مريضاً أو يجعلك تستمر في مرضك يمكن أن يجعلك سليماً أو يجعلك تستمر سليماً، فعقلك في الحقيقة يمكن أن يكون شيطاناً شهراً كما يمكن أن يكون ملاكك الحارس، فإذا استخدمته بطريقة صحيحة فلن يكون عدوك أبداً، بل سيكون دائماً صديقك.

إن تأثير عمل العقل في الجسم قد أثبتته التجارب العلمية، وأيدته المتابعات المعملية، وأكدته الفحوص الطبية ، إن العقل يمكن أن يصيب الإنسان بمرض دون أن يكون حقيقة قد أصيب به، وتظهر أعراض المرض جلية واضحة، ولا يبرأ من هذا المرض أو هذه الأعراض إلا إذا أعلن العقل للجسم أنه قد شفي، وقد قرر العلماء أن هذه الأعراض إن هي إلا حالات سيكولوجية، فيها ترتفع الحرارة مثلاً أو يحس الإنسان بالغثيان أو الدوخة، أو الصرع، واتفق العلماء على أنه لا يمكن أن تكون هناك ظواهر مادية، يمكن قياسها يستطيع العقل التأثير بها على الإنسان، فمثلاً لا يستطيع العقل أن يؤثر على الإنسان بأن قدمه متورمة، فتتورم، أو أن أصبعه دامية فتدمي، إلا أن هذا الرأي قد أصيب بفشل مما سبب حيرة للأطباء، وأدهش العلم والعلماء، لقد استطاع العقل أن يؤثر تأثيراً مادياً إيجابياً على الجسم، ويخلق مواد لم تدخل أصولها أو أجزاؤها إلى الجسم، فلقد قام بعض العلماء الألمان طوال ربع القرن الماضي بتجربة

متكررة ومتتالية وكانت نتيجتها الدائمة مثيرة للغاية، فلقد قاموا بتغذية بعض الأشخاص بطريقة لم تدخل فيها القهوة اطلاقاً، ووضعوا تحت المراقبة المعملية، وأثناء التجربة قام العلماء بتنويم هؤلاء الأشخاص تنويماً مغناطيسياً، وقدم لكل واحد منهم كوب من الماء القراح على أنه قهوة، وبعد أن استيقظوا من التنويم سلكوا سلوك من فرغ من شرب القهوة على التو، من مصمصة باللسان على جانبي الفم، وبدأوا يشعرون بالحاجة إلى التبول عدة مرات متلاحقة، ولم يكن هذا الأثر المثير هو الوحيد، بل الأكثر إثارة، والأعمق سراً والأعظم دهشة أن الفحص والتحليل الكيميائي، أثبت أن تكوين البول لديهم، هو تكوين بول من شربوا القهوة يقيناً، فوجدوا به مواد هي من ناتج دخول القهوة بما فيها من مواد إلى داخل الجسم.

لقد احتار العلم واندهش العلماء، إن الأمر لم يعد مجرد سيطرة العقل على الجسم بآثاره الفسيولوجية أو السيكولوجية، إن الأمر أخطر وأعمق من ذلك، لقد كون العقل في الجسم مواد مغيرة لما فيه، ترى من أين جاءت هذه المواد، أو وحداتها أو أجزائها أو ذراتها، وكيف صنعها العقل.

لا إجابة ولا رد، إلا أن يقول العلم ويردد العلماء، صنع الله الذي أتقن كل شيء [1]

**العلم البشري:**

قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ . (سورة الجمعة: الآية 2)

---

1 . نوفل: صنع الله، ص 43.

قال تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ** ﴾ . (سورة العنكبوت: الآية 49)

إن العلم البشري يتحدد في شيئين رئيسيين: علم مادي يخضع للتجربة البحتة، ولا يدخل فيه هوى البشر، ذلك العلم هو الذي يتناول المادة فقط، وهو الذي يمكن أن يُفحص في المعمل، وتجرى عليه التجارب، وليس فيه هوى النفس البشرية، وهذا العلم هو الذي أتاحه الله للعقل البشري، وطلب منه أن يجتهد فيه، ووعد الله بأن يكشف آياته في الكون لأولئك الذين يعملون، ويبحثون، ويجرون التجارب، ويجتهدون.

وعلم آخر هو علم تدخل فيه الأهواء، وذلك ما لا يدخل في معمل، ولا يمكن اجراء تجارب عليه، وهذا العلم مثل النظريات الفلسفية، والسياسية، وكل شيء لا يخضع لتجربة المعمل، هذا العلم تختلف فيه الأهواء وتتصارع، وسيظل الصراع بينهما إلى يوم القيامة، لأن هذا العلم لا يستند على أسس مادية موضوعية بحتة، وإنما تدخل فيه الأهواء الشخصية.

**النوع الأول** من العلم صاحبه يظل يعاني حتى يصل إلى هدفه، فإذا وصل إلى الهدف استفاد منه الناس كلهم، فالعالم مثلاً الذي يجري التجارب في معمله، على اختراع جديد، أو شيء جديد، يظل يسهر ليالي طويلة حتى يصل إلى نتائج، فإذا وصل إلى نتائج استفادت منها البشرية كلها، وإذا أردنا أن نضرب مثلاً لذلك، فهناك مثلاً اكتشاف الكهرباء، واختراع الراديو والتليفزيون، والتليفون، إلى آخر الأشياء التي اقتضت بحثاً من أصحابها، فإذا وصل البحث إلى نتيجة استفادت منها البشرية كلها.

**أما النوع الثاني** من العلم، فهو الذي يخضع للهوى، فإن صاحبه هو الذي يستفيد، وغيره يعاني ذلك، إنه يضع على هواه، وعلى أساس ما يرضيه هو، ومن هنا فإن صاحب النظرية الفلسفية أو السياسية، لا يعاني شيئاً بقدر ما يعاني أولئك الذين يخضعون لها أو ينفذونها .

## ماذا قدم العلم؟

ماذا قدم العلم للبشرية، تعالوا نناقش ذلك من واقع التجربة العلمية، إن أساس الحياة البشرية من خلق الله سبحانه وتعالى، لم يتغير، ولم يتبدل، ولا يستطيع العلم أن يجد له بديلاً، وإنما يقدم، الرفاهية للبشر، أي أنه يجعل الحياة أكثر سهولة، وأكثر نعومة، ولكنه لا يعطينا مقومات الحياة، بل أن الله سبحانه وتعالى علماً منه بظلم الإنسان للإنسان، جعل مقومات الحياة في يده، وما أعطاه منها ليد البشر، أعطاه بشكل لا يجعل الإنسان قادراً على إهلاك الإنسان باستخدام أسباب الخلق.

ولنشرح هذه النقطة قليلاً، مقومات الحياة من كرة أرضية، وشموس، ونظام كوني لا دخل للإنسان فيه، ولا يستطيع الإنسان بعلمه أن يتدخل ليخلق كرة أرضية جديدة، أو شمساً جديدة، أو نجوماً جديدة، أو سماوات جديدة، إلى آخر هذا، هذا خلق الله، والعلم إذا استطاع أن يكتشف الآيات فيه، يكون قد تقدم تقدماً هائلاً، ولكنه لن يستطيع ان يخلق شيئاً فيه، أو يبدله، أو يغيره، وإذا كنا نتحدث الآن، ونحن في عصر العلم، فتلك حقيقة هامة، لا يستطيع أحد الجدال فيها .

نأتي بعد ذلك على مقومات الحياة على الأرض، الهواء، والماء، والطعام، لوازم ثلاثة لحياة الإنسان على الأرض، الإنسان بطبعه لا يستطيع العيش بدون الهواء أكثر من دقيقة أو دقائق، ولذلك أخرج الله الهواء من قدرة البشر على التحكم في البشر، فالله شاء أن يكون الهواء مباحاً للناس جميعاً، لا يستطيع واحد أن يمنعه عن مجموعة من الناس فتهلك، بل أنه أخضع الهواء لعدله، فكان متساوياً بين الناس جميعاً، فقيرهم وغنيهم، وعظيمهم وبسيطهم، وذلك الذي لا يملك من أسباب الدنيا شيئاً، فهم يتنفسون بنفس السهولة، ونفس الطريقة دون أدنى عناء، يصلهم الهواء إلى حيث هم، وأينما كانوا، في حجرات مغلقة أو في الطريق، أو في السيارة، أو في أي مكان في العالم، فإن الهواء يصلهم سهلاً، ميسراً، متاحاً للجميع، وهذا عدل الله سبحانه وتعالى، ولا دخل لبشر فيه.

نأتي بعد ذلك إلى الماء، وهو ما يستطيع أن يعيش بدونه يوماً، أو عدة أيام، نجد أن القدرة على اختزان الماء قليلة، والقدرة على منع الماء عن البشر قليلة، ومحدودة، وإن كانت لها إمكانيات، وهنا يتدخل ظلم الإنسان، ولكن بقدر محدود جداً، نظراً لأهمية الماء للحياة البشرية.

ثم نأتي بعد ذلك، فنجد أن قدرة الإنسان على اختزانه ومنعه أكبر، ولكن احتمال الإنسان لعدم تناول الطعام أكثر، ومن ثم فإن الإنسان يستطيع أن يتحمل عدة أيام بدون طعام، ولكنه في نفس الوقت يستطيع أن يحصل على ما يقيم أوده، أو يبقي الحياة في جسده بسهوله، نظراً لأن الكمية التي يحتاج لها الجسم البشري من الطعام قليلة نسبياً، فهي كما قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ﴿ **حسب الآدمي لقيمات يُقمن صلبه** ﴾ . [1]، أو كمية محدودة من الطعام، وكلما زاد إقبال الإنسان على الطعام، فسد جسده واعتلت صحته.

هذه هي مقومات الحياة الثلاثة، شيء لا يستغني عنه الإنسان ولا يستطيع الحياة بدونه أبداً، وهو الهواء، نافذ فيه عدل الله، ليحصل كل إنسان على حاجته بلا عناء، وشيء يستطيع الإنسان أن يستغني عنه يوماً وهو الماء، متوافر للناس، وشيء ثالث وهو الطعام تحكم البشر فيه أكثر، ولكن احتمال الإنسان للعيش بدونه أكبر، وهنا ترى عدالة السماء في توزيع مقومات الحياة. [2]

**المشيئة لله تعالى:**

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ . (سورة الكهف: الآية 23-24) هذه الآية يجب أن نتوقف عندها وقفة كبيرة، لماذا، لأنني أنا أقول إنني سأفعل كذا غداً، وأنت تقول إنك ستفعل ذلك غداً، والوحيد القادر على الفعل هو الله سبحانه وتعالى، إن شاء فعل، وإن شاء لا يفعل، ونحن عاجزون تماماً عن أن نفعل أو لا نفعل إلا بمشيئة الله، ولأوضح ذلك قليلاً، الذي يريد أن يفعل شيئاً يجب أن يملك **أولاً:** القدرة على الفعل، ويجب أن يملك.

**ثانياً:** الوقت الذي سيتم فيه الفعل، ويجب أن يملك.

[1] . أخرجه ابن ماجه في سُننه: كتاب الأطعمة، باب الاقتصار في الأكل، حديث رقم 349، ص 1111/2.

[2] . الشعراوي: معجزة القرآن، ص137.

**ثالثاً:** المكان الذي سيتم فيه الفعل.

بمعنى أنني إذا قلت إنني سأذهب لمقابلة فلان غداً، وهذا هو أبسط الأشياء فيها يقول الإنسان أنه سيفعله، فإنني يجب أن أملك القدرة في أن أكون موجوداً غداً على قيد الحياة، حتى تتم هذه المقابلة، وأنا لا أملك هذه القدرة، فالإنسان لا يملك القدرة على ان يهب نفسه الحياة لحظة واحدة، وليس يوماً واحداً، إذن قولي أنني سأقابل فلاناً غداً قول خاطئ، لأنني لا أعرف إذا كنت سأكون موجوداً غداً على قيد الحياة ام لا، الحياة رهن بمشيئة الله سبحانه وتعالى، إن شاء أبقاها، وإن شاء أخذها، فإذا انتقلنا بعد ذلك على عالم القدرة، فأنا قد أكون موجوداً غداً أو قد يأتيني شيء مفاجئ عاجل، أو قد يهبط عليَّ ضيف غير متوقع مثلاً، أو يحدث أي شيء آخر، المهم أنني قد أكون على قيد الحياة، ومع ذلك لا أستطيع أن أذهب لهذه المقابلة، بسبب أشياء لا أملك القدرة على عدم حدوثها.

فإذا انتقلنا إلى النقطة التالية، كنت أنا على قيد الحياة، وبصحة جيدة، وانتفت جميع الظروف التي تمنعني من أن أتم هذه المقابلة، فهناك الطرف الآخر، وهو الشخص الذي سأقابله، وقد أذهب فلا أجده في مكتبه لأي سبب، يتعطل في الطريق، يمرض، يأتيه عمل مفاجئ، يحدث له أي شيء مفاجئ يمنعه من حضور المقابلة، كأن تتعطل سيارته، أو يصطدم بسيارة أخرى فيضطر للذهاب إلى الشرطة، أو تحدث له أي مشكلة في الطريق، أو في المنزل، المهم في هذا كله، أنني لا أملك عنصراً واحداً من عناصر القدرة على العمل لأقول إنني سأفعل كذا، ولكن من الذي يملك القدرة، هو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي

يقول كن فيكون، حي لا يموت، باق لا يفنى، لا يستطيع أحد أن يشغله عن شيء، أو أن يمنع فعله أو قضاءه، فإنه متى قضى شيئاً فإنه يكون، لماذا، لأنه ليست هناك قوة تستطيع أن توقف، أو تمنع، أو تؤجل، أو تؤخر، أو تقدم ما يريده الله سبحانه وتعالى.

ومن هنا فإن الفعّال لما يريد هو الله سبحانه وحده، أما نحن جميعاً كلنا، كل البشر فعالون لما يشاء الله، فما دام العمل يدخل في المشيئة فهو سيتم، لأن الله وحده هو الفعال، وما دام العمل لا يدخل في المشيئة فهو لن يتم، لأن الله وحده هو الفعال. ومن هنا فإنّ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله**﴾ يريد أن يلفتنا إلى حقيقة كونية هامة، لأن الذي يتم هو مشيئة الله وإرادته، ثم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ حتى تتذكر دائماً أن الله هو الفعال. [1]

## القرآن وعلم الصحة الوقائي:

يختص علم الصحة الوقائية بدراسة الوسائل التي تحفظ على الإنسان صحته، والآيات التي وردت في القرآن الكريم في هذا الشأن كثيرة وعديدة، ولا يُستطاع الإلمام بكل ما في القرآن من آيات عن الصحة الوقائية في مؤلف واحد، لذلك فسنعرض أمثلة قليلة لما جاء في القرآن الكريم، ورأي الطب الحديث فيه:

### تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير:

1 . الشعراوي: معجزة القرآن، 206/2.

حرم الله سبحانه وتعالى أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير وقد نص على ذلك في القرآن الكريم حيث قال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ . (سورة المائدة: الآية 3)

وقد عمل بها المسلمون، دون أن يعلموا مبلغ ما فيها من العلم، والحكمة، مما سبق به القرآن الكريم العلوم الحديثة، بعشرات المئات من السنين، فالكائن الحي إذا مات، إنما يموت بواسطة ميكروبات وجدت فتغلبت عليه كما أنه بموته تبدأ بكتريا التعفن تنشط حتى أن كل جزء منه يحوي مئات الألوف من أصناف البكتريا الرمية والتعفنية، وقد قال بذلك القرآن بتحريمه أكل الميتة، ويقول به علم البكترولوجيا في العصر الحديث.

أما الدم، فقد ثبت علمياً أن أي مرض يستعصي تشخيصه، فإن تحليل الدم يكشف عن أصل المرض، لما يحتويه الدم من ميكروبات المرض، فهو حامل الميكروب، علاوة على أنه يحدث بالمعدة والأمعاء تهيجاً في أغشيتها مما يسبب أخطر الأمراض.

ولحم الخنزير الذي اختلف الكثيرون في علة تحريمه، يُثبت العلم إثباتاً قاطعاً أن الخنزير هو العائل الوحيد للدودة الشريطية، المسماة **"تينا سوليو"**، وتعيش هذه الدودة في الأمعاء الدقيقة للإنسان، متعلقة بها بواسطة أربع ممصات موجودة في رأسها، ويكون جسمها محاطاً بالمواد الغذائية المهضومة التي بواسطة جلدها، أي بكل سطحها، وبذلك تسلب غذاء الإنسان، علاوة على ما تفرزه من سموم، ولتعلم قدر ضررها بما تحصل عليه من الغذاء، يجب أن تعرف أن طولها يبلغ ثمانية أمتار، وهي مكونة من قطع كثيرة، كل قطعة عبارة عن حيوان كامل، وعندما تبلغ هذه الدودة النضج الجنسي، تتلقح البويضات التي تفرزها أعضاء التناسل، وتخرج

البويضات من أمعاء الإنسان مع برازه إلى الخارج، فإذا أكلها الإنسان، أو أي حيوان آخر، لا تتأثر هذه البويضات ولا يتأثر الكائن بها، فتخرج مع برازه دون تغير، أما إذا أكلها الخنزير، فإن عصارته المعدية تذيب قشرة البويضات، فتخرج منها أجنة كروية الشكل صغيرة، ذات ست شوك، تثقب بها جدار المعدة إلى أقرب وعاء دموي، ويحملها الدم إلى أية عضلة من عضلات الجسم وحيث تستقر بين أليافها، مكونة حوصلة بها رأس الدودة وعنقها، وتظل على هذا الطور، إلى أن يأكلها الإنسان مع لحم الخنزير، فتصل إلى المعدة، ثم الأمعاء الرقاق، حيث تتعلق ممصاتها فيها .

وخطر هذه الدودة، علاوة على طولها وما تتناوله من غذاء مهضوم، بذل الجسم لهضمه الجهود الكثيرة، ويكاد يكون لا يُبقي بعده للجسم شيء، أن الدودة تتعلق بممصات في الأمعاء، الأمر الذي يصعب معه إخراجها من الجسم، كما أن القطع التي تتكون منها، تستطيع كل قطعة أن تصبح دودة مستقلة بنفسها، إذا أصاب الدودة الأصلية ما يهدد سلامتها .

وقد ثبت علمياً في السبعينات من القرن الماضي أنه بتحليل دهن الخنزير وُجد أنه يختلف في تركيبه عن كل الدهون الأخرى، وأنه يسبب حصوة المرارة علاوة على زيادة نسبة الكولسترول في الدم، وما زال يُكتشف في كل يوم ضررٌ من أكل لحم الخنزير . [1]

**الخمر والميسر وضررها:**

[1] . نوفل: الله والعلم والحديث، ص158 .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . (سورة المائدة: الآية 90)

وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ . (سورة البقرة: الآية 219)

**اللغويات:**

**الخمر:** كل ما اختمر وأسكر من عصير العنب وغيره، [1] وهو في الأصل بمعنى الستر.

**الميسر:** القمار وهو مشتق من اليسر بمعنى السهولة لأن المال يجيء للكاسب من غير جهد .

**الأنصاب:** جمع نصب وتطلق على الأصنام التي كانت تنصب للعبادة أو هي الحجارة التي تخصص للذبح عليها تقرباً للأصنام.

**الأزلام:** جمع زلم وهي السهام التي كانوا يتقاسمون الجزور أو البقرة إذا ذبحت. [2]

نزل القرآن في عصر كان العرب يشربون الخمر ويتجرون فيها، فنزول القرآن في عصر هذا أمره، والنهي عن شربها في وقت كانت تامة الانتشار فيه، لما يؤكد الدور الخطير الذي لا بد تقوم به الخمر في الإضرار بالجسم، **يقول الدكتور مصطفى عبد العزيز:** في العدد الثاني من سلسة الثقافة العلمية، أن المؤتمر الدولي التاسع عشر الذي عقد في بلجيكا، وعرضت عليه مسألة الخمر وتدفئتها للأجسام، قد قرر أن التأثير الظاهري للخمر في التدفئة، إنما هو شعور

---

1. الكرمي: الهادي، 673/1.

2. طنطاوي: التفسير الوسيط، 274/4.

وقتي كاذب إذ لا تلبث درجة الحرارة أن تنخفض، وقد أوضحت المشاهد الحسية هذه الحقيقة وضوحاً جلياً، ففي جزيرة "**أيسلندا**" وهي من أشد أرجاء المعمورة صقيعاً وبرداً، لوحظ أن هناك زيادة مضطردة في نسبة الوفيات بين أهلها وقد وجد أن سبب ذلك يرجع إلى استعانة السكان بالخمور لمكافحة شدة البرد فنتج عن ذلك أن صعد الدم من داخل الأجسام على سطح الجلد بتأثير الخمر، فأبادته برودة الجو تدريجياً، وانتهت حياة الكثيرين بانتهاء الحرارة المتشععة من أعضاء الجسم الداخلية، وقد ثبت أن نسبة الوفيات بين مدمني الخمر، والذين لا يشربونها قد أيدت هذه النظرية.

وفي الرحلة التي قام العالم "**سكوت**" لاستكشاف منطقة القطب الجنوبي، كانت نسبة الوفيات بسبب شدة البرودة كبيرة بين الفريق الذي اتخذ الخمر سبيلاً يلتمس به الدفء والحرارة، ونجا الذين ملكوا زمام أنفسهم فلم يقربوا الخمر.

وقد أجريت تجارب عملية، لدراسة تأثير الخمر على قدرة مقاومة الأجسام الحيوانية للأمراض، فوضع لعدد من الأرانب قليل من الخمر في ماء شربه لعدة أسابيع متتالية، وترك عدد آخر منها ليشرب ماء خالياً تماماً من المواد الكحولية، ثم عرضت كل من هاتين المجموعتين للإصابة بميكروبات بعض الأمراض، فاتضح من نتائج هذه التجارب أن مقاومة الأرانب المدمنة للخمر، كانت أقل بكثير من مقاومة زميلاتها، كما أن أعمار الأرانب التي سكرتها التجارب كانت أقصر كثيراً من أعمار تلك التي لم تتذوق الخمر بتاتاً، وقد عززت هذه التجارب الإحصاءات العديدة التي قامت بها شركات التأمين.

وأثبت الطب الحديث أن الإدمان على الخمر، يسبب تحول الخلايا الكبدية الحية إلى ألياف ميتة لا فائدة للجسم منها، وينتج عن ذلك التليف الكبدي، استسقاء في البطن، يورد المريض في النهاية موارد الفناء، كما يؤدي إدمان الخمر إلى تصلب الشرايين، وما يتبعه من مضاعفات كأمراض القلب والكلى، والنزيف المخي، كما يؤثر على الجهاز العصبي تأثيراً أشد ضرراً وأبعد أثراً، إذ يزول حكم المخ زوالاً تدريجياً، فينقل الشخص من حيث أعماله ونزواته، من المرتبة الإنسانية إلى حضيض البهيمية، وإذا استمر في إدمانه زمناً طويلاً، ضعفت مداركه الحسية والعقلية، إلى أن يصل إلى دور الجنون أو الشلل.

يقول الدكتور **"كبلدج"** في كتابه **(الاستعمال)، الطبي للخمر:** من كان عنده أقل ريب أو ظل للشك، في أن الخمر سم، فليعتبر بما يكون عند وصولها إلى المعدة، فإن الغشاء المخاطي يصير محتقناً ويخرج مقدار آمن من المخاط ليحمي نفسه، وترى غدد المعدة وقواها الدافعة تسرع في إخراج ما وصل إليها بأسرع ما يكون، أليس ذلك مزيلاً لشك الشاكين، وريب المرتابين، في أن الخمر من أنواع السموم، أما القول بأنه إذا أعتدل الإنسان في شربها، قوى جسمه واكسبته نشاطاً، وأن قليلها قد يكون علاجاً، فيدحض هذا الرأي ما قاله الطب والكيمياء بفرنسا، أن الخمر تخرج من الجسم ولا أثر لها، ويقول **"ادوارد سميث"** الإنجليزي لقد حللت دم شارب الخمر، فلم أجد فيه أدنى شيء من العناصر التي يتركب منها الخمر، وقال الدكتور **"ملر"** الاسكوتلاندي " **إن الخمر لا تشفى شيئاً"**، وقال الدكتور **"هيجنو توم"**

أمام الجمعية الطبية البريطانية: "لا أعلم مرضاً قط شفى بالخمر، كما قرر أساطين الطب ذلك" .

أما الميسر وهو المقامرة، فيقول الدكتور **"سالم محمد"**: إنها داء خبيث، فقد يسهل على الإنسان أن يتخلص من المخدرات والمكيفات دون أن يقدر على التخلص من هذه الآفة اللعينة، كم لعب إنسان برأس ماله فأضاع، وكم قامر رب عائلة بقوتها ، وتركهم في جوع وحرمان، وكم كان إدمان رب البيت على القمار والسهر سبباً لدمار بيته وأهله، مادياً وأخلاقياً واجتماعياً ، ولاعب القمار مهما تمالك أعصابه أو أبدى تحكماً ظاهراً فيها ، فهو وأعصابه في معركة وثورة، وسيرى اللعب كما لا يريد ، وفلتات الحظ التي تتركه وكأنها عامدة إلى غيره، إنما تهز أعصابه هزاً عنيفاً ، لا شك مطلقاً في سوء أثره على الصحة، وقد تسبب مرضه إن لم تسبب وفاته .

ولقد أهتم الأطباء في عصرنا الحديث بكل ما يثير الأعصاب، ويسبب القلق والاضطراب والأرق، إذ أنها تسبب أخطر الأمراض العضوية. وهزات الفرح كهزات الحزن، وهي من لوازم الميسر، تسبب صدمات عصبية أو قلقاً نفسياً يصعب إن لم يكن يستحيل علاجه، علاوة عما يخلفه الميسر من حقد وغل، وضغينة في نفس الخاسر لزميله الرابح، أو في نفس الآخر لمن لم يدفع له ربحه ويماطل فيه، فهل بعد ذلك شك فيما يسببه الميسر والخمر كذلك؟ وليس أفضل مما يُروى في هذا الشأن مما قاله المستر **"ستشلدريك"** في محاضرته بجمعية الشبان المسلمين إذ يقول : إن هناك مسألة أخرى لفتت نظري وزادتني علماً بمكانة

الدين الإسلامي، وهي انفراده بتحريم الخمور، وهي فريدة لا نجدها في كتب الديانات الأخرى، ومن عهد قريب جندت أمريكا جيوشها لمكافحة الخمر، لكنها فشلت في النهاية برغم جميع الوسائل الحضارية التي تذرعت بها، فأين ذلك من هداية سيدنا ﷺ الذي لم يكد يبلغ المسلمين تحريم الخمر، حتى أريقت أدنانها وأكوابها، فسالت بها الشوارع أنهاراً، فالعقلاء في أمريكا وأوروبا الذين نصحوا وقالوا بتحريم الخمر، لا شك أنهم يعتقدون باطناً بضرر الخمر.

وكما قرن الله في القرآن الكريم الخمر والميسر، كذلك فإننا نشاهد غالباً اجتماعهما على مائدة واحدة، فلا ميسر بلا خمر. [1]

**وصدق الله العظيم الذي يقول:**

**﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾** . (سورة المائدة: الآية 91)

**ويقول عبد الرزاق نوفل في كتابه: أسئلة حرجة:** السؤال الذي يثيره دائما أعداء الدين وخصوم الإسلام عن الخمر، هو سبب تحريمها رغم أنها في زعمهم مادة للترويح عن النفس، ومن أسباب المتعة، كما أنها في ظنهم من وسائل تدفئة الجسم، الأمر الذي يجعل الحاجة إليها في الشتاء أو في البلاد الباردة أمرا مرغوباً فيه.

والإجابة عن هذا السؤال لا يمكن أن تكون من باب الاجتهاد، فإن تقرير ما يفيد الجسم أو يضره ليس مما يعالج بالرأي أو الظن أو الاجتهاد، بل إنه أمر لا يقرره إلا العلماء

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، ص160.

والأطباء بعد الدراسات العلمية والأبحاث الطبية والتجارب المعملية والإحصاءات الرقمية، بل وتوالي هذه الأبحاث بالدراسات واستمرارهما على عينات مختلفة من الناس وفي جهات عديدة من العالم وعلى مدى أجيال كثيرة، ثم يتقرر بعد ذلك القرار الذي لا يناقش ولا يعارض ولا يجتهد فيه، وهذا تم في شأن الخمر، فاتضح أن الخمر سم قاتل وضرر بليغ، فبالنسبة لما تحدثه الخمر في جسم الإنسان فلقد أثبت الطب في تقاريره الرسمية وفي مختلف دول العالم أن الخمر تصيب كل أجهزة الإنسان الهضمية بالتهابات وتساعد على الإصابة بالقروح، وإنها تسبب تليف الكبد وموته، وقد نشرت هذه التقارير وهذه البحوث في عديد من كتب العلم وتقارير العلماء، ونشرات الصحة الوقائية، ووصايا الصحة العلاجية وما من طبيب إلا وينصح مرضاه، أياً كان مرضهم بضرورة الإقلاع عن شرب الخمور ولو لفترة العلاج حماية للجسم من تأثير الخمر .

أما أن الخمر مادة للترويح عن النفس ومن أسباب المتعة، فقد تكون كذلك بالنسبة لغير شارب الخمر إذا ما راقب شاربها، إذا كانت رؤية الإنسان لأخيه في موقف مزري مؤسف مما يروح على الإنسان، بدلاً من أن يثير الأسف والشفقة، فالإنسان الثمل يترنح في سيره، ولا يعرف اتجاهه، ويتخبط في خطاه، ولا يقدر خطواته، يهذي في أقواله ولا يدري ما يقول، يخطئ في تصرفه، ويأتي بما ينكره على نفسه وعلى غيره إذا ما أفاق فأي متعة يا ترى، وأي ترويح تلك التي يتحدثون عنها ويتخيلونها ؟

وأما الحرارة التي يحسها شارب الخمر، فإنها ناتجة عن عملية مضاعفة عمل الكبد وإرهاقه حيث يحاول التخلص من الكحول الذي وصل إليه، ليتأكسد ويشعر الإنسان بحرارة تشع عن ذلك لتصل إلى الشعيرات الدقيقة في جلده، وهي حرارة وقتية، وتدفئة كاذبة، إذ يؤثر الجو المحيط بالجلد ليعيد الشعيرات الدقيقة إلى درجتها الطبيعية من الحرارة وبتكرار تعرض هذه الشعيرات إلى الاختلاف الشديد في درجات الحرارة داخلها من أثر الكحول وخارجها من الجو، يصيبها العطب، وفي تقرير رسمي لبعثة العالم "**سكوت**" لاكتشاف المناطق القطبية أن من كان يتناول الخمر من أعضائها بغرض التدفئة من البرد كان أسرع موتاً، وأقل تحملاً لصعاب الرحلة، ولم ينج من الرحلة إلا من كان ممتنعاً عن شرب الخمر، إن أثر الخمر السيئ بالنسبة للحرارة الزائفة التي يحسها شارب الخمر يشير إليه محاولته إضافة كميات كبيرة من الثلج إليها عند تناولها، ثم المحاولات المتعددة لإطفاء اللهيب الداخلي الذي يحسه والذي يتضح من كثرة تناوله الماء بعد الخمر، لاسيما أثناء نومه وبعد يقظته، مما يؤكد أن حرارة الخمر الناتجة من أكسدة الكحول قد غيرت من نسبة الماء داخل الخلايا، في محاولة للجسم أن يعيد توازن مكونات خلاياه.

ولقد أثبت العلم الحديث أن للخمر أثرها البالغ على عقل الإنسان، ولا شك أن هذا هو أخطر ما تصيب الإنسان به، فيقول الدكتور "**ألكسيس كاريل**" الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة: أن العقل أقل متانة من الجسم ومن الملاحظ أن الأمراض العقلية وحدها أكثر عداً من كافة الأمراض الأخرى مجتمعة والمستشفيات المخصصة للمجانين تغص بمن فيها

من المرضى، بحيث لا يوجد فيها مكان لاستقبال غيرهم، ممن يتعين احتجازهم، وفضلاً عن ذلك فإن نسبة كبيرة من الأطفال في المدارس منخفضو الذكاء إلى حد أنه لا يمكنهم متابعة الدروس متابعة مجدية ويقول عن أسباب ذلك أن تغيرات وقتية في النشاط العقلي تظهر بتأثير الكحول الذي يسير مع الدم حتى الخلايا المخية، هذا بالنسبة لشارب الخمر، أما بالنسبة للأطفال الذين يولدون من أب مدمن أو أم تشرب، فإن النسبة الكبيرة للطلبة المتخلفين عقلياً وذهنياً تشير كلها إلى أن السبب في ذلك يرجع إلى شرب الأب أو الأم للخمر.

ولقد أثبتت الدراسات والأبحاث ما للخمر من أثر على الأبناء، فنجد في علم الإجرام حقائق مؤكدة تبرز دور الخمر في وراثة الميل الإجرامي، فنجد في كتاب الأستاذ "**رمسيس بهنام**" أستاذ القانون الجنائي والذي يعتبر من أكبر مراجع علم الإجرام في الجامعات نصاً يقول "إن هناك عاملاً ينشأ الوليد بسببه شاذاً ذا ميل إلى الجريمة، وهو أن يحدث الوقاع والحمل بينما يكون أحد الزوجين أو كلاهما في حالة سكر، والسكر الذي يكون عليه الوالد أسوأ أثراً من السكر الذي تكون عليه الوالدة، لأن أثر الكحول أقوى على الخلية المنوية منه على البويضة، ولأن وقاع المخمورين ذو أثر سيء على الحمل الذي ينتج منه، فقد نصح "**لكارهو**" العروسين بعدم تعاطي النبيذ، كما نادى "**بنيا جارو ابلوركاو**" بتحاشي الوقاع في حالة السكر، وكان أهل قرطاجنة يستبعدون النبيذ من حفلات العرس، وبرجوع البحاثة "**بودوالا**" إلى تواريخ 800 من الأطفال الشواذ أكتشف أن الحمل بهم يرجع إلى أوقات يطغى فيها سيل النبيذ جارفاً، هي أعياد الميلاد ورأس السنة والكرنفال، وقد سلم الألمان بالأثر السيئ للخمر على

الصحة الجسدية والنفسية للطفل حتى أنه قد شاع عندهم استخدام عبارة ابن السبت أي من حمل به يوم السبت وهو في ألمانيا يوم قبض المرتبات والتغالي في المتعة وقياساً على هذه العبارة، يمكن الكلام في بلاد أخرى عن ابن الأحد أو أبن الحمه، وكثيراً ما يفضي سكر المرأة في أثناء الحمل على نتائج سيئة، منها موت الجنين نفسه أو الإجهاض أو الولادة قبل الأوان أو موت الوليد في سن مبكرة أو ضعفه لمقاومة الأمراض، وأورد الكتاب أمثلة أظهرتها الأبحاث والإحصاءات في وراثة الميل الإجرامي منها حالة **"روهلال"** العالم الذي درس أسرة نشأت من رجل يسمى **"ماكس جول"** ولد في عام 1720م، وكان مدمناً للخمر، وزوجته كانت منحرفة وبتتبع سبعة أجيال تسلسل فيها التناسل، أنتجت هذه الأسرة 76 مجرماً و141 متسولاً و128 مومسا و91 ولداً غير شرعي و131 من المجانين والبله والمعتوهين.

ولقد جاء في تقرير لجمعية مكافحة الخمور في بريطانيا نشر في يناير 1970م، أن ربع مليون شخص يتغيبون يوم الاثنين عادة عن العمل كل أسبوع بسبب التمادي في تعاطي الخمر يوم الأحد، وهذا يصيب الاقتصاد البريطاني بشلل خطير، وطالب التقرير بأن تعمل الحكومة البريطانية على المساعدة في علاج ظاهرة إدمان الخمر.

وقد حدثني صديق كان يدرس في الخارج، أنه قد عقدت ندوة نقاشية عن سبب تحريم الإسلام للخمر، ودام النقاش أياماً حيث كان يرجع كل من الفريقين إلى بحوثه وأسانيده يجمع ما يؤيد رأيه إلى أن لحظ الصديق ذات ليلة اضطراب أحوال الأسرة التي كانوا يجتمعون عندها، حيث وجد اجتماعات ومداولات وهمية، فلما استوضحهم الأمر، أُجيب أن ابنتهم

وهي طالبة، قد عبث بها زميل لها في الدراسة واعتدى عليها، ومن المناقشات التي استمع إليها عن الدوافع والملابسات وتحديد المسئوليات، أتضح أن المعتدى عليها بررت هذا الاعتداء بأنها كانت مسلوبة الإرادة، فاقدة الوعي، شربت الخمر مع صديقها فلم تدرك ما فعلت، كما أن صديقها لم يدرك ما فعل، وبلا شك فقد انتهت مناقشة أسباب تحريم الإسلام للخمر بعد أن قدمت الظروف، الدليل العملي، والبرهان القاطع على بعض ما تسببه الخمر للمجتمع.

إن معظم حوادث المرور تحدث من تأثير الخمر، وأغلبية الحوادث الرهيبة، من سرقة إلى قتل إنما يستعين على قضائها الناس بشرب الخمر حيث تفقدهم السيطرة على أعصابه، وتزين لهم كل سوء، وتدفعهم إلى كل ذنب وإلى كل إثم، إن وراء كل حادث ووراء كل مجنون، ووراء كل طفل معتوه، قصة خمر لا شك.

والإنسان لو تحرر من كل تأثير، وأصغى إلى داخله، واستمع إلى وجدانه، فإنه يتأكد تماماً أن الخمر مضرة تماماً، وأنها محرمة يقيناً، فلقد قام الدكتور "**لبون جرينبرج**" الأستاذ بمركز الدراسات الكحولية في جامعة بيل بدراسات عن أثر الخمر على الإنسان، ما تفعله في الجسم وما يفعله الجسم فيها، فسعى هذا الدكتور إلى أحداث وعكة المسكر، وهو الصداع والغثيان وأعراض واضحة تظهر صباحاً على تناول الخمر في المساء، عند جماعة متعددة من الأفراد حتى انطرحوا سكراً، فوصل إلى نتيجة ضمنها دراسته وهي أن وعكة المسكر عرضاً نفسانيا، إذ يشعر الإنسان بجرمه لتناوله الخمر، ويثور داخله، ليظهر عليه وعكة المسكر، إذ

أن الأفراد الذين أجرى عليهم التجارب لم تظهر عليهم هذه الوعكة لأنهم كما قال الدكتور **"ليون"** تناولوا الخمر كجزء من بحث علمي فظلت ضمائرهم نقية سليمة.

وهكذا تؤثر الخمر على شاربها فتضر أجهزته ابتداء من حلقه وحنجرته حيث تصيب المدمن بأمراض معينة في هذه المنطقة، إلى معدته وكبده وأمعائه وجميع خلاياه، وتصيب جهازه العصبي، وترنح شارب الخمر وهذيانه، واضطراب خطواته لهو أكبر دليل على مدى ما يصيب هذا الجهاز، وتؤثر عليه نفسياً حيث يشعر بأنه يرتكب إثماً، كما أثبتت الأبحاث العلمية، وتؤثر الخمر على المجتمع الذي يعيش فيه شارب الخمر، حيث يقل إنتاج شارب الخمر، وحيث يعتدي على غيره، وحيث لا يردعه وهو ثمل أي شيء، إنها تحول بين الإنسان وبين كل خير، وتدفعه إلى كل شر، فهي تمنع الإنسان عن ذكر الله، وعن الصلاة، وصدق الله العظيم الذي يقول:

**﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾** . (سورة المائدة: الآية 91)

وحقاً وصدقاً ما قاله عنها سيدنا رسول الله ﷺ من أنها أم الكبائر، وأنها أم الخبائث. [1]

وينسحب حكم الخمر على كل ما يماثلها من مخدرات تؤثر في عقل الإنسان فتفقده اتزانه وتغيير طبيعته، فالخمر لغة هي كل ما خامر العقل أي يغيبه ويعبث به، كما أن أثر المخدرات على صحة الإنسان وأفراد عائلته وذريته والمجتمع الذي يعيش فيه لا يقل عن أثر

[1] . أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: كتاب الأشربة، باب ما جاء في تحريم الخمر، رقم 17339 ص 500/8.

الخمر السائلة، والإسلام يحرص على صحة الفرد العضوية والنفسية والعقلية، وعلى صحة وسلامة المجتمع، ولذلك فقد حرم الخمر بأنواعها وأشكالها كما حرمتها الأديان الأخرى، بنصوص صريحة واضحة لا تحتاج إلى جدال أو نقاش.

ففي الكتب المتداولة من العهد القديم نجد في الديانة اليهودية نصوصاً قاطعة بتحريم الخمر، منها ما جاء في سفر اللاويين في الإصحاح العاشر ونصه: "وكلَّم الرب هارون قائلاً خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا. فرضاً دهرياً في أجيالكم". [1]

وجاء في سفر القضاة في الإصحاح الثالث عشر ونصه: "فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها، ها أنت عاقر لم تلدي، ولكنك تحبلين وتلدين ابناً، والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكراً، ولا تأكلي شيئاً نجساً". [2]

وما جاء في سفر الأمثال في الإصحاح العشرين ونصه: "الخمر مستهزئة، المسكر عجَّاج ومن يترنح بها فليس بحكيم". [3]

[1] . العهد القديم: سفر اللاويين، الإصحاح العاشر، 8- 9، ص171.

[2] . المصدر السابق: سفر القضاة، الإصحاح الثالث عشر، 3ـ 4، ص 403.

[3] . المصدر السابق: سفر الأمثال، الإصحاح العشرين، 1، ص 957.

وفي الإصحاح الحادي والثلاثين من نفس السفر نجد النص الآتي: "ليس للملوك يا لموئيل ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر، لئلا يشربوا وينسوا المفروض ويغيروا حجة كل بني المذلة، أعطوا مسكراً لهالك وخمراً لمُرّيّ النفس". [1]

وفي سفرا أشعياء في الإصحاح الخامس نجد النص الآتي: "ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر، وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائهم والى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون، ويل للأبطال على شرب الخمر، ولذوي القدرة على مزج المسكر". [2]

هذا في الشريعة اليهودية، وبنص ما يتداول من كتب التوراة.

**أما في المسيحية** فإن كتب العهد الجديد المتداولة تقرر أن سيدنا المسيح لا ينقض ما جاءت به الأنبياء فنجد في إنجيل متى الإصحاح الخامس النص الآتي: "لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لألغي بل لأكمل". [3]

وأما عن الخمر، فما جاء عنها في كتبهم المتداولة ما ورد في إنجيل لوقا، الإصحاح الأول ما نصه: "فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعك وامرأتك اليصابات

[1] . المصدر السابق: سفر الأمثال، الإصحاح الحادي والثلاثون، 1- 3، ص970.

[2] . العهد القديم: سفر أشعياء، الإصحاح الخامس، 11-13، ص997.

[3] . الإنجيل: إنجيل متى، الإصحاح الخامس، 18، ص5.

ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب". [1]

وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، نجد في الإصحاح الرابع عشر ما نصه: "ولا تشرب خمراً ولا تفعل شيئاً يتعثر فيه أخوك". [2]

وفي رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنتوس نجد في الإصحاح الخامس أن شارب الخمر كالزاني وعابد الوثن، وما نصه: "كتبت إليكم في رسالتي أن لا تعاشروا الزناة، فلا أعني زناة هذا العالم أو الطماعين، أو السراقين أو عابدي الأصنام على وجه الإطلاق، وإلا كنتم مضطرين إلى الخروج من المجتمع البشري، أما الآن فقد كتبت إليكم بأن لا تعاشروا من يسمى أخاً إن كان زانياً أو طماعاً أو عابد أصنام أو شتاماً أو سكيراً أو سراقاً، فمثل هذا لا تجلسوا معه لتناول الطعام". [3]

وفي رسالة بولس الرسول إلى تيطس في الإصحاح الأول نجد النص الآتي: "وذلك لأن الناظر يجب أن يكون بريئاً من كل تهمة باعتباره وكيلاً له، لا معجباً بنفسه ولا حاد الطبع، ولا مدمن الخمر، ولا عنيفاً، ولا ساعياً إلى المكسب الخسيس". [4]

---

1. الإنجيل: إنجيل لوقا، الإصحاح الأول، 13- 14، ص73.
2. الإنجيل: رسالة بوليس إلى مؤمنى روما، الإصحاح الرابع عشر، 21،ص 219.
3. الإنجيل: رسالة بولس إلى كورنتوس، الإصحاح الخامس، 9- 11،ص 227.
4. الإنجيل: رسالة بولس إلى تيطس، الإصحاح الأول، 7، ص298.

وفي رسالة بطرس الرسول الأولى نجد في الإصحاح الرابع ما نصه: "كفاكم ذلك الزمان الماضي من حياتكم، لتكونوا قد سلكتم سلوك الوثنيين، حين كنتم تعيشون في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر، وحفلات السكر، والعربدة، وعبادة الأصنام المحرمة، ورفاقكم في تلك العيشة سابقاً يستغربون أنكم لا تركضون معهم على فيض هذه الخلاعة ". (1)

أما الاحتجاج والاستناد إلى أنه في العشاء الأخير قدم سيدنا المسيح لتلاميذه خمراً بالنصوص التي جاءت في الإنجيل والتي كما جاءت في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى ونصه: "بينما كانوا يأكلون أخذ يسوع رغيفاً، وبارك، وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا، كلوا: هذا هو جسدي، ثم اخذ الكأس وشكر، وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم ". (1)

فإنّ ذلك يخالف ما جاءت به الديانة المسيحية في النصوص السابقة، فلا يمكن أن يدعو سيدنا عيسى تلاميذه على شرب الخمر، وقد ذكرت أنها محرمة، وأنها كعبادة الأوثان والذي يتدبر النصوص اللاحقة على نص إعطاء سيدنا عيسى الكأس لتلاميذه ليتأكد تماماً أن هذه الكأس يحتوى عصيراً جديداً لفاكهة، قد يكون العنب، ولم يكن العصير متخمراً إطلاقاً، إذ أن النص في كافة الأناجيل قد ورد ما يفيد أن هذا العصير كان جديداً، ولذلك فقد حرص على أن يذكر أنه لن يشرب من هذا العصير حتى يشرب معهم يوم القيامة منه جديداً كذلك

[1] . الإنجيل: إنجيل متى، الإصحاح السادس والعشرين، 26- 27، ص 39.

بالنص في نفس الإصحاح وفي كل الأناجيل إذ يقول: "على أني أقول لكم: إني لا أشرب بعد اليوم من نتاج الكرمة هذا حتى يأتي اليوم الذي فيه أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي". [1] وهكذا يتأكد أن ما ناوله المسيح لتلاميذه إنما هو عصير طازج، شراب حلال مما أحله الله للناس أن يشربوه.

إن رحمة الله بالإنسان التي تتجلى في كل ما أنعم الله عليه به أو في كل ما أمره به ليتجلى أيضاً في تحريمه شرب الخمر عليه، ليحميه من كل ما تصيبه بها من أضرار وأمراض، وتحمى مجتمعه الذي يعيش فيه من أثر الخمر عليه. [2]

لقد أطلنا الحديث عن الخمر، وبيان الحكمة في تحريمها، لأن داء الخمر استشرى في كل المجتمعات، الغني منها والفقير، المتعلم منها والجاهل، وكيفية استجابة المسلم لنداء ربه حينما حرمت عليه الخمر، دون أن ينفق المجتمع الإسلامي شيئاً من المال في تحريمها، بينما النظم الحاكمة تنفق مئات الملايين من الدولارات للتخفيف من حدة انتشارها دون أن تنجح في ذلك، والسبب، عامل الإيمان والعقيدة في كل أمر.

**الرُقاد وتقليب الجسد:**

---

[1] . المصدر السابق، 29، ص 39.

[2] . انظر: نوفل: أسئلة حرجة، ص 74.

يقول تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ . (سورة الكهف: الآية 18)

العقل البشري يجب أن يتوقف عند قول الله تعالى: **"وَنُقَلِّبُهُم ذَاتَ اليمين وذات الشمالِ"**، لماذا قال الله سبحانه وتعالى هذا الكلام، وما هو الداعي لأن توضع هذه الألفاظ في الآية، مع أنها لو حذفت لا تغير من السياق كثيراً، كما قلت وأقول دائماً، إن لكل كلمة في القرآن الكريم معنى معجزاً، بعضه وصل إليه العقل، والبعض الآخر سيصل إليه العقل بعد سنوات طويلة، إذا تأملنا في الآية الكريم: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ .

نجد أن الله سبحانه وتعالى سيبعث هؤلاء الفتية كآية من آياته، أي سيعيدهم مرة أخرى إلى حياة البشر، ومن هنا فإنه يضع قواعد الصحة للرقاد الطويل، فنجد أننا الآن إذا أُصيب أحدنا بمرض يتطلب رقاداً طويلاً، فإن الأطباء يحذرون من أن المريض يجب أن يقلب يميناً ويساراً حتى لا يصاب جسمه بالقروح، أو تحدث له انسدادات في الدورة الدموية في القدمين، أو الجزء الأسفل من الجسم.

ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا إلى أن الرقاد الطويل يجب أن يتم معه تقليب للإنسان الراقد، بحيث لا يرقد على جزء واحد من جسده فترة طويلة، فيصاب بأضرار بالغة يعرفها الطب جيداً هذه الأيام، كشف عنها الله سبحانه وتعالى من علمه للناس، فعرَّفها لهم.

ومن هنا فإنه سبحانه وتعالى، وقبل أن يكشف العلم البشري ذلك بسنوات طويلة وضع هذه الآية الكريمة ليخبرنا بأنه ما دام هناك رقاد طويل فيجب أن يقلب الإنسان يميناً ويساراً، وأن يكون هذا أساساً في المحافظة على صحته، أو على الأقل في منع أضرار بالغة عنه. [1]

## ومن معجزات القرآن:

من الآيات الدالة على بديع الصنع، ودقة الخلق قوله تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾ . (سورة القيامة: الآية 3-4)

**قول الأستاذ الزرقاني:** أرجو أن نقف قليلاً عند تخصيصه "**البنان**" بالتسوية في هذا المقام ثم نسمع بعد ذلك إلى هذا الوليد "**علم تحقيق الشخصية**" في عصرنا الأخير وهو يقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان، حتى أنه لا يمكن أن نجد بناناً لأحد يشبه آخر بحال من الأحوال، وقد انتهوا من هذا القرار إلى أن حكَّموا البنان في كثير من القضايا والحوادث ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ . (سورة المؤمنون: الآية 14)، [2]

## يقول المهندس رائف نجم:

لأول وهلة لا يظهر شيء من الإعجاز في هذه الآية، ولكن عند التعمق قليلاً، نرى أن الله عز وجل ركز على ذُكر البنان، وهذا الجسم الصغير من جسم الإنسان يؤكد عليه الخالق

---

1 . الشعراوي: معجزة القرآن، 205/2.

2 . الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، 19/1.

المبدع، ماذا في هذا الإصبع حتى يخصص الله له آية كريمة في القرآن الكريم، هنالك أعضاء في جسم الإنسان أهم من الإصبع، لماذا لم تقل الآية مثلاً بل قادرين على أن نسوى عقله أو قلبه أو سمعه وبصره.

إذن هناك في الإصبع شيء هام، إن المقصود هنا هو خطوط البصمة الموجودة على الإبهام، وعلى جميع أطراف الأصابع والمنظمة تنظيماً هندسياً رائعاً يختلف من إنسان لآخر من يوم الخليفة إلى يوم القيامة، ولكن هذا الاختلاف لم يأت عشوائياً بل حسب نظام معين أكتشفه علماء الغرب قبل المسلمين كعلم من العلوم.

إن الأكتشاف العلمي للبصمة كان في سنة 1823م حيث نشر البروفيسور "**Rurkinji**" المختص بعلم التشريح مذكُرة تشير إلى أقسام خطوط البصمة، وفي سنة 1880م نشرت أول لوحة لبصمات المجرمين في مجلة انجليزية تدعى "**Nature**" وكان الناشر الدكتور "Henry" الذي كان يعمل لحساب إحدى مستشفيات طوكيو الذي أكد أن بصمة الإنسان لا تتغير مدي الحياة [1] وبذلك ندرك أن علم البصمة هو علم حديث أُعتمد في القرن العشرين.

حقاً إنه الإعجاز العلمي هي هذه الآية، نزلت على النبي الأُمي قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، ولم يكتشف أحد إعجاز هذه الآية في العصور القديمة وهي الآن عبرة للناس.

[1] . نجم: الإعجاز العلمي في القرآن، ص24.

ويؤكد هذه الحقيقة العلمية ما نشرته جريدة الدستور الأردنية تحت عنوان ﴿ **الشرطة تجمع مليوني بصمة للأطفال خوفاً من الاختطاف** ﴾ تقول فيه: جمع آلاف المتطوعين من رجال الشرطة والأمهات والمواطنين، الأمريكيين بصمات أكثر من مليوني طفل في أكبر حملة من نوعها في تاريخ الولايات المتحدة لجمع بصمات الأطفال من أجل تسجيلها واستخدامها في حالة اختطفاهم أو ضياعهم أو غيابهم عن أسرهم.

وقد نظمت هذه الحملة الشاملة التي بدأت منذ يومين من أجل الحد من مشكلة الأطفال المفقودين والذين وصل عددهم إلى حوالي مليون وخمسمائة ألف طفل في الولايات المتحدة، ومن المقرر جمع بصمات حوالي عشرة ملايين طفل مع نهاية الأسبوع الحالي. [1]

وبهذا تدرك أن البصمات أدل على الإنسان من وجهه وأدل من صورته، وهو من أخص خصائصه، ولو أحترق جلد الإصبع، وتكون مكانه جلد جديد، ظهر الجلد الجديد وبه نفس الأشكال التي كانت في جلده القديم، وإن الخطأ في معرفة الرجال بالبصمات محال.

فهذه الآية دليل قاطع على أن القرآن من عند الله، إذ من المحال أن يعرف الرسول ﷺ الذي نشأ في جبال مكة وصحاريها أن لكل بنان من البشر رسوماً تختلف عن الآخرين، وكيف يعرف هذا السر والمجهر لم يكن موجوداً في ذلك الوقت، فهذه حقيقة لم يكشف عنها

[1] . جريدة الدستور: عدد 1986/4/11، ص15.

العلماء إلا في العصر الحديث ، وبعد بحث دقيق وجهد طويل، وموازنة بين أصابع الملايين من الناس وفحصها بالمهجر. ([1])

**ومن معجزات خلق الله في الإنسان وما دّل عليه القرآن قوله تعالى:**

**﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾** . (سورة الزمر: الآية 6)

قوله "**خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ**" مراحل تكوين الجنين في الرحم، أما الظلمات الثلاث فهذا ما نحن بصدده في هذه الآية، يقول **الدكتور محمد علي البار:** قال بعض المفسرين رحمهم الله : إن الظلمات الثلاث هي ظلمة البطن وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، والمعنى صحيح في ذاته ، فلجدار البطن ظلمة ثم تليها ظلمة جدار الرحم، ثم تليها ظلمة الأغشية المحيطة بالجنين، ومع هذا فالآية قد حددت أن الظلمات الثلاث هي في مكان الخلق من بطون الأمهات، وذلك لا يكون إلا في الرحم ذاته، وإذا دققنا النظر في الأغشية المحيطة بالجنين **وجدناها ثلاثة هي:**

**أ- غشاء السلي أو الأمنيون: ويحيط بالجنين مباشرة من كل جوانبه وفي مائه يتحرك الجنين.**

**ب- غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي) .**

---

[1] . انظر: صدقي: معجزة القرآن، ص181، والفندى: الكون بين العلم والدين، ص197، والهراوى: النظريات العلمية في القرآن، ص17 .

**ت- الغشاء الساقط: وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة أو الإجهاض، وسمى بالساقط لأن الرحم يسقطه مع الأغشية.** [1]

ولعل لهذه الأغشية الثلاثة أسماء أخرى غير التي استعملها الدكتور البار، نجد ذلك فيما ذكره سعيد ناصر الدهان حيث يقول: تقول التقارير المتأخرة إن الجنين في بطن أمه محاط بثلاثة أغشية صماء، لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة.

وهذه الأغشية تُعرف بـ:

**1. المنيارى.**

**2. الأمنيونى.**

**3. الخروبونى.**

والغشاء الذي لا ينفذ منه الضوء والحرارة والماء يدعى باللغة العربية ظلمة [2] وأظن أن الخلاف هو في التسمية فقط لا في ذات الأغشية، خاصة وأن الأستاذ سعيد الدهان قد نفى في كلام سابق لما ذكرته أن تكون الظلمات هي ظلمة البطن والرحم والمشيمة كما ذهب لذلك الدكتور البار نفسه.

---

[1] . البار: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، 201.

[2] . الدهان: القرآن والعلوم، 21.

تُرى هل كان محمد ﷺ طبيباً يُشرحّ بطون الأمهات الحوامل، حتى علم بهذه الحقائق العلمية الدقيقة، أم أن ذلك هو الإعجاز العلمي الذي ينكشف عصراً بعد عصر، وجيلاً بعد جيل ليثبت دليل الوحي وصدق النبوة. [1]

**والآيات في كتاب الله المقروء عن خلق الإنسان كثيرة، كثيرة سأكتفي بذكر بعضها للمثال دون الحصر:**

**1**. قال تعالى: ﴿ **فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ** ﴾. (سورة الطارق: الآية 5-7)

**2**. وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾. (سورة المرسلات: الآية من 20-22)

3. وقال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾. (سورة يس: الآية 36)

**4**. وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا** ﴾. (سورة الحج: الآية 5)

---

[1]. اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 189.

**5.** وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ . (سورة المؤمنون: الآية من 12-14)

وهكذا يعطي القرآن لكل جيل، عطاء خاص يختلف عما قبله لكنه متمم له ولا ينافضه أو يخالفه، فسبحان الله العظيم.

# الفصل الرابع

# من معجزات عالم الحيوان والحشرات والنبات

ذكرت في هذا الفصل أنواع الحيوانات والحشرات التي ذكرت في القرآن الكريم،

ثم بينت ما في هذه الآيات من إشارات اعجازية سبق بها القرآن الزمن والعلم ومكتشفاته،

متحدثاً عن صفات هذه الحيوانات وخصائص كل حيوان، مما لم يكن الإنسان على معرفة بها .

كذلك عالم النبات، بتنوعه العجيب ودقة وصف القرآن لهذا النبات

وبيان خصائصه وما فيه من منافع أو مضار لم يكن الإنسان ليعرفها قبل نزول القرآن الكريم،

وكشفه لأسرارها للإنسان، وأن عالم النبات عالم له أحاسيس ومشاعر وعلم،

يتأثر بما حوله، يحب ويكره.

الحيوان، دوابه وطيره، صفحة مفتوحة في كتاب الله المنظور، ذكرها كتابه المسطور في آيات كثيرة، وسور عديدة، وأشار إلى اختلاف أنواعها وأشكالها وأعضائها وقواها، وألوانها وأصواتها، ومنافعها، ومضارها، وهي مع هذا الاختلاف خلقت من أصل واحد هو الماء.

فعالم الحيوان يُعد كتاباً مفتوحاً لكل من أراد دراسة عجائب الحياة في الأحياء، فالحيوانات والطيور والحشرات هي أمم أمثالنا، وقد زودها الله بما يتلاءم مع بيئتها والظروف التي تواجهها، وقد جاء في القرآن ذكر حيوانات وحشرات كثيرة، منها العنكبوت والنمل والنحل والكلب والحمار، والهدهد، والغراب، والضأن، والنعجة، والحوت، وغيرها، حتى أننا وجدنا بعض سور القرآن تسمى بأسماء حشرات وحيوانات، كالبقرة والنحل والنمل والعنكبوت والفيل.

قال تعالى: **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وإِنَ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾** . (سورة العنكبوت: الآية 41)

إن قول الله تعالى "**اتَّخَذَتْ**" إشارة إلى حقيقة كشفها العلم حديثاً، تؤكد أن الذي يبني البيت وينسج خيوطه هي الأنثى من العنكبوت وليس الذكر، ولنعد للآيات الكريمات لنجد المثل باتخاذ أولياء من دون الله كمثل العنكبوت وضعت بيتها، فهي تتناول علاقة اجتماعية، وروابط تنشأ عنها باتخاذ غير الله أولياء، فهذه العلاقة، وتلك الروابط واهية جداً، وهي في ضعفها ووهنها كوهن بيت العنكبوت بما فيه من روابط وعلاقات، وسنجد أن الآية تذكر البيت ولم تذكر الخيط، فالثابت علمياً أن خيط العنكبوت من

أقوى الخيوط، وهو أقوى من مثيله من الصلب أربع مرات، فالوهن إذن في البيت لا في الخيط وهذه دقة في التعبير.

ثم إن العلم يؤكد أن بيت العنكبوت هو أسوأ ملجأ لمن يفكر بالاحتماء به، فهو مصيدة يقع فيه من الزوار والغرباء، وهو مقتل حي لأهله، فالعنكبوت الأنثى تفترس زوجها بعد التلقيح، كما أنها تأكل أولادها عند الفقس، كما أن الأولاد يأكل بعضهم بعضاً، فتأمل هذه الرابطة الأسرية الواهية، لتجد أن العلاقة العائلية معدومة، وأنها إن وُجدت فهي تتصف بالوحشية والافتراس والعدوان، ومن هنا كانت عظمة التشبيه، وحكمته في من يتخذ من دون الله أولياء، كمن يحتمي في بيت العنكبوت، فهو أسوأ ملجأ يؤدي به إلى أسوأ مصير وعاقبة، ومن هنا كانت الآية مختومة بقوله تعالى: ﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ .[1]

ومعجزة أخرى من عالم الحشرات، عالم النمل، هذا العالم الضعيف، الذي لا نفطن لوجوده، ولا نعبأ بعالمه، يعلمنا الله من حياته الشيء الكثير.

قال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ . (سورة النمل: الآية 18)

1 . الدباغ: وجوه من الإعجاز القرآني، ص175.

الآية دليل على أن للنمل لغة يتخاطب بها، وهذا ما أثبتته الأبحاث العلمية الحديثة، بوسائلها العلمية الدقيقة عن حياة النمل الاجتماعية القائمة على التفاهم فيما بينهما، وهذه اللغة تتجاذب بها أطراف الحديث بكلام خاص أو بإشارات مسموعة أو غير ذلك، مما علمه الله لنبيه سليمان عليه السلام، ويقوم هذا النمل كما هو مشاهد بمشروعات جماعية مثل مد الطرق وإقامة الجسور، وبناء المستعمرات، ولا يمكن التعاون على كل هذه الأشياء إلا بالتفاهم بلغة متداولة بينها، والنمل هو الوحيد الذي يتلاقى في مجتمعات للتعارف وتبادل المنافع، كما أنه الوحيد الذي يهتم بدفن موتاه مما يدل على حياة منظمة نشطة لها كيان ودستور يحكمها في سلوكها. [1]

إن معجزات عالم النمل قول الله تعالى ﴿**يَحْطِمَنَّكُمْ**﴾ توقف العلماء عندها كثيراً، لماذا لم يقل الله يقتلكم أو يدهسكم، وهي الأليق بالنسبة للمخلوقات الحية، هذه التساؤلات دفعت الباحثين إلى البحث في خصائص النمل، فإذا بهم يصلون إلى ما يدهش العقل والقلب، إن جسم النملة يتكون في جزءه الأكبر من مادة زجاج، وهي التي يتلاءم معها لفظ ﴿**يحطمنكم**﴾، لأنه هو المادة الوحيدة التي تتحطم تحطيماً من بين المواد فمن الذي أعلم محمداً عليه السلام بهذه الخصيصة الدقيقة والتي ما كان ليعلمها الرسول إلا من خلال وحي السماء، هذا الكشف الذي كان سبباً في هداية بعض علماء الغرب ممن يتخصصون في مجال عالم الحشرات والحيوانات.

---

[1] . إبراهيم: القرآن وإعجازه العلمي، 155.

فسبحان الله العظيم

قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ . (سورة النور: الآية 45)

يقول الأستاذ علي فكري: " فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ "كالحيات والثعابين وما أشبهها من الزواحف التي تزحف على سطح الأرض، و" وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ "كالطيور وأمثالها وبعض الحيوانات والإنسان و " مِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ "كالقردة والبهائم. [1]

إن الذي صنف الدواب هذا التصنيف هو الذي أنزل القرآن بعلمه.

وفي آية التصنيف هذه حقيقة علمية أخرى، وهي خلق كل الدواب من ماء.

وعامة الناس قد لا يتعجبون من هذه الغرائب، بما فيها من حكمة الخلق ودقته، وذلك لأنهم ألفوها، أما العلماء فانفتحت أبصارهم وكشفت بصائرهم، وقرأوا هذه العجائب فأعظموها، وأدركوا قدرة الخالق فيها، وأن واصفها هو الذي أبدع خلقها.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 38)

[1] . فكري: القرآن ينبوع العلوم والعرفان، 148/1 .

ترى من الذي أخبر محمداً ﷺ، بأن كل صنف من هذه الحيوانات بكافة أشكالها وأنواعها وهذه الطيور أيضاً والحشرات، كل صنف منها يمثل أمة مستقلة لها لغاتها وعاداتها، ونمط حياة يختص بها لو لم يكن ذلك بوحي من عند الله، وبعلم الله.

قال تعالى: ﴿ لَّـٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾. (سورة النساء: الآية 166)

ولقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة التي قام بها علماء التاريخ الطبيعي أن الحيوان قد زُود بحواس تلائم بيئاته، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾. (سورة طه: الآية 50)

إن جانباً كبيراً من علم الحيوان يهتم فيه العلماء الباحثون بدراسة أجهزة الحيوان المختلفة، سواء كان الحيوان خلية واحدة كما في الحيوانات الأولية أو كان جسمه مكوناً من ملايين الخلايا، ويركزون اهتمامهم بدراسة تكيف هذا الحيوان بأجهزته المختلفة مع البيئة التي يعيش فيها، وقد وُجد أن جميع الحيوانات متكيفة بأجهزتها التي خلقها الله سبحانه وتعالى لها مع البيئات التي تعيش فيها تكيفاً عجيباً، دفع بعضاً من العلماء الذين لا يؤمنون بالله إلى افتراض أن هذه الحيوانات قد طورت بنفسها أعضاءً لها لملائمة البيئة، وعجباً أن يوجد مثل هذا الاعتقاد، وبعضهم قد عزى ذلك إلى الطبيعة، وهل الطبيعة تستطيع أن تخلق شيئاً، إن هذا هو العناد والمكابرة في إنكار صفة الخلق لله رب العالمين. [1]

[1]. اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، 195.

يقول عبد الرزاق نوفل: تتعدد الأماكن التي يوجد فيها الحيوانات، وقد اختلفت أجهزتها اختلافاً كبيراً بحيث يلائم البيئة التي تعيش فيها، والغذاء الذي يتوافر لها، فالفم وهو أول مراحل الهضم، قد صمم تصميماً رائعاً ينطق بعظمه مبدعه.

زودت أفواه الآساد والنمور، والذئاب والضباع، وكل الحيوانات الكاسرة التي تعيش في الفلاة ولا غذاء لها إلا ما تفترسه من كائنات لابد من مهاجمتها والتغلب عليها بأنياب قاطعة وأسنان حادة وأضراس صلبة، ولما كانت في هجومها لا بد أن تستعمل عضلاتها، فلأرجلها عضلات قوية سلحت بأظافر ومخالب حادة، وحوت معدتها الأحماض والأنزيمات الهاضمة للحوم والعظام.

وتعيش بعض الحيوانات على المراعي، ويعني بها الإنسان فيوفر لها غذاءً أساسه النباتات والشجيرات ومن هذه الحيوانات البقر، والجاموس، والغنم، والماعز وغيرها، وقد صُممت أجهزتها الهاضمة بما يتناسب مع البيئة، فأفواهها واسعة نسبياً، وقد تجردت من الأنياب القوية والأضراس الصلبة، وبدلاً منها توجد الإنسان التي تتميز بأنها قاضمة قاطعة، فهي تأكل الحشائش والنباتات بسرعة وتبتلعها كذلك دفعة واحدة، حتى يمكنها أن تؤدي للإنسان ما خلقت لأجله من خدمات، وقد أوجدت العناية الخالقة لهذا الصنف أعجب أجهزة للهضم، فالطعام الذي تأكله ينزل إلى الكرش، وهو مخزن له، فإذا ما انتهى عمل الحيوان وجلس للراحة، ويذهب الطعام إلى تجويف يسمى القلنسوة ثم يرجع إلى الفم، فيمضغ ثانية مضغاً جيداً حيث يذهب إلى تجويف ثالث يسمى أم التلافيف، ثم إلى رابع يسمى الانفحة، وكل هذه العملية

الطويلة أعدت لحماية الحيوان، إذ كثيراً ما يكون هدفاً لهجوم حيوانات كاسرة في المرعى، فوجب عليه أن يحصل على غذائه بسرعة ويختفي، ويقول العلم إن عملية الاجترار ضرورية بل حيوية، إذ أن العشب من النباتات العسرة الهضم، لما يحتويه من السليكوز الذي يغلف جميع الخلايا النباتية، ولهضمه يحتاج الحيوان على وقت طويل جداً، فإن لم يكن مجتراً ومعدته مخزن خاص ، لضاع وقت طويل في الرعي يكاد يكون يوماً بأكمله دون أن يحصل الحيوان على كفايته من الغذاء، ولأجهد العضلات في عمليات التناول والمضغ، إنما سرعة الأكل، ثم تخزينه وإعادته بعد أن يصيب شيئاً من التخمر، ليبدأ المضغ والطحن والبلع، تحقق كافة أغراض الحيوان من عمل وغذاء، وحسن هضم، فسبحان الله.

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ . (سورة الملك: الآية 19)

إن من أعجب ما اكتشف في عالم الحيوان، أن الطير أخف من أي حيوان في حجمه وقد أتضح بالتشريح أن عظام الطير دقيقة ومجوفة، لتعمل على خفة جسمه وتجعله بذلك قادراً على الطيران، ومن أعمق الدراسات التي يمكن بها أن نلمس القدرة الإلهية التي صممت وخلقت ما نشاهده في أرجل الحيوانات، فالتي من خصائصها الجري والجر، نرى أن أرجلها قوية لتساعدها على الجري السريع، كما تنتهي كل رجل بحافر صلب ليحمي الرجل مما قد يصيبها من كثرة الجري، كالحمار والحصان، أما البقر والجاموس، فأرجلها قصيرة قوية، تنتهي بأظلاف صلبة مشقوقة، لتساعدها على السير في الأراضي الزراعية اللينة، بينما أرجل الجمل

تنتهي بأظلاف مشقوقة تحتها وسادة لينة ثخينة تسمى بالخف، لتمنع القدم من الغوص في الرمال، وعلى أرجله كذلك أربطة من جلد خشن تحميه من الحصى والرمال عندما يبرك.

وأقدام الطيور كذلك، تختلف باختلاف طبيعتها، فالطيور التي تتغذى على اللحم، لقدميها مخالب قوية جامدة، وهي متينة بما يساعدها في القبض على الفريسة، كالنسر والصقر والبوم والحدأة وغيرها، فأما تلك التي تتغذى على الحبوب كالدجاج والحمام فأقدامها ذات أظافر مدببة تصلح للنبش في الأرض والطيور التي تستلزم أمر تغذيتها البحث عن غذائها في الماء، تتصل أصابعها بغشاء جلدي تستعمله كالمجداف في سباحتها .

ومن أبرز الأدلة على ملائمة الحيوان للبيئة التي يعيش فيها أن ما تضطرها ظروف غذائها البقاء في الماء لمدد طويلة قد هيئ ريشها بما لا يجعل الماء يعلق به، فلذا لا تحس هذه الطيور ببرودة الماء ولا يصل البلل إلى أجسامها .

ومن أبرز الأدلة على ملائمة الحيوان للبيئة التي يعيش فيها ما عرف في التعبان من أن فكية سائبان من الخلف، حتى يمكن للفم أن يتسع فيزدرد فريسته بغض النظر عن كبر حجمها . [1]

**يقول الدكتور حامد قنيبي:** هذه الطير السابحات في الفضاء والقابضات الباسطات، من الذي أودعها القدرة على ذلك؟ إنه الرحمن يمسكهن بنواميس الوجود المتناسقة ذلك التناسق العجيب، وبقدرته القادرة التي لا تكل، وعنايته الحاضرة التي لا تغيب.

---

1 . نوفل: الله والعلم الحديث، ص57 .

بقي هنا شيء: وهو لماذا قال **"صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ"** ولم يقل صافات قابضات، أي لماذا عبر عن الصف بالاسم وعن القبض بالفعل؟ إن النكتة في التعبير عن القبض بالفعل المضارع الذي يفيد التكرار والتجدد هي تصوير الحالة لأذهان المخاطبين، وزيادة تعجبهم منها، فإنهم حين نقول لهم انظروا إلى الطير صافات، يعجبون من أمرها، ثم يخف العجب حينما يقع في نفوسهم أنها عند بسط أجنحتها يكون قد دعمها الهواء كما يدعم الأجسام الرقيقة المنبسطة فيه، فإذا نبهناهم إلى أن الطير قد يقبض جناحه في أثناء الطيران ولا يقع نكون قد زدنا في عجبهم و هيجنا دهشتهم، والفعل المضارع بما فيه من معنى التجدد والحدوث والزمن يساعد على تصوير الحالة وإحضارها في ذهن المخاطب أكثر من الاسم، يعرف ذلك من تفطن لأساليب العرب.

هذا وإنّ في الجناح قدرة خفية لا يعرف مصدرها ولم تزل من المشكلات التي لم يحلها العلم الحديث، فالقطار مثلاً يقطع المسافات الشاسعة بقوة البخار الدافعة، ولكن جناح الطائر يحمله مئات الأميال بدون أن يستمد طاقة من الخارج، وقد يرفرف الجناحان بسرعة عظيمة مدة طويلة من الزمن مدفوعين بقوة كامنة لا يدرك منشؤها ولا المورد الذي يغذيها، وتتضح هذه الظاهرة في العصفور الطنان الذي يزيد حجمه قليلاً عن النحلة، فإنه يستقر في الهواء تحت زهرة بها رحيق مرفرفاً جناحيه بسرعة مفرطة حتى ليخيل للرائي أنهما ساكنان. [1]

**الحشرات والحيوانات العاملة:**

[1] . قنيبي: المشاهد في القرآن الكريم، ص133.

نشر المركز القومي للخدمات الإعلامية الخاصة بالزلازل في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف عام 1977م، دراسة تشير إلى أن خروج الصراصير من مخابئها وكثرة تنقلها، من الدلائل التي تتنبأ بقرب وقوع الهزات الأرضية، وفي تقرير آخر نشرته جمعية الجيولوجيا الأمريكية قال **"دافيد استيوارت"** مدير معامل الجيولوجيا الطبيعية في جامعة كاليفورنيا أن حساسية الصرصار لاقتراب وقوع الزلازل تفوق أحدث الآلات العلمية الحديثة، وأضاف أن العلماء مازالوا يرقبون التغيرات التي تطرأ على سلوك مجموعة واسعة من الحيوانات تسبق وقوع الهزات الأرضية مثل خروج الأسماك التي تعيش في قاع الأنهار وهروب الفئران من المنازل ورفض الخيول دخول إسطبلاتها، سواء كان هذا التغير في السلوك ينشأ عن انعكاس بعض التأثيرات الطبيعية أو استجابة إلى إشارات حسية غاية في الدقة، ربما استطاع العلماء الاستفادة من الحيوانات فيما لم تفدهم آلاتهم الحديثة الجديدة.

في نهاية عام 1977م عقد مؤتمر علمي في الولايات المتحدة اشترك فيه عدد من العلماء في مختلف التخصصات وأهمها علوم الأرض والحياة والجغرافيا وبحوث الزلازل، وذلك لدراسة إمكان استخدام الحشرات والحيوانات في التنبؤ عن قرب الزلازل بعد أن استمر العلماء في دراسة السلوك الغريب والتصرف العجيب الذي يلاحظ على كثير من الحشرات والحيوانات، وتكون دليل قرب وقوع الزلازل، ولم يحدث أن سجلت المتابعة على طول زمانها واتساع رقعتها، حالة واحدة لم يصدق فيها إنذار الحشرات، ولا إعلان الحيوانات، وتقام حالياً في صحراء كاليفورنيا أول مستعمرة من نوعها في العالم، بل في التاريخ استجابة لاقتراح هذا

المؤتمر، إذ تضم العديد من الحيوانات والمختلف من الحشرات فقط، وهدف إنشاء هذه المستعمرة هو دراسة ما يبدو على هذه الحيوانات والحشرات من مظاهر وأحاسيس، عرف أنها إشارات تنبؤية لأحداث قادمة، والإعلان عن كوارث قريبة وافدة.

وقد حاول بعض العلماء إسناد هذه الظاهرة إلى وجود استجابة قوية من بعض الحيوانات والحشرات للمجال المغناطيسي للأرض تشعر به أي تغيير يطرأ عليه قبل وقوع الزلازل، وقال البعض الآخر أن ذلك إنما يرجع إلى قوة حاسة السمع لدرجة رهيبة لدى هذه الحيوانات والحشرات، بحيث تسمع أصوات حركات باطن الأرض التي تسبق الزلازل، بينما يقول غيرهم إنها حساسية لمعرفة التغيير الذي يحدث على الصخور قبل الزلازل.

غير أن الدراسة العلمية والمتابعة النظرية تهدم هذه الاحتمالات من أساسها وتنفى وجود أي صلة بينها وبين ما يبدو على الحيوان أو يتم فيه، إذا أن الأمر لا يقتصر على الزلازل، بل يتجاوزه إلى العواصف والرعد والبرق، وحتى على هبوب الرياح وسقوط الأمطار، بل والى حوادث أخرى لا تتصل بالظروف الطبيعية إطلاقاً، وهذا لا شك أمر يبعد جداً عن باطن الأرض أو تحركات الصخور أو المجالات المغناطيسية الأرضية، فلقد أذاعت الجهات العلمية في ألمانيا في أوائل 1977م، أن علماء ألمانيا الغربية يقومون حالياً بدراسات حول تصرفات حيوانات الغابات أثناء وقوع الكوارث الطبيعية ومدى شعورها مقدماً بها واحتمال وجود حاسة سادسة لديها تنبئ بوقوع الكوارث، وذُكر العلماء أن الدراسات الأولية أثبتت أن بعض الطيور تغرد تغريداً متواصلاً قبل سقوط الأمطار بوقت قصير، كما أن القطط والكلاب

والحيوانات المنزلية تملك أيضاً مثل هذا الشعور الفطري إذ إنها تبحث عن ملجأ لها قبل هبوب العواصف وهطول الأمطار الغزيرة، وأيضاً فإن اليابان وهي أكثر دول العالم تعرضاً للزلازل تستعين حالياً بنوع من الأسماك يوضع في أحواض زجاجية داخل المنازل، وعن طريق سلوك الأسماك في ماء الحوض يمكن معرفة قرب حدوث الزلازل فيتخذ السكان كافة إجراءات الوقاية وسبل النجاة، ولم يحدث أي خطأ ولو لمرة واحدة في سلوك السمك في ملايين الأحواض التي تنتشر في معظم منازل اليابان، ولا شك أن السمك وهو يعيش في حوض زجاجي فهو بعيد عن مياه الأنهار، والترع والآبار، وصخور البحار.

ولعل من أهم ما يناقض كل هذه الاحتمالات التي يعرضها العلماء حالياً للمناقشة عن أسباب هذه الظاهرة في الحيوانات والحشرات، ما حدث أخيراً بالقرب من مطار القاهرة، حيث كانت إحدى الطائرات تقوم بنقل شحنة من القرود من أواسط أفريقيا لأحدى الدول عن طريق القاهرة، للأبحاث العلمية وقبل وصول الطائرة إلى مطار القاهرة بمسافة زمنية لا تزيد على ربع ساعة حدث هياج شديد، وذعر رهيب للقرود، حتى أنها حطمت أقفاصها وحاولت كسر أبواب ونوافذ الطائرة، ولم يستطع طاقم الطائرة السيطرة على القرود، فلقد كان الأمر أشد وأعنف مما يتصور أو يتخيل، الأمر الذي جعل الطاقم يتصل بالبرج في المطار يرجو العون، ويطلب الاستعداد، وأعجب من ذلك أن بعض القردة ارتمت على أرض الطائرة في حالة أقرب ما تكون للموت، أو الاستسلام له، وكأنها يئست من نجاتها أو تأكدت من قرب موتها، والانتهاء من حياتها، وبعد ما يقرب من عشر دقائق والطائرة على مشارف المطار

اندلعت النار في الطائرة، بلا سبب، وانفجرت بلا سبب واحترق معظم القردة، ونجا البعض منها بفرارها في الصحراء والفضاء المحيط بالمطار، وما عثر عليه كان في حالة انهيار تام، واضطراب كامل، ولقد نشرت هذه الحادثة، وعنيت بدراسات متعددة من العلماء، واجتمع الرأي على أنها حاسة عجيبة وظاهرة غريبة في القردة، إذ قد أحست بوقوع حريق في الطائرة وانفجارها قبل موعده بما يقرب من ربع ساعة، وهذا أمر لا يتصل بمغناطيسية الأرض، أو حركة الصخور، أو زلازل، ولا رعد أو برق أو أمطار.

إن الحيوانات والحشرات والطيور والأسماك تقوم بما يعجز عنه الإنسان، بل ربما يحتار في بيانه، والوقوف على أسبابه، وبما لا تستطيعه أجهزته العلمية التي غزا الفضاء بها، وطاف السماء عليها ونزل إلى القمر فيها.

فهل يوجد قول يمكن به تعليل هذه العجائب، وتبرير هذه الغرائب، نعم هو قول واحد، إنه صنع الله. [1].

**قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** . (سورة النحل: الآية 68-69)

ومن عجيب ما خلق الله، النحل، حيث ألهمها باتخاذ بيوت لها في الجبال، وفي الشجر، وفي البيوت، ونلاحظ أن النحل يتخذ هذه البيوت مسدسة الشكل دون غيرها من الأشكال،

---

1 . نوفل: صنع الله، ص63.

فقد ثبت، أن الأشكال من المثلث إلى المعشر إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل بينهما فرج إلا الشكل المسدس، فإذا جُمع إلى أمثاله اتصل وصار كأنه قطعة واحدة، وقد أجمع الرياضيون على أنه لا يمكن أن يبني بناء أقوى وأوفر اتساعاً لفقس البيض وخزن العسل بكمية مماثلة من الشمع الذي يبنيه النحل. (1)

ثم ما الذي أدرى محمداً ﷺ أن ما يخرج من بطون النحل فيه شفاء للناس، وأخذ يرشد الناس ليتخذوه دواء يتطببون به.

**ويقول الدكتور حامد قنيبي**: كيف تبني النحل بيوتها، وكيف تقسم البيت على غرف في نظام هندسي عجيب، منها الصغيرة للعمال، ومنها الكبيرة لليعاسيب، ومنها غرف الملكات الحوامل، أنظر كيف تصنع لنا العسل، وانظر كيف يقتسمن الأعمال كما يقتسمن المساكن، فمنها ما تقوم بجني السكر من كؤوس الأزهار، ومنها ما تقوم بإعداد الغذاء للأطفال، فتمضغ لها العسل ليسهل هضمه عليها، فإذا بلغ الأطفال الحد الذي تستغني عن هذه المساعدة كفت العاملات الطابخات عن المضغ، ولكن هذا الدلال يبقى للمرشحات للغرس، ويستمر هذا التعاون الجماعي، من دون أن يختل أو يتبدل، على كر الأيام والسنين، بدقة لا يتيسر لنا أن نراها، في أعظم مؤسسة اجتماعية يديرها الإنسان العاقل. (2)

1 . حامد: القرآن وعالم الحيوان، ص107.

2 . الجسر: قصة الإيمان، ص 366.

والنحل تعمل بإلهام من الفطرة التي أودعها إياها الخالق، فهو لون من الوحي تعمل بمقتضاه، وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها، وفي تقسيم العمل بينها، وفي طريقة إفرازها للعسل المصفى.

والنص على أن العسل فيه شفاء للناس قد شرحه بعض المختصين في الطب شرحاً فنياً: إن عسل النحل هو سلاح الطبيب في أغلب الأمراض، واستعماله في ازدياد مستمر بتقدم الطب، وهو الغذاء الوحيد المعقم طبيعياً، وهو قاتل للجراثيم وقاهر لها. [1]

**يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.** (سورة الغاشية: الآية 17)

الإبل سفينة الصحراء وعماد ثروتها الحيوانية آية دالة على بديع القدرة والتدبير، في خلقه آيات معجزات دالة على قدرة الله، ليتدبر في ذلك المتدبرون، فمن المعروف أن من صفاتها الظاهرة ما يمكنها من أن تكون سفن الصحراء بحق، فالعينان ترتفعان فوق الرأس وترتدان إلى الخلف فضلاً عن طبقتين من الأهداب تقيانهما الرمال والقذى، وكذلك المنخران، وانثنت الأذن على صغرها وقلة بروزها نحو الجسم أما القوائم فطوال تساعد على سرعة الحركة، مع ما يناسب ذلك من طول العنق، وأما الأقدام فمنبسطة في صورة خفاف تمكن الإبل من السير فوق الرمال الناعمة، وللجمل كلكل تحت صدره ووسائد قرينة على مفاصل أرجله تمكنه من الرقود فوق الأرض الخشنة الساخنة، كما أن على جانبي ذيله الطويل شعراً يحمي الأجزاء الخلفية الرقيقة من الأذى، أما مواهب الجمل الوظيفية فأبلغ وأبدع، فهو في الشتاء لا يطلب

[1] . قينبي: المشاهد في القرآن الكريم، ص 139.

الماء، بل قد يعرض عنه شهرين متتاليين إذا كان الغذاء غضاً رطباً، أو أسبوعين إذا كان جافاً، كما أنه قد يتحمل العطش الكامل في قيظ الصيف أسبوعاً أو أسبوعين، يفقد في أثنائها أكثر من ثلث وزنه، فإذا ما وجد الماء تجرع منه كمية هائلة يستعيد بها وزنه المعتاد في دقائق معدودات، والجمل لا يختزن الماء في كرشه كما كان يظن، بل إنه يحتفظ به في أنسجة جسمه، ويقصد في استهلاكه غاية الاقتصاد، فمن ذلك أنه لا يلهث أبداً ولا يتنفس من فمه ولا يصدر من جلده إلا أدنى العرق، وذلك لأن حرارة، جسمه تكون شديدة الانخفاض في الصباح الباكر، ثم تأخذ في الارتفاع التدريجي أكثر من ست درجات قبل أن تدعو الحاجة إلى تلطيفها بالعرق والتبخر، وعلى الرغم من كمية الماء الهائلة التي يفقدها الجسم بعد العطش الطويل، فإن كثافة دمه لا تتأثر إلا في الحدود ومن ثم لا يقضي العطش عليه، وقد ثبت أن دهن السنام مخزن للطاقة يكفيه غوائل الجوع، ولكنه لا يفيد كثيراً في تدبير الماء اللازم لجسمه. [1]

وآيات القرآن الكريم ذات العلاقة بعالم الحيوان والحشرات، كثيرة لا حصر لها، وكل يوم جديد يكشف لنا العلم من أسرارها ما يجعلنا نقف أمامها خاشعين لله الذي أتقن كل شيء خلقه، وهنا نكتفي بذكر بعض تلك الآيات الكريمة:

يقول تعالى: ﴿ **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ . (سورة النحل: الآية 5)

---

[1] . الزمخشري: التفسير، 247/4.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ . (سورة النحل: الآية 66)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ . (سورة النحل: الآية 80)

ويقول جل وعلا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ . (سورة يس: الآية 71-73)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ . (سورة هود: الآية 6)

**عالم النبات:**

لو تأملنا النبات لوجدناه عالماً فسيحاً، لسان حاله التقديس والتسبيح للخالق سبحانه وتعالى، وهو من جملة بدائع القدرة الإلهية في المخلوقات، من حيث إيجاد الأشجار والثمار، والحبوب، والبقول، والأزهار، والتأمل في كيفية تكوينها، وجميل صنعها، مما يقوي في الإنسان عقيدة الإيمان برب السماوات والأرض وجميع الكائنات.

وإذا كان عالم النبات صفحة من كتاب الله المنظور، فإننا نشهد فيه صورة الحياة في حركتها وانتقالها، وفي مراحلها وأطوارها، وفي جمالها المونق البديع الألوان والأشكال. [1]

فالنبات بأنواعه الكثيرة والمتعددة، جعل الله منها ما هو داء وما هو دواء، ومنها ما هو مأكل للإنسان ومنها ما هو مأكل للحيوان، فهو عالم قائم بذاته، مازال العلماء يجتهدون في دراسته، خاصة وأن النباتات تتلاءم مع بيئتها تلاؤماً لا يمكن لغير الله سبحانه وتعالى أن يصنعه، فلكل بيئة نباتات معروفة تختلف عن غيرها اختلافاً جوهرياً في كافة أجهزتها مما يدهش المتأمل في ملك الله.

**يقول الشيخ طنطاوي جوهري:** اعلم أن أعداد النباتات على الأرض على حسب ما قال اللورد "أفبري "في كتابه" محاسن الطبيعة "تبلغ خمسمائة ألف صنف، وهذا مجرد عدد، ويقول: أما الخواص والمنافع فالمعلوم منها قليل، وإن هناك نباتات محفوظة في المتاحف لم يسمها الناس باسم لأنها من النباتات المنقرضة، وكل يوم يعثر الناس على أصناف جديدة من النبات، فهناك نباتات مجهولة محفوظة، وأخرى لم يعثر عليها، فإذا ضُم المجهول المحفوظ في المتاحف إلى ما يُكشف كل يوم، كان العدد أكثر من ذلك. فمن هذا النبات ما هو للتغذية، ومنه ما هو للمجلس، ومنه ما هو للدواء، ومنه ما هو فاكهة، ومنه ما هو مطعوم البهائم. [2]

[1] . قنيبي: المشاهد في القرآن الكريم، ص108 .

[2] . جوهري: الجواهر في تفسير القرآن، 51/25 .

يقول تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ .

(سورة عبس: الآية 24 – 32)

ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 141)

فالنباتات فصائل كثيرة، منه الشجر كالنخيل والزيتون والرمان، ومنه الزرع كالقمح، والشعير والذرة، والفصائل تختلف عن بعضها باختلاف أعضاء التذكير والتأنيث فيها، فلكل نبات ذكور وإناث، وهكذا سائر الزروع والشجر والأزهار إما أن تكون جميلة كالورود والرمان والبرتقال والمشمش، وإما أن تكون غير جميلة كالصفصاف والأثل. [1]

يقول تعالى: ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . (سورة الرعد: الآية 4)

ما نراه أن الأرض تنتج أصنافاً متنوعة من الثمار والطعوم، يفضل الإنسان بعضها على بعض، مع أن الجميع يسقى بماء واحد، وهذه من معجزات خلق الله وإبداعه الذي ذكره لنا القرآن الكريم بألفاظ واضحة وأسلوب بديع، لافتاً الإنسان إلى عظيم صنع الله.

---

[1] . جوهري: القرآن والعلوم العصرية، ص 380.

يقرر علماء النبات أن جذور النباتات تمتد في التربة لتمتص الغذاء من عناصرها الملائمة لها وتحولها إلى ثمار يتميز بعضها عن بعض في الشكل والطعم والرائحة، وهذا هو المعنى العلمي الذي تشير إليه الآية، بأن قطعة الأرض الواحدة تتكون من عدة أجزاءٍ متجاورة ومتلاصقة، ولكنها تشمل في تكوينها مواد معدنية أو عضوية أو بكتيرية مختلفة، وعندما تسقى قطعة الأرض الواحدة نجد أن ثمارها متنوعة، لأن بها أجزاء طينية وأخرى رملية، إلى ثالثة كلسيه، وأن كلاً منها يختلف عن الآخر اختلافاً تاماً، وعندما تسقى قطعة الأرض نجد أن ثمارها متنوعة في أشكالها وألوانها وطعومها، من عنب وخضر ونخل ورمان، مع أنها كلها سُقيت بماء واحد . [1]

ترى هل كان محمد ﷺ يعرف هذه الأصناف المتنوعة والتفصيلات الدقيقة في هذا العالم الفسيح، وقد أمضى كل حياته يسكن الصحراء الجرداء، وهل كان متخصصاً في النبات فدرس علمه في المعاهد والجامعات مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب؟ وهل كان يعمل مزارعاً في الحدائق والحقول ليكسب خبرة ومعرفة بهذه التفضيلات والتفاصيل.

إذن لا بد أن يكون ذلك قول من أنزله بعلمه، وهو يشهد على ذلك وملائكته يشهدون، وكفى بالله شهيداً .

يقول تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ . (سورة المؤمنون: الآية 20)

1 . إبراهيم: القرآن وإعجازه العلمي، ص 145 .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ . (سورة النور: الآية 35)

يقرر العلماء والعلم أن شجرة الزيتون من الأشجار الخشبية التي تعمر طويلاً، لمدد تزيد على مئات السنين، وتثمر ثماراً مستمرة بغير جهد من الإنسان، كما تتميز بأنها دائمة الخضرة جميلة المنظر، وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائية جيدة، ففيه نسبة كبيرة من البروتين كما يتميز بوجود الأملاح الكلسية، والحديدية، والفوسفاتية، وهي مواد هامة وأساسية في غذاء الإنسان، وعلاوة على ذلك فإن الزيتون يحتوي على فيتامين "أ، ب"، ويستخرج من ثماره زيت الزيتون الذي يحتوي على نسبة عالية من الدهون السائلة التي تفيد الجهاز الهضمي عامة والكبد خاصة، ويفضل زيت الزيتون كافة أنواع الدهون الأخرى النباتية أو الحيوانية، لأنه لا يسبب أمراضاً للدورة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهون، كما أنه ملطف للجلد، إذ يجعله ناعماً مرناً، بالإضافة لما له من استعمالات كثيرة في الصناعات، وقد أقسم الله به للتنويه بشأنه، وعظيم منفعته. ([1])

قال تعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ . (سورة التين: الآية 1-3)

[1] . إبراهيم: القرآن وإعجازه العلمي، ص163.

ويقول تعالى: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ . (سورة الرحمن: الآية 38-62)

يثبت العلم أن أكثر الطعام فائدة للإنسان ، الفاكهة بأنواعها المختلفة، فقد جمع فيها سبحانه من الغذاء والدواء ما جعلها مكتملة العناصر اللازمة لصحة الإنسان والأبدان، وقد خص الله العليم الخبير بعض أنواع الفاكهة بأنها ذات فائدة غذائية أكثر من غيرها ، وهذه هي النخل والرمان التي جاء ذكرها في الآيات، أما النخل فقد دلت التحاليل الكيميائية على أن التمر يحتوي على نسبة مرتفعة من السكريات "76% تقريباً"، ويستفيد الجسم من التمر في إنتاج طاقة عالية وسعر حراري كبير علاوة على ما يحتوي عليه من عناصر الكالسيوم والحديد والفسفور، كميات من الفيتامينات الواقية من مرض البلاجرا مما يجعل التمر غذاءً كاملاً، لهذا جعله الله من شجر الجنة وقد أمر الله مريم لما جاءها المخاض أن تهز إليها بجذع النخلة ليتساقط عليها رطباً جنياً، وأما الرمان فيحتوي لُبّه "عصيره" على نسبة مرتفعه من حمض ألليمونيك الذي يساعد بتأثيره على تقليل أثر الحموضة في البول والدم مما يكون سبباً في تجنب مرض النقرس، وتكوين حصوة الكلى، كما أن عصير الرمان به نسبة لا بأس بها من السكريات السهلة الاحتراق المولدة للطاقة كما أن قشور سيقان الرمان تستخدم في القضاء على الدودة الشريطية. [1] .

[1] . إبراهيم: القرآن وإعجازه العلمي، ص 162.

وهكذا ندرك دقة التعبير القرآني، وأن كل شيء بقدر موزون، وأن الله قد أنزل القرآن بعلمه، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم أمين على الوحي، ما كان له أن يزيد عليه أو أن ينقص منه، قال تعالى:

**﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ، وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾** . (سورة الحاقة: الآية 44 – 48) .

ولذلك نجد أن العلم يؤكد صدق القرآن، ولو كان من عند محمد صلى الله عليه وسلم لوقع التعارض والتناقض، قال تعالى: **﴿ أَوَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾** . (سورة النساء: الآية 82) .

**عجائب الحياة في النبات:**

يقول تعالى: **﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾** . (سورة الأنعام: الآية 99) .

**يقول عبد الرزاق نوفل:** البنات عالم قائم بذاته، مازال العلماء يجتهدون في دراسته، وفي كل يوم يقطعون في كشف خصائصه أشواطاً شاسعة، وقد قسم العلماء النباتات إلى عدة أقسام مختلفة بالنسبة لصفاتها التشريحية، أو تناسلها، أو بيئاتها .

وينبت النبات عموماً من بذرة تتوافر لها ظروف خاصة، أهمها حيوية الأجنة فيها، وتحافظ البذور على حيويتها لمدد طويلة تعتبر في ذاتها دليلاً على وجود الله، فقد أمكن استنبات حبات قمح وجدت في قبور الفراعنة، ويجب توفر الماء الضروري للإنبات والحرارة المناسبة، فكل بذرة تنبت في درجة حرارة معينة، والهواء ضروري للنبات، فهو كائن حي يعيش ويحيا ويتنفس بل ويحس، ودرجة إحساسه واستجابته للمؤثرات قوية وسريعة، فالنبات يقلق ويهدأ، يحزن ويسعد، فلقد أجريت تجارب على نباتات وضعت في مركبات فضاء، وبأجهزة القياس، أوضحت التسجيلات أن صدمات عصبية أصابت النباتات وبداخلها الاضطراب، وما أن رجعت إلى الأرض حتى عاد إليها الاستقرار والهدوء.

وإذا استنبتت البذرة وخرج الجنين الحي مكوناً جذيراً صغيراً بدأ يتغذى من الغذاء المدخر في البذرة حتى يستطيل عوده، ويضرب في الأرض ليأكل منها، شأنه في ذلك شأن الجنين في الإنسان والحيوان، يتغذى من أمه وهو في بطنها، ثم من لبنها، ثم يستقل عنها ويعتمد على نفسه في غذائه عندما يستوي عوده، فهل غير الله أودع في البذرة الحياة، أو هل غير الله وهب الجذر قوة التعمق في الأرض وأخرج الساق، وأنبت عليه الأوراق فالأزهار، فالثمار؟ حياة معقدة دقيقة جليلة عاقلة رشيدة هدفها حفظ النوع، وامتداد الحياة، فسبحان الحي منبع الحياة. [1]

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، ص64.

قال تعالى: ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى** ﴾ . (سورة طه: الآية 53) .

قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ . (سورة الشعراء: الآية 7 – 8) .

من آيات الله قدرة النبات على حفظ نوعه، فالثمار وهي أوعيه غذائية لحفظ البذور، مزودة بزوائد تساعد على انتشارها من مكان لأخر بعوامل عدة.

فبذور النباتات الصحراوية التي تحملها الرياح، ذات حجم صغير ملساء، ليسهل نقلها بالهواء كالخشخاش والمنثور، وقد تنمو عليها شعيرات لتخفف وزنها، كالديميا أو تنمو عليها زوائد كالأجنحة كما في نبات الجفارند والحميض، ولبذور النباتات المائية زوائد تساعدها على العوم في الماء وجدر سميكة تحفظها من التعفن.

وهناك أنواع من البذور ذات لون جذاب أو مذاق حلو، لتغري الإنسان أو الحيوان أو الطير على نقلها ونثرها، أو ذات زوائد خطافيه لتشتبك بملابس الإنسان أو فراء الحيوان.

وتغلف الثمر في بعض النباتات، بغلاف يلتف التفافاً لولبياً بعد نضجها، يساعد على انتشار البذور، إلى مسافات بعيدة عن النبات الأصلي، كالفول والبازلاء، وكالجوز الشيطاني الذي يقذف بذوره بصوت كالطلق الناري يسمع على بعد كبير.

تلك هي آيات بينات، لما زودت به النباتات من عجائب الحياة، لتحفظ حياتها في فصائل تقرب من نصف مليون صنف، اختلفت تراكيبها وتزاوجها، ومعيشتها وأعمارها، ومن

النبات ما يعمر أياماً ومنه ما يعمر سنين، ومنه ما يعمر أضعاف، أضعاف عمر الإنسان، فشجرة سروة صوما في "لامباريا" التي يبلغ ارتفاعها 120 قدماً، سبقت ولادة المسيح بأربعين سنة، ومازالت قائمة، وقد قدر عمر شجرة في "برابورن" بمقاطعة "كنت" بنحو ثلاثة آلاف سنة، ولعل أطول عمر لشجرة هي من نوع "تكسوديوم السيتشيوم" التي تعمر ستة آلاف سنة.

أما تاريخ النبات على الأرض، فقد ورد في تقرير علمي في أوائل فبراير 1956م أن البروفيسور "روبرت سون" العالم النباتي اكتشف في أعمال المسح الجوي الذي قامت به شركة "هنتبنج" للأراضي الأردنية، قطعة متحجرة لغصن شجرة قديمة، موجودة في أراضي اللواء الجنوبي، وأنه بعد تحليلها في معامل باريس العلمية، اتضح أن عمر هذه الشجرة 115 مليون سنة، وقد أبدى العلماء اهتماماً بهذه الظاهرة التي قد تلقى أضواء على تقدير عمر الكون، وعلى تاريخ تسلسل الكائنات الحية، ومدى الفارق بين كل كائن، نبات وحيوان وإنسان، فسبحان الموجود قبل الوجود. [1]

قال تعالى: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾. (سورة الذاريات: الآية 49)

ويقول تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾. (سورة يس: الآية 36)

1. نوفل: الله والعلم الحديث، ص 73.

إنها سنة الله في الخلق كله، والنبات ممن جرت سنة الله عليه، الزوجية، فهي من الحقائق العلمية التي تضمنتها آيات القرآن الكريم وهي انقسام أعضاء النبات إلى تذكير وتأنيث، وهذه الحقيقة العلمية لم يهتد إليها الإنسان إلا بعد نزول القرآن بقرون طويلة، وقد جاء ذكر هذه الحقيقة العلمية أيضاً في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾ . (سورة الرعد: الآية 3)

ومن الحقائق العلمية الثابتة التي كشف عنها القرآن الكريم، وظيفة الرياح في نقل عناصر التلقيح بين النباتات المختلفة، قال تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ** ﴾ . (سورة الحجر: الآية 22) .

استشهد كثير من العلماء بهذه الآية على تلقيح الرياح للنبات نظراً لمطابقتها للواقع، فالمعروف أن الرياح تقوم بدور فعال في نقل مادة اللقاح من الذكر إلى الأنثى، وهذا أمر ثابت علمياً بين كثير من النباتات، فكثيراً ما يشاهد في جو الغابات، غيم كأنه عاصفة رملية، وما هذا الغيم إلا حبوب اللقاح يحملها الهواء إلى حيث يتم إخصاب النبات.

وقد جاء في تفسير المنار أن المستشرق "اجنيري" أنه قال "إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرناً، نعم إن أهل النخيل من العرب كانوا يعرفون التلقيح، إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخيل إلى

إناثها، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك، ولم يفهم المفسرون هذا من الآية، بل حملوها على المجاز" [1].

ولقد قرر العلم الحديث أن أزهار النباتات على اختلاف أنواعها تنقسم ثلاثة أقسام: أزهار مذكرة، وأزهار مؤنثة، وأزهار خنثي تجمع الناحيتين من عضو التذكير وعضو التأنيث معاً، ومن الأمثلة الموضحة لذلك النخيل، فمنه نوع مذكر، وآخر مؤنث، ونبات الذرة يحمل في وقت واحد أزهاراً مذكرة وأخرى مؤنثة، ونبات الفول له زهرة تجمع بين عضوي التأنيث والتذكير معاً، وبذلك تتوالد الأنواع وتتكاثر. [2].

نعود مرة أخرى إلى آيات سورة عبس عند قوله تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صباً، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾. (سورة عبس: الآية 32/24).

جاء في تفسير الكشاف: "والحب: كل ما حصد نحو الحنطة والشعير وغيرهما".

والقضب: الرطبة، والمقضاب أرضه، وسمي بمصدر قضبه إذا قطعه، لأنه يقضب مرة بعد مرة، حدائق غلبا: يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء، فيزيد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا: أي عظاماً، غلاظاً.

---

[1]. رضا: تفسير المنار، 210/1.

[2]. إبراهيم: القرآن وإعجازه العلمي، ص 129.

الأبّ: المرعى لأنه يؤم ويُنتجع، والأبّ والأم أخوان. [1].

الآيات السابقة بيان لقدرة الله وعظمته في الإبانة عن منشأ النبات وتعدده، والارتباط الوثيق بين الحيوان والنبات، فالكائن الحي لا يتغذى إلا من أصله الذي تكون منه، ولذا أمر الإنسان أن يتدبر قصة طعامه، الذي هو ألصق شيء به، وسيجد أنه من الطين والماء.

إن الله صب الماء من السماء صباً ثم شق الأرض بجذر النبات، شقه شقاً، فأنبت فيها حباً وعنباً وقضباً، وصبّ الماء في صورة المطر حقيقة يعرفها كل إنسان في كل بيئة، وفي أي درجة كان من درجات المعرفة والتجربة، والله الذي لا شريك له هو الذي صّب الماء، وهو الذي قدّر أن يكون الماء العامل الأول في خلق كل نبات.

ثم تأتي المرحلة التالية لصّب الماء، وهي شقّ الأرض شقاً بجذر النبات لتكون الجذور الممتدة خلال التربة، أو أن يشق النبت تربة الأرض شقاً بقدرة الله الخالق، وينمو على وجهها، ويمتد في الهواء فوقها، وربما شقت النبتة الصفراء الملتوية الهشة الأرض الصلبة الجافة، أو الصخرة العاتية نافذة إلى أعلى مكونة الساق والأوراق.

إذن على الإنسان أن ينظر إلى طعامه الذي به قوامه، كيف تفضل الله به عليه، فصار في أشد الحاجة إليه، وكيف حوّل الله له بعض عناصر الأرض طعاماً هيناً في شكل جميل ولون جذاب، وطعم مستساغ حلو المذاق.

---

1. الزمخشري: التفسير، 547/4.

وجعل الله هذا الأصل الواحد أزواجاً وأشكالاً من حيث هو مأكول كالقمح والذرة والفول، وغيرها من البقول، أو هو فاكهة لذيذة كالعنب والنخيل، وغير هذا كثير مما يؤكل قضباً كالقثاء والتفاح، وهذه الحدائق الفيح الملتفة الأغصان، وهذه السهول الخضر، كلها متاع للإنسان والأنعام. (1)

والنبات كما ّبينا يبدأ حياته في الغالب بذرة أو نواة توضع في الأرض وتسقى بالماء، ثم تتفلق ويخرج منها جُذير يمتد إلى أسفل وسويق يمّد إلى أعلى، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ . (سورة عبس: الآية 26) .

وهذا الدور من حياة النبات يمكن أن يُسمى دور الإنبات وفيه تنشق الأرض عن النبتة الصغيرة ذات الورقتين الخضراوين، وفيه لا تأخذ البذرة أو النواة من خارج الأرض إلا الماء والأكسجين، أما ما عدا ذلك من الغذاء اللازم لتكوين الجذير والسويق والورقتين فتستمد مما أودعه الله الحب والنوى من مواد عضوية كالنشا، قدرها الله بحيث تكفي لتكوين تلك الأعضاء، على الجذير والورقتين يتوقف غذاء النبات بعد ذلك، فالجدير يمتص الماء وما فيه من أملاح ذائبة في الأرض، والوريقات الخضر تقوم بعمليتي التنفس والتمثيل الخضري. (2﴾ .

وتعرف هذه العملية بالتمثيل الكربوني، يدخل ثاني أكسيد الكربون من الجو إلى النبات عن طريق الثغور، فيقابل المادة الخضراء والماء، وتتكون من الكربون مواد الغذاء بفعل الحرارة

[1] . قنيبي: الشاهد في القرآن الكريم، ص 111 .

[2] . الغمراوي: الاسلام في عصر العلم، ص 356 .

والضوء، أما طريقة تكوين هذه المواد من غاز ثاني أكسيد الكربون، فهي عملية كيماوية معقدة، لم يقل العلم عنها إلا أنّ وجود المادة الخضراء والماء والحرارة، ينتج عنها تغيرات تنتهي بتكوين المواد الغذائية، ولا يتم إلا في الضوء، ولذا فهي تسمى أيضاً "بالتمثيل الضوئي" ويقرر العلم أن هذه العملية هي أصعب عملية تقوم بها الحياة، ولا يمكن لأي تركيبات أو أجهزة أن تقوم بمثل ما تقوم به ورقة خضراء في أي نبات. [1]

يقول تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ . (سورة الحج: الآية 5)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (سورة فصلت: الآية 39)

من مشاهدتنا للأرض أننا نراها ساكنة لا حركة فيها ولا حياة، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وانتفخت، وأنبتت من كل زوج بهيج.

واهتزاز الأرض تحركها بالنبات، وإحياؤها بعد موتها، ومعنى ربت أي، ارتفعت لما سكن فيها من الثرى، ثم أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح والأشكال والمنافع.

[1] . نوفل: الله والعلم الحديث، ص 68.

والخشوع: التذلل والتقاصر، فاستعير لحال الأرض إذا كانت مَحطه لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾، وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو، وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات، كأنها بمنزلة المختال في زيه، وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأطمار الرثة، وقرئ وربأت: أي ارتفعت لأن النبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض. [1]

وهكذا وصف الله تعالى الأرض بأنها ميتة، وأنه يحييها بالماء الذي يجعلها تهتز وتربو، أي تتحرك وتنمو، وهذه الحركة العجيبة سجلها القرآن الكريم قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تتشرب الماء وتنتفخ فتربو ثم تحيا بما تنبت من كل زوج بهيج، وهل أبهج من الحياة وهي تتفتح بعد السكون، وتنتفض بعد الهمود .

وهكذا نجد أن القرآن قد عبّر عن الأرض قبل نزول الماء، وقبل تفتحها بالنبات، مرة بأنها "هامدة" ومرة بأنها "خاشعة" والتعبيران يوحيان بالسكون الذي ما يلبث أن يهتز ويتحرك إذا ابتلت الأرض بالماء، وبذلك ترتسم لنا معالم الصورة، ويبدو لنا ما خفي عن إدراكنا للحركة الدائبة تحت سطح الأرض، فنعلم أن كل المراعي الخضراء الزاهرة الوادعة في مظهرها،

---

[1] . الزمخشري: التفسير، 115/4.

إنما تخفي تحتها حياة وحركة ونمواً بما يمتد في باطن الأرض من جذور وبما ينبت فوقها من نبات يتغذى منها ويعلو ويثمر. [1]

**أعجبتني كلمة للدكتور: "مصطفى عبد العزيز مصطفى المتخصص في عالم النبات قال فيها:**

خلق الله الإنسان، وخلق له من سبل الإبصار والإحساس ما يستطيع أن يستشعر بها ما تزفر به البسيطة من معجزات، ولا يستطيع الإنسان العادي أن يستشعر من بين هذه المعجزات إلا ما تراه العينان الحرتان أما الذين أضاءت عقولهم أنوار العلم فيرون بمجاهر العلوم وسبل تقنياته مزيداً من المعجزات لا تستطيع أن تتبينها العيون، فالإنسان العادي يستطيع أن يتبين من عالم النبات بقدر ما تراه العيون أشجاراً مورقة الأغصان وارفة الظلال، تؤتي أطيب الثمرات، وأزهاراً عاطرة الشذا فائحة الأريج تزهو بمختلف الأشكال وشتى الألوان، ونبتاً أخضر يمتد على مدى الأبصار ليكسو أديم الأرض ويزين صفحات المياه، إلا أن المتخصصين في عالم النبات يبدو لهم هذا العالم أوسع أفقاً وأكثر تنوعاً وذيوعاً مما يبدو لجمهرة الناس، إذ تمتد مكوناته كذلك إلى ما يعلو سطح الأرض من فضاء وهواء، وتهبط لتستوطن ما يتوسد التربة من شتى الأعماق، إلا أننا لا نستطيع أن نتبين بالعين المجردة ما في الهواء وأعماق التربة من مكونات عالم النبات لما تتميز به من دقة التراكيب وضآلة الأحجام، ولكننا نستشعر وجودها

[1] . قنيبي: المشاهد في القرآن الكريم، ص 120.

فيما يصيبنا ويصيب حيواناتنا ومحصولاتنا الزراعية من أضرار وأمراض، تتولد مسبباتها في أعماق التربة أو ما يحيط بنا من فضاء وغبار. [1]

**النباتات العاقلة:**

إنّ من أهم وسائل محافظة الكائن الحي على حياته، ما يقوم به للدفاع عن نفسه، من هجوم وحروب، والإنسان وهو قمة الكائنات الحية الموجودة على الأرض، فلقد استطاع بما أوتي من عقل أن يستخدم كل الوسائل المتاحة للحفاظ على حياته، بل أنه استحدث سبلاً وأسلحة ليستخدمها في حملاته الدفاعية أو الهجومية، بعد أن ظل فترة يستعمل ما وجده حوله، فصنع السهم والسيف، ثم الدبابة والطائرة، فالصاروخ والقذيفة، بعد العصي والحجارة ثم عدَّل وطوَّر ونوَّع من أساليب وطرق الحرب والضرب، وهذا كله من معطيات العقل.

وأثبت العلم وأكد العلماء أن الحيوانات تقوم أيضاً بتصرف مماثل لتحافظ على حياتها، وأيضاً تتخذ وسائل دفاعية وأخرى هجومية، ولكنها دائماً تقتصر في حربها على ما خُلق لها فيها، كالقرون والحوافر والأنياب والأظافر، ولا تقوم بإعداد أسلحة غيرها للهجوم أو الدفاع، وقد أخذ في الاعتبار حالات القردة وهي تقفز على الأشجار وتلقي بثمار الجوز الصلبة على المهاجمين على أنها من ضمن اتخاذ أسلحة غير ما زودت بها، ومن ضمن الدفاع أو الهجوم التي برعت فيها، وكل ذلك إنما يشير إلى بعض ميادين عمل العقل، عقل الحيوانات أياً كانت درجته المحدودة وطاقته المعدودة.

---

1 . مصطفى: عالم النبات، ص3.

والحشرات وجد أنها هي أيضاً تقوم بعمل مماثل، يتضح جلياً فيما تقوم به العناكب والعقارب والأفاعي والنمل والنحل، إذ تستخدم كلها آلة اللسع تدافع بها عن نفسها وتهاجم بها عدوها، وهذه العملية تشير أيضاً إلى نشاطات عقلية، تتضح في توقيت الهجوم واتجاهه، وما تتخذه من عدة وإعداد، ثم تحفز وهجوم بعد استعداد، وبعد دراسات شاقة على الحيوان والحشرات أمكن الفصل بين ما سمي بالسلوك الغريزي والسلوك الذكي، فالسلوك الغريزي يضع العلماء رغبة الحيوان في المحافظة على حياته ودفع الأذى عنه تحته، أما اختيار الوقف وحساب المسافة والتسديد الصحيح للضرب، فهو سلوك ذكي.

وإذا كان العلماء قد وصلوا أخيراً، وأخيراً فقط إلى قرارهم بالنسبة لوجود عقل للحيوان والحشرات، أياً كانت درجة هذا العقل، وسعته ومساحة وعيه وذكائه، فلقد وجد العلماء أن لنبات حشيشة القريص شعيرات لاذعة تحتوي على حمض الفورميك وهو الذي يسمى أيضاً بحمض النمليك، وهو الحمض الذي يتكون منه سم النمل وسم النحل، والشعرة اللاذعة إن هي إلا خلية على سطح النبات، استطالت وتدبب طرفها واكتست جدرانها بمادة جيرية لتجعلها أكثر احتمالاً ولتحافظ عليها، وفي نهاية طرف هذه الشعيرة يوجد امتداد من مادة أكثر صلابة وكأنه غطاء واق لرأس الشعرة، وعندما يقترب أي إنسان أو حيوان أو نبات ويلمسه فإن الشعرة تبدأ في لمس جلد الكائن لمساً رقيقاً متواصلاً، كأنها تعطيه أماناً كاذباً، أو اطمئناناً خادعاً، وفجأة ينكسر الطرف الصلب، وتندفع الشعرة المدببة إلى داخل الجلد، ثم تفرغ ما تحتويه من حمض الفورميك، وهكذا يعمل النبات، عملاً مشابهاً تماماً لعمل

النمل والنحل، في حرب أي كائن حي يقترب منه، ولكن عمل النبات أكثر حكمة واشد حنكة، فهو يقوم بأربع عمليات متوالية، متعاقبة مقصودة وهادفة، من لمس طرف الجلد المُهاجم لمساً رقيقاً، ليخدعه، ثم كسر طرف الشعرة لتبرز سن الشعرة وليلدغه، ثم دفع الشعرة المدببة إلى داخل الجلد لينفذ منه، ثم إفراغ حمض الفورميك ليصيبه، وهكذا تفوق هذه النباتات بعلمها، ما تقوم به الحشات بعقلها.

ولا تتفوق هذه النباتات على الحشرات في كيف تعمل أو خطوات عملها، ولكنها تتفوق عليها أيضاً في طبيعة السم الذي تحمله، وقدرته على الإصابة، فعندما قام العلماء بتحليل السائل الذي يفرزه النبات كيميائياً وجد أنه من التراكيب القوية لحمض الفورميك، وأنه بتعريض هذا الحمض للهواء وجد أنه سريع الانتشار والتحلل في الهواء، أما العجب الذي لم يصل العلم إلى سره، في أمر هذا الحامض واختلافه عن حمض الحشرات بل على كل حمض معروف، وأي حمض، بل وأي مادة سامة، أنه إذا تركت محتويات شعرة هذا النبات لتجف تماماً فوق سن إبرة، واختبرت الإبرة بعد فترة قصيرة وجدت أنه لم يعد عليها أي أثر للحمض إطلاقاً، ولكن إذا حدث أن وخز الجلد بالإبرة الجافة تماماً، والتي لم يعد عليها أو بها أي أثر من الحامض النباتي اطلاقاً، فإنها تسبب إحساساً باللدغ، كأنها ما زالت شعرة حية في النبات الحي، بل ويحدث التهيج والاحمرار في الجلد، ومازال العلم يقف حائراً أمام هذا السر، لا يجد له تفسيراً ولا يجد له تبريراً، إلا أن ذلك من آيات الله، لا إله إلا هو. [1]

[1] . نوفل: صنع الله، ص35.

يقول تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ . (سورة يس: الآية 80)

مفتاح معنى الآية وصف الشجر بالأخضر، وترتيب النار على خضرة الشجر، ومن يعرف أثر الخضرة في نمو الشجر، وفي بناء كيانه الخشبي على الأخص، وفي اختزانه ما في ذلك الكيان من طاقة تبدو ناراً عند الإستيقاد لا يجد صعوبة في إدراك سر ترتيب النار على الخضرة، أو في تبين عظمة الآية وبلاغتها وإعجازها، ومن لم يعرف هذا تحير أمام هذا الترتيب الغريب، وراح يلتمس للآية توجيهاً يذهب بها في غير وجهها كما فعل من تلمس تفسير الآية في سهولة اتقاد "المرخ والغفار"[1]

ويتساءل الأستاذ: "**مصطفى الدباغ**" ما هي طبيعة النار التي جعلها الله في الشجر الأخضر؟

ثم يجيب: هنا تتجلى الدقة والإعجاز القرآني في تحديد الخضرة، حيث اثبت العلم أن النبات الأخضر هو الذي يحتوي على البلاستيدات الخضراء، التي هي بمثابة بطاريات حية تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة كهروكيميائية، فهي بضوء الشمس تقوم بشق الماء أو فلقه إلى نصفين هي الأيدروجين والأكسجين، ثم تقوم بربط شق منه مع غاز ثاني أكسيد الكربون، فتحوله إلى سكر، وفيه يتكون النشا والزيوت. [2]

1. الغمراوي: الاسلام في عصر العلم، ص362.

2. الدباغ: وجوه من الإعجاز القرآني، ص179.

فمن أدرى محمداً ﷺ بهذه الحقيقة العلمية ذات التفاعلات الكيميائية الدقيقة، لو لم يكن ذلك تنزيلاً من عليم خبير.

يقول "**عبد الرزاق نوفل**": من الظواهر الطبيعية التي كثيراً ما تلاحظ في الصحراء، ظاهرة اختفاء بعض النباتات منها لفترة قصيرة قد تكون بعض العام، وقد تمتد إلى بضعة أعوام ثم تعود فتظهر، وهذا أمر متوقع، أو على الأقل غير مستغرب، فإن الصحاري ذات عوامل مناخية قاسية وظروف بيئية غير مناسبة، فضمور النباتات وموتها وغيابها عن رقعتها على فترات زمنية متلاصقة ومتقاربة، أمر قدره العلم وكشف عن سببه العلماء.

ولكن ما حير العلم وأدهش العلماء، هو ظاهرة انقراض بعض النباتات من الصحاري، أي غيابها لمدد طويلة متصلة، قد تبلغ عشرات من السنين فلا يراها جيل من الناس، ثم فجأة وبعد أن يكون قد نسيها المتابعون، وقرر انقراضها الباحثون، تعود هذه النباتات إلى الحياة، وتظهر بعد طول مدة اختفائها وتنمو في رقعتها الصحراوية متكاثرة نشطة، قوية نضرة.

ولقد استمر العلم وتابع العلماء دراسة هذه الظاهرة المحيرة للألباب، المدهشة للعقول، إلى أن أمكن إزاحة السر في عودة هذه النباتات بعد انقراضها، إلا أن كشف هذا السر قد أظهر عدة أسرار أخرى، أكثر إثارة وأشد عمقاً، وكان ذلك، إنما ليظل الإنسان طوال حياته، يتنقل من آية إلى آيات، ومن بينة إلى بينات ومن شاهدة إلى شاهدات، وكلها تشير إلى قدرة الله وعظمته وجميل صنعه وحسن تدبيره.

فهذه النباتات المنقرضة، ذات بذور عليها حرافيش تغطيها مادة شمعية شكلاً، ولكنها عجيبة وغريبة عملاً، إذ تحتوي على عوامل مانعة للإنبات، فبعد أن ينمو النبات ويعقد ثماره، وتسقط بذوره على الأرض، وتتراكم عليها الرمال، فإنها تظل هامدة خامدة، في توقف حيوي، وسكون جبري، لا تؤثر فيها الرطوبة، كما تؤثر في غيرها من البذور، ولا يهزها الندى، ولا المطر، كما يفعل في البذور الأخرى، فإن عليها من غطاء شمعي كثيف ومتين وبه المواد المجهولة المانعة للإنبات تحول بين الجنين وبين الاستجابة لعوامل الإنبات من رطوبة وماء، كما يحدث في كل أجنة البذور، إذ بمجرد أية كمية من رطوبة من رخة مطر، أو تكثف ندى، أو نزول الماء، تستجيب أجنة البذور، فيما عدا بذور هذه النباتات ذات الحرافيش المغطاة بالمواد الشمعية المكثفة فإن بها مادة ما زالت مجهولة تمنع إنباتها إلا إذا هطل مطر غزير، بكميات وفيرة، ورخات شديدة، بل وستتصل موجاته، وستتابع انهماراته، عندها تبدأ المادة المجهولة في المساعدة على إذابة المادة الشمعية وإزالة الحرافيش ويصيب الماء الجنين فيتحرك بعد رقدة كاملة قد تكون استمرت قرناً من الزمان أو أقل أو أكثر، وينمو ويندفع بقوة كانت مدخرة طوال هذا الزمن ويخرج فوق سطح الأرض، قوياً يافعاً، يعلن عن قدرة الله وعظمته، إذ يستطيع أن يتغلب على أية ظروف غير مواتية وطارئة، بعد أن ضمن استمرار الماء لفترات طويلة يحتاجها إلى أن ينتهي من إعداد نفسه الإعداد الذي يجعله قادراً على تحمل الجفاف فيما بعد، ويعود لتنعقد الثمار وتكون البذور ذات الحرافيش، وذات المواد الشمعية الكثيفة والمواد المجهولة غير المعروفة، التي تستشعر عن بعد ومسبقاً قدر الأمطار التي تهطل، والتي

ستمطر، وكثافتها، ومدتها، واستمرارها، فتتصرف البذور وتجيد التصرف، وتقدر فتحسن التقدير، وسيظل العلم كلما كشف عن سر يجد غيره، ليعلم أن لا إله إلا الله. [1]

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . (سورة الرعد: الآية من 3-4)

كنا قد تناولنا هاتين الآيتين من قبل كل آية على حدة، وهنا نتناول الآيتين كبناء واحد متكامل فالآيتان الكريمتان هنا تطوفان بالقلب البشري في مجالات وآفاق متعددة، وتعرض من مشاهد الكون: الأرض الممدودة، وما فيها من رواسي ثابتة، وأنهار جارية، والليل إذ يغشاه النهار، والجنات والزرع والنخيل في مختلف الأشكال والطعوم والألوان، ينبت في قطع من الأرض متجاورات ويسقى بماء واحد .

وأول المشاهد المعروضة: هذه الأرض المبسوطة على امتداد البصر، ولا يهم ما يكون شكلها الكلي في حقيقته، إذ أن مد الأرض وبسطها ليس دليلاً على عدم كرويتها، إذ هي مبسوطة ممدودة في نظرنا لنعيش عليها، ويقابل مد الأرض إرساء الجبال مع تحركها ودورانها .

[1] . نوفل: صنع الله، ص47.

وعلى هذه الأرض معارض مختلفة، تتفاوت فيها أنظار الناظرين: بين النظرة العابرة التي لا ترى إلا الآفاق الفسيحة الممتدة، والنظرة المتأملة التي تنفذ إلى تدبر عظمة الخالق، وجلال عمله، وروعة حكمته، مما يملأ القلب خشوعاً، وولاء وحمداً للخالق العظيم، رب العالمين. (1)

والمقصود بالزوج: هو النوع أي أنبتت من كل نوع بهيج أو كريم، وعندما يكون الغرض من الزوج الذكر والأنثى يقول تعالى "زوجين" لأن الزوجين هما النوعان، نوع الذكر ونوع الأنثى.

وقد دل علم الحياة على أن الكائنات الحية تنقسم إلى ذكر وأنثى سواء في الحيوان والنبات، وقد يكون الذكر والأنثى في الزهرة الواحدة، أو الشجرة الواحدة، أو في شجيرات ويتم التلقيح إما بالريح أو الطير، وسبحان الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وخلق الأزواج ظاهرة مطردة في الأحياء كلها، النبات فيها كالإنسان ومثل ذلك غيرهما.

قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾. (سورة يس: الآية 36)

فنعم الخالق العظيم الذي خلق الأزواج من كل شيء من أنفسنا كبشر ومن الحيوان والطير والنبات، ومن الأشياء التي تحيط بنا من ماء وهواء وسحاب ومن الذرات التي لا نراها بالعين المجردة، وإنها لوحدة تشي بوحدة اليد المبدعة، التي توجد قاعدة التكوين مع اختلاف الأشكال والأحجام والأنواع وقد أصبح معلوماً أن الهواء مكون من التزاوج بين الأكسجين

[1] . الزمخشري: التفسير، 504/2.

وأكسيد الكربون، وأن الماء مكون من التزاوج بين الهيدروجين والأكسجين، وأن دم الإنسان مكون من التزاوج بين الكريات الحمراء والكريات البيضاء، وأن الذرة أصغر ما عرف من أجزاء المادة مؤلفة من زوجين مختلفين من الإشعاع الكهربائي، سالب وموجب، يتزاوجان ويتحدان، كذلك وشوهدت ألوف من الثنائيات النجمية تتألف من نجمين مرتبطين يشد كلاهما الآخر، ويدوران في مدار واحد كأنهما يوقعان على نغمة رتيبة.

فالتزاوج بين كل شيء أمر نوه عنه القرآن الكريم قبل أن تبرهن عنه القرائن العلمية الحديثة بقرون بعيدة.

وكثيراً ما يتساءل الإنسان عن السبب الذي من أجله خلق الله حشرات غريبة وعن فوائدها، إلا أنه سيقف مشدوهاً كما وقف أحد العلماء عندما عرف دور هذه الحشرات في نقل بذور اللقاح لإتمام عملية التزاوج في النبات فأقر أن هذا العمل من معجزات الله. [1]

**انحنت النخلة وبكى السعف:**

قال تعالى: ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ** ﴾ . (سورة الدخان: الآية 29)

مما تواتر في تاريخ حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما نقله الرواة وحفظه الثقات، وما تردد كثيراً، أن النخلة طأطأت رأسها أمامه، وأحنت هامتها له، في محاولة منها لتقبيل يده الكريمة، وأنه في اليوم العابس الحزين، يوم أن قبض صلى الله عليه وسلم وتوفاه ربه، شاهد الناس على سعف النخل الذي كان يجاور المنبر الشريف الذي تشرف

1 . قنيبي: المشاهد في القرآن الكريم، ص125 .

بالوقوف عليه ومخاطبة الناس من فوقه، شاهدوا أمراً مذهلاً، وشيئاً عجيباً، لقد تغير شكل السعف، تقوست عروقه في أسف مبين، وتهدلت أوراقه وتهطلت في منظر حزين، ويقطع من حضروا أنهم رأوا من السعف البكاء وسمعوا منه الأنين.

وظلت تروى للناس حتى أصبحت مما ينشد بها المدَّاحون، ويقول فيها المنشدون، ثم جاء عصر العلم، وجد العلماء أن انحناء النخلة وبكاء السعف مما لا يستوعبه العقل، ولا يقبله العلم، فهي بذلك معجزة لسيد البشر وخاتم الرسل والنبيين، ولكن اكتفاء بمعجزته الخالدة التي أرادها الله سبحانه وتعالى له وهي القرآن الكريم، فقد انصرف الناس عن ترديد هذه الوقائع حتى كادت لا تتناقل ولا تروى.

وفي أيامنا هذه فإن العلم قد وصل إلى حقائق مذهلة عن النبات وفيه وبه، ما يجعل ما حدث ممكناً وما وقع مستطاعاً، مع ملاحظة قدر من انحنت له النخلة وبكى لموته السعف، فمن الأمور البديهية، لأنها مشاهد عملية، وتجارب واقعية، أن الإنسان قد يألف شخصاً بعينه فيحبه وينجذب إليه، دون سابق تعامل معه، ولا معرفة به، وقد يكره آخر فيبغضه وينفر منه، دون أن تكون له معه ممارسة سابقة أو علاقة ماضية، وآخر ما وصل إليه العلم من شأن أسباب هذه العلاقة، جذباً أو تنافراً، محبة أو كرها، أن لكل إنسان مجاله المغناطيسي بل لقد أعلن العلماء أنهم قاموا بإجراء تجربة في معامل الفسيولوجي في روسيا عام 1969م، على سيدة حيث استطاعوا تسجيل مجالها المغناطيسي، الذي كان أقوى من مغناطيس الكرة الأرضية، حيث كانت تحرك الإبرة من البوصلة عكس اتجاهها المغناطيسي

الذي تستمده من الأرض، ولما كان لكل خلية حية كهربائيتها ، والإنسان هو محصلة هذه الشحنات الكهربائية، فإنّ بالإنسان مجالات كهربية وأخرى مغناطيسية يمكن تسميتها بالمجالات الكهرومغناطيسية فإذا توافقت هذه المجالات حدث الجذب والحب والتآلف، وإذا اختلفت وقع الكره والبغض والتنافر، وإذا حدث أن تغير هذا المجال فإنّ علاقة الشخص هي أيضاً تتغير مع من كان يألفه أو من كان يبغضه، أي أن الصالح التقي النقي يأتلف مع من هو مثله، ويتخلف مع من هو نقيضه، فإذا تغير الإنسان إلى النقيض تنافر مع من كان يألفه، وتآلف مع من كان يبغضه.

وقد اتجه العلماء بهذه الدراسة إلى النبات باعتباره من الكائنات الحية التي تحس وتستجيب، فوجدوا عجباً وأي عجب، إن للنبات أيضاً مجالاته التي يتعامل بها مع النبات والحيوان والإنسان، وله إحساساته التي بها يستجيب لكل ما هو، ومن هو حوله، لقد وضعوا أجهزة القياس وآلات المتابعة والتسجيل في النبات في داخله وحوله، وعاملوه بمختلف الانفعالات وشتى المعاملات، لقد انقبض النبات وحزن وأصابه الأسف كلما أحس بالعنف يقع من حوله، بل أنه احتفظ لنفسه ببعض المجالات الكهرومغناطيسية كمن كانوا يعيشون معه أو يشفقون عليه، أو حتى يسخرون منه، أو يوقعون الأذى به، وأن هذه المجالات تظل عالقة بالنبات لفترة تطول أو تقصر، حسب رغبة النبات نفسه، على ما يبدو، وقد يكون لتقدير غيره، وأن النبات قد استجاب حتى لما يسمعه في حقله، ويشاهده ولو كان على بعد منه، لقد أمكن تسجيل زيادة إنتاج النبات للثمار إذا كان بجوار الحقل موسيقى، وتختلف درجة

الزيادة في الإنتاج باختلاف نوع الموسيقى ورتابتها، مما سبق الإشارة إليه، وفي الولايات المتحدة أجرى عالم النبات الكبير "**كليف باكستر**" تجاربه على نباتات مختلفة باستخدام أجهزة قياس الانفعالات وسجل بالقياس والدرجات فرحة النباتات عند حضور العالم ليرويه، وأسفه وحزنه وخوفه عندما كان يقترب بشعلة نار منه، وبعد عديد من التجارب التي أجراها فلقد أقر في عام 1966م،"إن النبات قادر على إقامة الصلة مع البشر، وأنه قادر أيضاً على التفكير، فهو يشعر بغبطة وسعادة حين ينظر إليه بإعجاب ويقلق ويخاف لنباح الكلب، ويغمى عليه عندما يهدده بالعنف، وهو يظهر علامات حزن وشفقه لما يصيب الإنسان والحيوان والحشرات من ضرر في البيئة المجاورة له" .

وفي الاتحاد السوفيتي سابقاً، قالت "البرافدا" في تعليق مطول بعنوان: ماذا تقول أوراق النبات؟

إن النبات يتكلم ويصرخ ويتحمل الألم بهدوء .

وحالياً تدرس المنظمات العالمية العلمية، إمكان استخدام النبات في الكشف عن شخصية من أثروا في المكان حوله، إن خيراً أو شراً، أو حتى مروا بجواره، عن طريق مطابقة ما أمسك النبات به من مجالات كهرومغناطيسية بشرية وتحليلها، ومتابعتها، وفحصها، ومعرفة صاحبها .

ومن أهم ما وصل إليه العلم في دراسته لعجائب النباتات وغرائب الكائنات ما قرره من أن للنبات حركة، وبعض هذه الحركات تضم من الأسرار ما لم يستطع العلم إماطة اللثام

عنها، أو الوقوف على أسبابها، إلا أنه أمكن قياسها ورصد مجالها، فالنبات، كل النبات، يتحرك طولياً وعرضياً بالنمو، وهو أمر بديهي، ومعروف قدره، ومعلوم سببه، إلا أن ما لوحظ على بعض النبات هو تحركه بحركات مدهشة وعجيبة وغريبة، غير حركات النمو، أو الحركات المتماوجة أو الاهتزازية بفعل الظروف الطبيعية.

فمثلاً النبات المائي "اللوتس" والذي اتخذ الفراعنة زهرته شعاراً لهم، واعترافاً بتقدير كبير لها منهم، يوجد منه صنف يسمى لوتس "ينلامبيم" زهرته دائماً فوق سطح الماء، وبمجرد التلقيح وتكوين الثمرة ذات البذور، تنحني الثمرة في حركة سجود على وجهها فوق سطح الماء، ولأن سطحها له ثقوب بعدد البذور في الثمرة، وكل بذرة أمامها ثقبها على سطح الثمرة، فإن جميع البذور تسقط في الماء ليكتمل نمو البذرة تحت الماء، فهذه حركة طأطأت زهرة اللوتس رأسها وانحنت لتخرج البذور من ثقوبها، كل بذرة من ثقبها المحدد لها، إن العلم ليقرر أن هذه الحركة تستهدف نزول البذور في الماء، هذا هو السبب الظاهري، أما الحقيقة فيعلمها من شاء، فكانت مشيئته، ومن أراد فتمت إرادته.

ويوجد من اللوتس صنف أخر اسمه لوتس "نمفيا" وزهرته أيضاً على وجه الماء، فإذا تم تلقيحها، نجد أن ساق الزهرة بطريقة غامضة، قام بحركة حلزونية ويلتف حول نفسه عدة مرات فيقصر طوله، وتغطس الزهرة تحت الماء إلى أن يتم تكوين البذور وإنباتها تحت الماء وعند اكتمال نموها تخرج الزهرة فوق الماء، لتعيد تاريخها السابق، هذا النبات لا تنبت بذوره

إلا تحت الماء، كما تنبت بذور كل النباتات الأخرى تحت سطح الأرض، بعيداً عن كل عين مستورة على كل بصر، إنه أمر محير، إنه سر من الأسرار، إنه ستر الستار، سبحانه وتعالى.

ومن ضمن تحركات النبات المحيرة، ما يشاهد على نبات اسمه الوارج "الست المستحية" وهو نبات كثير الشيوع ينبت في الحدائق العامة والخاصة، بل وفي بعض المنازل، وبمجرد أن يلمس الإنسان أي شعرة من شعيرات أوراقه فإنها تنقبض بسرعة واكتمال، بحيث تصبح الأوراق كلها منطبقة على بعضها وكأنها عرق بلا أوراق، وبمجرد زوال الأثر، وابتعاد المؤثر، تعود الوريقات إلى الانتشار، ولهذا جاء اسمها، إنها الست المستحية أي ذات حياء إذا لمسها إنسان تحجبت واختفت.

وكذلك حركة قرص نبات دوار الشمس الذي يواجه الشمس دائماً، ويتحرك مع الشمس في حركتها منذ الشروق وحتى الغروب، ولذلك أطلق عليه اسم دوار الشمس، وكل ما له العلم من تفسير لهذه الحركة، وتبرير لهذه الرحلة اليومية يناقض الواقع، ويخالف الحقيقة، فقد قيل أنها عملية خاصة بأشعة الشمس التي تؤثر على خلايا القرص فتحركها، وقيل بل هي حرارة الشمس التي تسبب نمواً إضافياً في خلايا خاصة تجعلها تتحرك، ولكن هذا القرص يعود ليلاً بحركة رتيبة مماثلة لحركته اليومية إلا أنها مضادة ومعكوسة، فتتحرك من الغرب إلى الشرق، لتشرق الشمس فتجد القرص مواجهاً لها، ليسايرها في حركتها، كيف تحرك في الليل بنفس السرعة والقدر الذي كان عليه صباحاً، وحتى المساء، ولا توجد أشعة شمس أو حرارة منها أو لها.

وهناك عجيبة أخرى، تلاحظ جلية واضحة على نبات "الالوكاسيا" وهو من نباتات الزينة، وينمو في الظل والشمس على السواء، والنبات عبارة عن ورقتين كبيرتين تشبهان آذن الفيل، وكل ورقة ذات عرق وسطى كبير ويقترب العرقان من أسفل وتتباعد الورقتان في ميل إلى أعلى، فكأنهما تماماً أكف ضارعة إلى الله، والعجيب الغريب في هذا النبات أنه عندما يتوالد، تخرج الورقة الصغيرة من نهاية العرق قرب الأرض وتكون صغيرة وقصيرة وملفوفة على بعضها، وبمجرد خروجها يلاحظ في الصباح على سطح الورقة الأم قطرات من الماء، قد تجمعت كأنها دموع تتلألأ، وأيا كان مكان النبات في غرفة محبوكة، أو في جو جاف ، شتاءً أو صيفاً، لا بد من ظهور هذه القطرات فوق وجنتي الورقة ، ولم يبدأ العلم حتى الآن في البحث عن سببها، أو مسبباتها، إلا أنها دموع فوق وجه الورقة بعد خروج الورقة الصغيرة.

وهكذا فإن النبات، يحس ويشعر، ويسمع ويبصر، ويعي ويدرك، ويستجيب ويرفض، ويحب ويكره، يحتفظ بما يريد من أحاسيس البشر، ويأخذ من المجالات الكهرومغناطيسية لمن يرغب من الناس، ويتحرك بحركات متعمدة، ومقصودة، وكلها من الآيات الدائمة، الدائبة في النبات.

وهذه النخلة، وقد وقف تحتها، أو أمامها، سيد الخلق أجمعين، خاتم الرسل والنبيين، فماذا كان من إحساسها له، وقدر إيمانها به، وكم أحبته، وكم انجذبت إليه، فإذا ما طأطأت رأسها وأحنت هامتها له، كأنها تريد أن تسعى إليه وتقبل يديه، فإن العلم لا يعارض أمكان ذلك، ولا ينفيه، بل يؤيده ويجليه، وما كان من السعف الذي تقوست عروقه وتهدلت أوراقه،

وشوهد عليه البكاء، وسمع منه الأنين ، يوم وفاة سيد البشر، فإن العلم أيضاً لا يخالفه، بل يزكيه، وعلى العلم أن يضع ما حدث في مراجعه كحقيقة وقعت، ولو أنها لن تحدث اطلاقاً كما حدثت من النخل والسعف، لأنه لا نبي بعد من وقعت منه، وله صلى الله عليه وسلم.

فإذا كانت آيات النبات السابقة هي آيات دائمة ودائبة، فإن آيات النخل وسعفه، قد وقعت آيات طارئة، طارقة. [1]

ونعود مرة ثالثة إلى الآية الرابعة من سورة الرعد: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ . (سورة الرعد: الآية 4)

**يقول الشيخ الشعراوي:** "نحن نرى ونمشي في مزارع الأرض وحدائقها، ونرى أمامنا الأشجار المختلفة، والنباتات المختلفة، ولكن هل يفكر أحد منا في معجزة الخلق في هذه النباتات التي نراها كل يوم؟

نحن نعرف أن النباتات تحصل على غذائها بواسطة جذورها الدقيقة، التي تضرب في الأرض، فتأخذ منها عناصر الغذاء التي تعطيها لنمو الثمر، حيث يصعد الغذاء من جذور النباتات إلى الساق والأوراق، والثمار ليغذيها .

[1] . نوفل: صنع الله، ص91.

وفي هذه العملية الغذائية للنبات كثير من آيات الخلق وإعجاز الخالق، فالغذاء في الأرض بعناصره كلها واحد متجانس، ولكننا نرى كل شجرة تأخذ من هذا الغذاء ما يناسب ثمارها، أي أنها تختار العناصر اللازمة لها، وتترك الباقي ولا تأخذه، ولذلك نرى الزرع ينبت في مكان واحد، ويسقى بماء واحد، ولكن لكل ثمرة لها طعام وشكل ولون ورائحة وحجم، يختلف عن الأخرى، فهذه حلوة وهذه مرة، وهذه صغيرة، وهذه كبيرة، وهذه لونها أحمر وتلك لونها أصفر أو أخضر أو أبيض، وهذه لها رائحة نفاذة وتلك ليس لها رائحة، وأشكال وألوان مختلفة.

وكل شجرة من هذه الأشجار تأخذ من الأرض ما يناسبها من عناصر للتكوين الدقيق لها بكل تفاصيله، وتترك الباقي ونرى شجرة التفاح ثمره حلو ورائحتها نفاذة، وبجانبها الليمون طعمه حامض وبجانبها الحنظل طعمه مر.

وترى ثمرة نأكلها ونترك ما بداخلها مثل المشمش والخوخ والبلح، وثمرة ننزع غلافها ولا نأكله ولكننا نرميه كالبرتقال والبطيخ، وثمرة لها غلاف هش كالبرقوق مثلاً، وثمرة غلافها جامد قوي لا تستطيع أن تنزعه بيدك كالجوز واللوز والبندق وجوز الهند، وثمرة صالحة للتخزين شهوراً طويلة كالجوز واللوز.

ونستطيع أن نمضي بلا نهاية في وصف أنواع الثمر المختلفة التي تنبتها الأشجار [1]، ولكننا نعود لنستذكر قول الخالق المبدع ونقف أمامه بكل خشوع وإيمان ﴿ **وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ . .** ﴾ .

وسأكتفي هنا بذكر بعض آيات القرآن الكريم التي لها علاقة بالنبات وعالم النبات، ومن باب الذكر ليس إلا بعيداً عن الشرح والتفصيل:

يقول تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ** ﴾ . (سورة الزمر: الآية 21)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** ﴾ .

(سورة النمل: الآية 60)

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**. (سورة الأعراف: الآية 57-58)

---

[1] . الشعراوي: الأدلة المادية، ص48.

ويقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . (سورة النحل: الآية 10-11)

فسبحان ﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ . (سورة طه: الآية 50)

# الفصل الخامس

# معجزة العدد في القرآن الكريم

تناولت في هذا الفصل أهمية دراسة الأعداد في القرآن الكريم، وكيف اهتم القرآن الكريم بالعدد والحساب، وهذه إشارة إلى أن عالم الإنسان في حياته وعلمه له علاقة بالعدد، والحساب علاقة قوية تعتمد عليها حياته كلها، ذكرت فيه الأعداد التي وردت في القرآن، وتكلمت عن علاقة العدد بالقرآن، من ناحية عدد سوره وعدد أجزائه ومكونات كل جزء وعدد آياته وعدد كلماته وعدد حروفه، وعن أهمية بعض الأعداد في القرآن وبعض تفسيراتها العلمية، وعن الأنبياء ومرات ذكرهم، وبعض معجزات الحروف المقطعة التي ترد في بداية بعض السور القرآنية.

اعتمدت كثيراً في هذا الفصل على ما أبدعه الدكتور عبد الرزاق نوفل رحمه الله.

قد يقول البعض ما الفائدة من دراسة لغة الأرقام في القرآن الكريم، لا سيما وأن هناك علوماً قرآنية كالفقه والعبادات، والأحكام، والقصص، والتفسير، جديرة بالاهتمام أكثر.

**أولاً:** وقبل كل شيء يجب أن نبحث عن منشأ الاتجاه السائد لدى شريحة من الناس، ومنهم علماء وباحثون، للتقليل من شأن المعجزة الرقمية في القرآن الكريم، فنحن نعلم جميعاً الأهمية الفائقة للغة الأرقام في العصر الحديث، حتى يمكن تسمية هذا العصر بعصر التكنولوجيا الرقمية، فقد سيطرت لغة الرقم على معظم الأشياء، التي نراها من حولنا، وبما أن القرآن هو كتاب صالح لكل زمان ومكان فلابد أن نجد فيه إعجازاً رقمياً يتحدى كل علماء البشر في القرن الواحد والعشرين.

فالذين يظنون بأنه لا فائدة من الإعجاز الرقمي، إنما هم بعيدون عن تطورات العصر، وغالباً ليس لديهم اختصاص في الرياضيات، والغريب: كيف يمكن لإنسان لم يدرس الرياضيات أن ينتقد معجزة رياضية في كتاب الله؟

ولو أنه لا فائدة من هذه الأرقام، فلماذا كان الرقم سبعة هو الأكثر تكراراً في كتاب الله بعد الرقم واحد، ولماذا عدد السماوات سبع وقد تكررت عبارة "سبع سماوات، السماوات السبع" في القرآن كله سبع مرات بالضبط، بعدد هذه السماوات.

ولماذا تكررت كلمة "القبلة" سبع مرات في القرآن ونحن نعلم بأن الطواف حولها هو سبع أشواط، ولماذا جعل الله تعالى لجهنم سبعة أبواب، وجاء عدد مرات ذكر كلمة جهنم في القرآن 77 مرة أي مضاعفات الرقم 7.

ولو كانت الأرقام لا معنى لها في القرآن فلماذا تكررت كلمة "الشهر" 12 مرة بعدد أشهر السنة، ولماذا تكررت كلمة اليوم 365 مرة بعدد أيام السنة؟ ولماذا جاء عدد مرات ذكر "الدنيا" في القرآن مساوياً لعدد مرات ذكر كلمة "الآخرة"، وقد تكررت كل كلمة من هاتين الكلمتين 115 مرة.

هذا وإن المؤمن الذي أحب الله ورسوله، وأصبح القرآن منهجاً له في حياته لا ينبغي له أن ينأى بنفسه عن علوم العصر، وتطوراته، ولا يجوز له أبداً أن ينتقص من شأن القرآن بإهماله لهذه المعجزة، لأنها صادرة من عند الله تعالى ولولا أهمية هذه المعجزة لم يكن الله عز وجل ليضعها في كتابه.

وحال المؤمن دائماً في لهفة لجديد هذا القرآن وجديد إعجازه، وما يُعلي شأن كلام الله وشأن هذا الدين، أما عن الأخطاء، وبعض الانحرافات التي وقع فيها بعض من بحثوا في لغة الأرقام القرآنية فيجب ألا تثنينا عن دراسة هذا العلم الناشئ، بل يجب على المؤمن أن يسارع إلى معرفة الأخطاء ليتمكن من تجنبها .

الإعجاز العددي: هل يعزف المؤمن عن معاني ودلالات الآيات؟

بعض علماء المسلمين يرون أن الاهتمام بعد كلمات وحروف القرآن قد يصرف المؤمن عن دلالات ومعاني الآيات، فالمؤمن بحاجة إلى فهم آيات القرآن من الناحية اللغوية ليهتدي بها إلى طريق الله تعالى.

هذا فهم خاطئ أيضاً، فكيف يمكن للخالق العظيم جل جلاله أن يصنع شيئاً في كتابه ليصرف الناس عن فهم آيات هذا الكتاب، إن كل حرف من حروف القرآن صادر من عند الله تعالى، فإن كل شيء فيه هو من عند الله، ولا ينبغي لمؤمن حقيقي راسخ من العلم أن يقول إن هذه المعجزة لا تعنيني لأنني مؤمن أصلاً، بل لسان حال المؤمن يقول دائماً: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. (سورة آل عمران: الآية 7)

إن تأمل كلمات القرآن وآياته وحروفه من الناحية العددية يجعل المؤمن أكثر حظاً واستحضاراً لهذه الآيات، وهذا الكلام عن تجربة طويلة تتجاوز عشر سنوات مع الإعجاز الرقمي، وبالرغم من أنني أنفق وقتاً طويلاً على دراسة وتأمل الإعجازات الرقمية لكتاب الله تعالى، إلا أنني لم أنصرف عن دلالات هذه الآيات، بل على العكس اكتسبت شيئاً جديداً وهو الدقة في تلاوة هذه الآيات، والحرص على كل حرف من حروف القرآن، وأنه لا يجوز زيادة حرف ولا نقصانه.

## هل يمكن للبشر أن يأتوا بمثل هذه الإعجازات؟

وقد يظن البعض ممن ليس لديهم الخبرة والتجربة بعدّ الحروف وإحصاء الكلمات، بأنه من السهل على أي إنسان أن يركب جملاً يراعي فيها تكرار الحروف، إذن أين الإعجاز؟

في كتاب الله عز وجل نحن أمام مقياس لغوي، ومقياس رقمي، فلا نجد أي نقص أو خلل أو اختلاف في لغة القرآن وبلاغته من أوله وحتى آخره، وفي الوقت نفسه مهما بحثنا في هذا الكتاب العظيم لا نجد أي اختلاف من الناحية الرقمية، فهو كتاب محكم لغوياً ورقمياً.

إنّ محاولة تقليد القرآن رقمياً سيخل بالجانب اللغوي، فلا يستطيع أحد مهما حاول أنّ يأتي بكلام بليغ ومتوازن وفي الوقت نفسه منظم من الناحية الرقمية، سيبقى النقص والاختلاف في كلام البشر، وهذا قانون إلهي لن يستطيع أحد تجاوزه، وهذا ما نجد تصديقاً له في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ . (سورة النساء: الآية 82)

ففي هذه الآية دعوة لتأمل التناسق في كلام الله تعالى، وتميزه عن الاضطراب والاختلاف الموجود في كلام البشر، أليست هذه إشارة غير مباشرة لتدبر القرآن من الناحية البيانية والعددية.

**هل ينطبق الإعجاز العددي على قراءات القرآن العشر؟**

أما قولهم: لا أرقام ثابتة في القرآن الكريم يمكن بناء معجزة عليها، وأن الأرقام في القرآن الكريم هي مثار خلاف عند الكثير من العلماء والباحثين، وأن عدد قراءات القرآن عشر، وهذه المصاحف العشر تختلف من حيث عدد الآيات لكل سورة، فكيف نسمي هذه الأرقام حقائق يقينية، وهي قد تختلف من مصحف إلى آخر؟

والجواب عن هذه الشبهة نجده في قول الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ . إذن في كتاب الله ليس هناك اختلاف، بل تعدد القراءات وتعدد الأرقام، وهذا يعني تعدد المعجزات، وزيادة في الإعجاز، ويمكنني أن أقول بأن الإعجاز الرقمي يشمل جميع قراءات القرآن، ويشمل جميع كلماته وحروفه

وآياته وسوره، حتى النقطة في كتاب الله تعالى لها نظام معجز ولكن أبحاث الإعجاز العددي تقتصر حالياً على قراءة حفص عن عاصم، وهو المصحف الإمام، فهذه القراءة هي الأوسع انتشاراً في العالم الإسلامي، وهي الموجودة بين أيدينا اليوم، وحتى نكتشف معجزة جديدة يجب علينا إجراء دراسة مقارنة لهذه القراءات من الناحية الرقمية، والنتيجة المؤكدة لهذه الدراسة أن كل قراءة فيها معجزة خاصة بها، وأن وجود عدد من القراءات هدفه زيادة عجز الإنسان عن الإتيان بمثل هذا القرآن الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾. (سورة الإسراء: الآية 88)

وينبغي على كل مؤمن أن يعلم بأن القرآن متناسق في ألفاظه ومعانيه، وفي آياته وسوره، وفي بيانه، ودلالاته، وفي عدد كلماته وحروفه، وقد يُخفي هذا التعداد لقراءات القرآن معجزة عظيمة، بيانية وعدديه، ولكن عدم رؤية المعجزة لا يعني أبداً أنها غير موجودة، إنما يعني أن رؤيتنا نحن البشر محدودة.

**هل يوجد إعجاز عددي في لفظ كلمات القرآن؟**

هناك سؤال مهم: إلى أي حد تراعي أبحاث الإعجاز الرقمي لفظ كلمات القرآن الكريم، إذ كما نعلم أن القرآن نزل مقروءاً وليس مكتوباً؟

لقد لفت نظري وانتباهي هذا الأمر منذ زمن، وبعد تفكير وبحث طويلين أدركت بأن أي شيء في القرآن الكريم يخفي وراءه معجزة، إن الذي يقرأ كتاب الله يرى أن طريقة رسم

الكلمات وعدد الحروف المرسومة لا يساوي عدد الحروف الملفوظة غالباً، أي أن هناك تعدداً في الأرقام، وتعدد هذه الأرقام أكثر إذا لفظنا كلمات الآية باستمرار أو كل كلمة بمفردها، وأن هناك حروفاً تكتب ولا تلفظ، وحروفاً أخرى تلفظ ولا تكتب.

إن لغة الرقم هي اللغة التي نعبر بها عن الماضي والمستقبل، فنحن نعبر عن التواريخ بالأرقام كما نعبر عن الأعمال التي نقوم بها مثل السفر أو الاستعداد لموسم الحج أو لشهر رمضان بالأرقام أيضاً، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً** ﴾. (سورة الإسراء: الآية 12)

واليوم يتنبأ علماء الفلك بموعد حدوث كسوف الشمس أو القمر بدقة تامة، وهذا لا يُعد أمراً محرماً نعم الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ولكن هناك أشياء يمكن معرفتها بواسطة الحسابات، مثل الثقوب السوداء التي لا يمكن رؤيتها مطلقاً، ولكن يمكن حساب وتحديد بُعدها عنا، ومقدار جاذبيتها وسرعة حركتها بواسطة لغة الأرقام.

إذن المشكلة ليست في لغة الأرقام، بل في استعمال هذه اللغة بشكل علمي صحيح، فإذا ما جاء من يدعي أنه استخرج من القرآن تاريخاً معيناً أو حدثاً مستقبلياً، فإن عليه أن يأتي بالبرهان العلمي الذي لا يعارضه أحد فيه.

**ما هي الضوابط الواجب الالتزام بها من قِبل من يبحث في هذا العلم؟**

حتى يكون البحث مقبولاً ويطمئن القلب إليه، يجب أن يوافق العلم والشرع، أي يجب أن يحقق الضوابط التالية لكل عنصر من عناصره:

1. **معطيات البحث:** يجب أن تأتي من القرآن نفسه، ولا يجوز أبداً أن نقحم في كتاب الله عز وجل ما لا يرضاه الله تعالى.

2. **طريقة معالجة المعطيات:** يجب أن تكون مبنية على أساس علمي، وشرعي، فلا يجوز استخدام طرق غير علمية، لأنّ القرآن كتاب الله تعالى، وكما أنّ الله بنى وأحكم هذا الكون بقوانين محكمة، كذلك أنزل القرآن ورتبه وأحكمه بقوانين محكمة، وعنه قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ . (سورة هود: الآية 1)

3. **نتائج البحث:** أما نتائج البحث القرآني فيجب أن تمثل معجزة حقيقية لا مجال للمصادفة فيها، وينبغي على الباحث في هذا المجال إثبات أنّ نتائجه لم تأت عن طريق المصادفة، وذلك باستخدام قانون الاحتمالات الرياضي.

**كلمة من العدل قولها:**

إنّ أي علم ناشئ لا بد أن يتعرض في بداياته لشيء من الخطأ، حتى تكتمل المعرفة فيه، وهذا أمر طبيعي ينطبق على المعجزة الرقمية القرآنية، وذلك لأن اكتشاف معجزة في كتاب الله تعالى أمر ليس بالهين، بل يحتاج لجهود مئات من الباحثين، وإذا ظهر لدى بعض هؤلاء أخطاء كان من الواجب على المؤمن الحريص على كتاب الله أن يتحرى هذه الأخطاء ويصححها لينال الأجر من الله تعالى في خدمة هذا الكتاب العظيم وإذا كان باعتقاد البعض

أنه لا فائدة من دراسة لغة الأرقام القرآنية، فإن هذا الاعتقاد لا يستند إلى أي برهان علمي، بل جميع التطورات التي نشهدها في هذا القرن "الحادي والعشرين" تؤكد على أهمية لغة الرقم في إقامة الحجة على كل من ينكر صدق هذا القرآن.

وبما أن لغة الرقم هي لغة العلوم الحديثة، فما الذي يمنع أن نجد هذه الدقة في كتاب الله تعالى، وما الذي يضرنا إذا صدرت أبحاث كهذه تعلي من شأن القرآن، وتخاطب أولئك الماديين بلغتهم التي يتقنونها جيداً، لغة الأرقام.

إذن المعجزة الرقمية هي أسلوب جديد في كتاب الله يناسب عصرنا هذا، الهدف منه هو زيادة إيمان المؤمن كما قال الله تعالى:

﴿ **وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا** ﴾ . (سورة المدثر: الآية 31) .

هذه المعجزة هي وسيلة أيضاً لتثبيت المؤمن وزيادة يقينه بكتاب ربه، لكي لا يرتاب ولا يشك بشيء من هذه الرسالة الإلهية الخاتمة، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾ . (سورة المدثر: الآية 31) .

ولكن الذي لا يؤمن بهذا القرآن ولا يقيم وزناً لهذه المعجزة ما هو رد فعله الشخصي؟ يخبرنا البيان الإلهي عن أمثال هؤلاء ورد فعلهم فيقول تعالى: ﴿ **وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا** ﴾ . (سورة المدثر: الآية 31) .

هذا هو حال الكافر يبقى على ضلاله حتى يلقى الله تعالى وهو على هذه الحال.

لذلك لا ينبغي للمؤمن الحقيقي أن يقول بأن المعجزة الرقمية لا تعنيني، أو لن تؤثر على إيماني أو لن تزيدني إيماناً، بل يجب عليه البحث والتفكير والتدبر في آيات القرآن من جميع جوانبه، هذا القرآن سيكون شفيعاً لك أمام الله عندما يتخلى عنك كل الناس، فانظر ماذا قدمت لخدمة كتاب الله وخدمة رسالة الاسلام. ([1])

**معجزة العدد في القرآن الكريم:**

**يقولون العدد لا يختلف، والحساب لا يخطئ.**

لقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بالأعداد، وذلك لبيان أهميتها في حياة الإنسان والمجتمعات، إلا أنه لم يقدسها كما قدسها الإغريق، فنجده يستعملها في كل مناحي الحياة وفي شتى المعاني والعلاقات، ولهذا لا عجب أن نجد علماء المسلمين يهتمون بالرياضيات اهتماماً كبيراً، فينبغ منهم العباقرة من أمثال: الخوارزمي والكندي، والكرخي، والبيروني، وابن الهيثم، وعمر الخيام، وغيرهم كثير.

**ما فائدة الإعجاز العددي؟**

**وهذه لمحة سريعة للأعداد والكسور التي وردت في القرآن الكريم، وعدد مرات ذكرها:**

1. الواحد: ذُكر في القرآن 95 مرة: قال تعالى: ﴿**قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾. (سورة الرعد: الآية 16)

---

[1] . مقال مسحوب عن شبكة الانترنت، بدون اسم لكاتبه، أو عنوانه، عنوان المقال: "الإعجاز العددي: ماله وما عليه".

2. الاثنان: ذُكر في القرآن 26 مرة: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 144)

3. الثلاثة: ذُكر في القرآن 14 مرة: قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ . (سورة الكهف: الآية 22)

4. الأربعة: ذُكرت في القرآن 9 مرات: قال تعالى: ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 260)

5. الخمسة: ذُكرت في القرآن 4 مرات: قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ . (سورة الكهف: الآية 22)

6. الستة: ذُكرت في القرآن 7 مرات: قال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ . (سورة المجادلة: الآية 7)

7. السبعة: ذُكرت في القرآن 24 مرة: قال تعالى: ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 29)

8. الثمانية: ذُكرت في القرآن 4 مرات: قال تعالى: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 143)

9. التسعة: ذُكرت في القرآن 3 مرات: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 101)

10 . العشرة: ذُكرت في القرآن 3 مرات: قال تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ . (سورة البقرة: الآية 196)

**11**. أحد عشر: ذُكرت في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ . (سورة يوسف: الآية 4)

**12**. اثنا عشر: ذُكر في القرآن 4 مرات: قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ . (سورة التوبة: الآية 36)

**13**. تسعة عشر: ذُكر في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ . (سورة المدثر: الآية 30)

**14**. عشرون: ذُكرت في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ﴾ . (سورة الأنفال: الآية 65)

**15**. ثلاثون: ذُكرت في القرآن مرتان: قال تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ . (سورة الأحقاف: الآية 15)

16 . أربعون: ذُكرت في القرآن مرتان: قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ . (سورة المائدة: الآية 26)

17 . خمسون: ذُكرت في القرآن مرتان: قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ . (سورة العنكبوت: الآية 14)

18. ستون: ذُكرت في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ **فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا** ﴾ . (سورة المجادلة: الآية 4)

**19.** سبعون: ذُكرت في القرآن 3 مرات: قال تعالى: ﴿ **إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾ . (سورة التوبة: الآية 80)

20. ثمانون: ذُكرت في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ **فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً** ﴾ .

(سورة النور: الآية 4)

**21.** تسعة وتسعون: ذُكر في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾ . (سورة ص: الآية 23)

**22.** المائة: ذُكرت في القرآن خمس مرات: قال تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ** ﴾ . (سورة النور: الآية 2)

**23.** المئتان: ذُكرت في القرآن مرتان: قال تعالى: ﴿ **فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ** ﴾ . (سورة الأنفال: الآية 66)

**24.** الثلاثمائة: ذُكرت في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** ﴾ . (سورة الكهف: الآية 25)

25. الألف: ذُكر في القرآن 11 مرة: قال تعالى: ﴿ **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ .

(سورة البقرة: الآية 96)

**26.** الألفان: ذُكر في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ **وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ . (سورة الأنفال: الآية 66)

**27.** الثلاثة آلاف: ذُكرت في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ** ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 124)

**28.** الخمسة آلاف: ذُكرت في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ **هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 125)

29. خمسون ألف: ذُكرت في القرآن مرتان: قال تعالى: ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ . (سورة المعارج: الآية 4)

**30.** مائة ألف: ذُكرت في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** ﴾ . (سورة الصافات: الآية 147)

**الكسور العادية والعشرية الواردة في القرآن:**

النصف: ذُكر في القرآن 6 مرات: قال تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ** ﴾ . (سورة النساء: الآية 12)

الربع: ذُكر مرتان في القرآن: قال تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ** ﴾ . (سورة النساء: الآية 12)

الثمن: ذُكر مرة واحدة في القرآن: قال تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ ﴾ . (سورة النساء: الآية 12)

الثلثان: ذُكرا في القرآن 3 مرات: قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾ . (سورة المزمل: الآية 20)

الثلث: ذُكر في القرآن مرتان: قال تعالى: ﴿ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ ﴾ . (سورة النساء: الآية 12)

السدس: ذُكر مرتان في القرآن: قال تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ . (سورة النساء: الآية 11)

الخمس: ذُكر في القرآن مرة واحدة: قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . (سورة الأنفال: الآية 41)

**من روائع الإعجاز العددي في القرآن الكريم:**

في القرآن الكريم 114 سورة، وأكثر من ستة آلاف آية (6236) آية، كل ذلك في 30 جزءاً ينقسم كل جزء إلى حزبين، كل حزب يتكون من أرباع 4، فيكون عدد الأحزاب 60 حزباً وعدد الأرباع 24 ربعاً .

أما عدد الحروف في القرآن فتبلغ (323670) حرفاً، تكون بمجموعها (77934) كلمة، وعدد النقاط تبلغ (1015030) نقطة تقريباً، عدد السور المكية في القرآن (87)،

و(27) سورة مدنية، لفظ الجلالة "**الله**" ورد في القرآن الكريم (2698) مرات، منها (976)، في حالة الرفع، و(592)، في حالة النصب، و(1132)، في حالة الجر.

## ذكر القرآن الكريم أسماء 25 نبياً وهم على الترتيب:

1. آدم
2. إدريس
3. نوح
4. هود
5. صالح
6. إبراهيم
7. لوط
8. إسماعيل
9. إسحاق
10. يعقوب
11. يوسف
12. شعيب
13. أيوب
14. ذو الكفل
15. موسى
16. هارون
17. داود
18. سليمان
19. الياس
20. اليسع
21. يونس
22. زكريا
23. يحيى
24. عيسى
25. محمد ﷺ

**عدد مرات ذكر الأنبياء في القرآن الكريم:**

1. **آدم:** عليه الصلاة والسلام: 25 مرة.
2. **إدريس:** عليه الصلاة والسلام: مرتان.
3. **نوح:** عليه الصلاة والسلام: 43 مرة.
4. **هود:** عليه الصلاة والسلام: 4 مرات.
5. **صالح:** عليه الصلاة والسلام: 9 مرات.
6. **إبراهيم:** عليه الصلاة والسلام: 69 مرة.
7. **لوط:** عليه الصلاة والسلام: 27 مرة.
8. **إسماعيل:** عليه الصلاة والسلام: 12 مرة.
9. **إسحاق:** عليه الصلاة والسلام: 17 مرة.
10. **يعقوب:** عليه الصلاة والسلام: 16 مرة.
11. **يوسف:** عليه الصلاة والسلام: 27 مرة.
12. **شعيب:** عليه الصلاة والسلام: 11 مرة.
13. **أيوب:** عليه الصلاة والسلام: 4 مرات.
14. **ذو الكفل:** عليه الصلاة والسلام: مرتان.
15. **موسى:** عليه الصلاة والسلام: 136 مرة.
16. **هارون:** عليه الصلاة والسلام: 20 مرة.

17. **داود:** عليه الصلاة والسلام: 16 مرة.
18. **سليمان:** عليه الصلاة والسلام: 17 مرة.
19. **الياس:** عليه الصلاة والسلام: مرتان.
20. **اليسع:** عليه الصلاة والسلام: مرتان.
21. **يونس:** عليه الصلاة والسلام: 4 مرات.
22. **زكريا:** عليه الصلاة والسلام: 7 مرات.
23. **يحيى:** عليه الصلاة والسلام: 5 مرات.
24. **عيسى:** عليه الصلاة والسلام: 25 مرة.
25. **محمد:** عليه أفضل الصلاة والسلام: 4 مرات.

## تناول القرآن الكريم في آياته الشريفة مواضيع كثيرة، فكانت هذه الإحصائية:

العقائد: 1443 آية.

التوراة: 1025 آية.

التوحيد: 1102 آية.

العبادات: 4110 آية.

الدين: 826 آية.

التبليغ: 400 آية.

النصارى :161 آية.

بنو إسرائيل: 110 آيات.

النظام الاجتماعي: 818 آية.

تهذيب الأخلاق: 803 آيات.

سيدنا محمد ﷺ : 405 آيات.

القرآن الكريم: 390 آية.

الشريعة: 29 آية. التاريخ: 27 آية.

النصر: 71 آية. التجارب: 9 آيات.

## الأوزان والمقاييس في القرآن الكريم:

**الصاع:** يعادل ثلاثة كيلو جرامات تقريباً.

**القنطار:** ستة أمنان _ المن يساوي شرعاً 180 مثقالاً.

**المثقال:** عرفاً يساوي درهماً ونصف الدرهم.

**الدرهم:** يعادل أربع حبات من الحمص.

**دينار:** مثقال شرعي.

**عدد الحروف المقطعة في القرآن الكريم:** 14 حرفاً، مجموعة في قولنا: "صله سحيراً من قطعك" وردت في 29 سورة ما بين مكية ومدنية.

## من إعجاز العدد في القرآن:

المدة التي لبثها أهل الكهف في كهفهم هي 309 سنوات، والعجيب أن الله ذكر قصتهم في سورة الكهف بـ 309 كلمات.

بداية القصة: "إذ أوى الفتية إلى الكهف . . . وحتى نهاية القصة" قل الله أعلم بما لبثوا"، نجد أن عدد الكلمات من "إذ" وحتى "لبثوا" بالضبط هو 309 كلمات، نفس عدد السنوات التي لبثها أصحاب الكهف.

**من روائع الرقم 19:**

عدد سور القرآن 114 سورة وهو من مضاعفات الرقم 19، وقد تحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 88)، عدد كلمات هذه الآية 19 وعدد حروفها 76 وهو من مضاعفات الرقم 19 وعدد الحروف الأبجدية التي كتبت منها هذه الآية 19، والمجموع هو 114 بعدد سور القرآن.

**ومن ضمن الروائع أيضاً:**

أول آية في القرآن هي "**بسم الله الرحمن الرحيم**" عدد حروفها هو 19 حرفاً، أول كلمة فيها هي "**بسم**" وقد تكررت في القرآن كله 134 مرة، وآخر كلمة فيها هي "**الرحيم**" وقد تكررت في القرآن كله 227 مرة، والمذهل أن مجموع تكرار أول كلمة وآخر كلمة في هذه الآية هو 361 وهذا العدد يساوي بالتمام والكمال 19 ×19.

عدد حروف القاف في سورة "**ق**" هو 57 حرفاً، من مضاعفات 19، وعدد حروف القاف في سورة الشورى 57 حرفاً كذلك، مع ملاحظة أن كلتا السورتين في مقدمتهما نجد

حرف القاف، ومجموع حروف القاف في كلتا السورتين هو 57 + 57 = 114 بعدد سور القرآن الكريم، وكلمة قرآن تبدأ بحرف القاف.

عدد حروف الياء والسين في سورة "**يس**" التي هي قلب القرآن الكريم هو 285 حرفاً، وهو من مضاعفات الرقم 19.

## من روائع الرقم سبعة في القرآن الكريم:

لم يصادف عدد من الأعداد وفرة في الاستعمال مثل العدد 7، فهو عدد عجائب الدنيا السبع، وعدد ألوان الطيف الرئيسية، وعدد قارات الأرض، وعدد أيام الأسبوع، وغيرها كثير.

وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تبين لنا أن عدد السماوات سبعة، والأراضين سبعة:

قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ . (سورة المؤمنين: الآية 86)

وقال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا** ﴾ . (سورة الملك: الآية 3)

وقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ** ﴾ . (سورة البقرة: الآية 29)

ومن آيات فترات الظواهر الطبيعية أو دوراتها قوله تعالى: ﴿ **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا** ﴾ . (سورة الحاقة: الآية 7)

وقال تعالى: ﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ، قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ . (سورة يوسف: الآية 36-39)

ويقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ . (سورة الحجر: الآية 87)

**فما هي هذه المثاني يا ترى؟ لعل العلم يكشف لنا شيئاً من هذا الإعجاز.**

عدد السماوات 7، وقد تكررت عبارتي "سبع سماوات" و"السماوات السبع" في القرآن الكريم 7 مرات بعدد هذه السماوات، وعدد أبواب جهنم 7 أبواب، وتكرار كلمة "جهنم" في القرآن كله 77 مرة أي 7 × 11.

مجموع كلمات أول آية وآخر آية في القرآن هو سبع كلمات، ومجموع كلمات أول سورة وآخر سورة في القرآن هو 49 أي سبة في سبعة.

أول سورة في القرآن هي "السبع المثاني"، وهي سبع آيات وعدد حروفها عدا المكرر 21 حرفاً من مضاعفات الرقم 7، وعدد حروف اسم "الله" فيها هو 49 حرفاً، أي سبعة في سبعة.

تناول الدكتور: " مصطفى محمود " قضية الأعداد في كتابة: من أسرار القرآن تحت عنوان: الحروف والعدد فقال:

الحروف المقطعة في أوائل السور كانت، ومازالت من ألغاز القرآن الكريم وطلاسمه، وقد اختلف في شأنها المفسرون، قال البعض أنها من أسماء الله تعالى التي استأثر بها في علم الغيب، والبعض قال إنها تعني الاسم الأعظم، والبعض قال هي الحروف التي تبني بها الملائكة القصور في الجنة، والبعض كان يتلو: ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾. (سورة البقرة: الآية 1-2)، بمعنى أن الله يقول من جنس هذه الحروف جئنا بذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، ونحن نتحدى أن يأتي أحد بمثله، رغم أن هذه الحروف في ميسور الجميع. وقال كثرة المفسرين الله أعلم.

لكننا شهدنا أخيراً محاولة جريئة لاكتشاف المدلول العددي لهذه الحروف، قام بها رشاد خليفة باستخدام العقل الالكتروني، وصل إلى نتائج مثيرة للاهتمام، فقد وجد بالإحصاء أن استهلال سورة معينة يقابله دائماً تفوق حسابي لمعدل توارد وتكرار هذه الحروف في نفس السورة، ففي سورة **"ق"** مثلاً نجد أن الحرف **"ق"** يتكرر في السورة بمعدل أعلى من باقي الحروف، ثم أن معدله في السورة هو أعلى معدل من سور القرآن على الإطلاق.

**ونفس الشيء في أ، ل، م البقرة، وأكثر من هذا تأتي المعدلات في سلم تنازلي من أ إلى ل إلى م وبنفس الترتيب:**

**أ:** وردت 4592 مرة.

**ل:** وردت 3204 مرة.

**م:** وردت 2195 مرة.

**نفس الحكاية في أ، ل، م سورة آل عمران:**

**أ:** وردت 2578 مرة.

**ل:** وردت 1885 مرة.

**م:** وردت 1251 مرة.

وبنفس الترتيب التنازلي أ، ل، م وهي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

**نفس الحكاية في أ، ل، م سورة العنكبوت:**

**أ:** وردت 784 مرة.

**ل:** وردت 554 مرة.

**م:** وردت 344 مرة.

وبنفس الترتيب التنازلي أ، ل، م وهي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

**نفس الحكاية في أ، ل، م سورة الروم:**

**أ:** وردت 547 مرة.

**ل:** وردت 396 مرة.

**م:** وردت 312 مرة.

وبنفس الترتيب التنازلي أ، ل، م وهي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

**نفس الحكاية في أ، ل، م، ر سورة الرعد:**

**أ:** وردت 625 مرة.

**ل:** وردت 479 مرة.

**م:** وردت 260 مرة.

**ر:** وردت 137 مرة.

بنفس الترتيب التنازلي أ، ل، م، ر وبنفس الترتيب الذي جاءت به بالقرآن.

وفي جميع السور التي ابتدأت بالحروف أ، ل، م نجد السور المكية تتفوق حساباً في معدلاتها على باقي السور المكية في المصحف، والمدنية تتفوق حساباً في معدلاتها على باقي السور المدنية.

كما نجد أن جميع السور التي افتتحت بالحروف "حم" إذا ضمت إلى بعضها البعض فإن معدلات توارد الحرف "ح" والحرف "م" تتفوق على السور المكية في المصحف.

وكذلك السور التي افتتحت بالحروف أ، ل، ر وهي: إبراهيم، ويونس، وهود، والحجر، أربع منها جاءت متتابعة في تواريخ النزول، إذا ضمت لبعضها أعطانا العقل الالكتروني أعلى معدلات في نسبة توارد حروفها: **أ، ل، ر** على كل السور المكية في المصحف.

بالمثل: **أ، ل، م، ص** سورة الأعراف يقول لنا العقل الالكتروني أن معدلات هذه الحروف هي أعلى ما تكون في سورة الأعراف وأنها تتفوق حساباً على كل السور المكية في المصحف.

وفي سورة **"طه"** نجد أن الحرف "ط" والحرف "هـ " يتواردان فيها بمعدلات تتفوق على كل السور المكية، أما في سورة "يس" فإننا نلاحظ أن الدلالة موجودة ولكنها انعكست، لأن ترتيب الحروف انعكس فالياء في الأول "يس" بعكس الترتيب الأبجدي، ولهذا نرى توارد الحرف "ي" والحرف "س" في السورة أقل من تواره في جميع المصحف مدنياً ومكياً .

ثم يكتشف رشاد خليفة دلالة خاصة للعدد 19، ويرى أن الله يقيم بهذا الرقم الحجة على الملحد الذي يقول أن القرآن من صنع بشر، كما جاء في سورة المدثر: ﴿ **إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ، سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا** ﴾ . (سورة المدثر: الآية 18-31)

فهذا الرقم 19 الوارد في السورة هو فتنة وهو حجة على من يقول بأن القرآن من صنع البشر، وسوف يزداد الذين آمنوا إيماناً .

ويفسر الأستاذ رشاد خليفة هذه الألغاز فيقول: إن آية **"بسم الله الرحمن الرحيم"** الفاتحة، قد نزلت بعد سورة المدثر حسب تواريخ النزول، هذه الآية من 19 حرفاً ثم إن كل كلمة منها تتكرر في القرآن 19 مرة أو مضاعفات الـ 19

كلمة اسم تتكرر 19 × 7 = 134 مرة.

كلمة الله تتكرر 19 × 142 = 2698 مرة.

كلمة الرحمن تتكرر 19 × 2 = 75 مرة.

كلمة الرحيم تتكرر 19 + 6 = 114 مرة.

ثم إن جميع الحروف المقطعة في أوائل السور تتكرر إلى مضاعفات الـ 19 بطول المصحف، هكذا:

الحرف "ق" يتكرر في سورة " ق " 19 × 3 = 57 مرة.

الحروف "كهيعص" تتكرر في سورة مريم 19 × 42 = 798 مرة.

الحرف "ن" في سورة القلم يتكرر 19 × 7 = 132 مرة.

الحرفان "يس" في سورة "يس" يتكرران 19 × 15 = 258 مرة.

الحرفان "طه" في سورة " طه " يتكرران 19 × 18 = 342 مرة.

الحرفان "حم" في جميع السور المفتتحة بـ حم يتكرران 19 × 114 = 2166 مرة.

الحروف "عسق" في سورة الشورى تتكرر 19 × 11 = 209 مرات.

الحروف "أ، ل، م، ر" في سورة الرعد تتكرر 19 × 79 = 1501 مرة.

**ثم أن الكلمات:**

لا حول ولا قوة إلا بالله = 19 حرفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم = 19 حرفاً.

وهي كلمات يتحفظ بها المؤمن من الشر والسوء من زبانية العذاب الذين قال ربنا في سورة المدثر أنهم 19 ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾ . (سورة المدثر: الآية 26-30)

فهل كل هذه مصادفات، وإذا سلمنا بمصادفة واحدة، فكيف نفسر الباقي، وقوانين الاحتمال ذاتها تنفي تكرر المصادفات بهذا التواتر، إلا أنّ يكون الأمر ترتيباً مقصوداً .

ولا يمكن أنّ يبدأ مؤلف كتاب بأن يقول لنفسه سوف أكرر الحرف الفلاني كذا، والحرف الفلاني كذا، وسوف ألتزم في مقالاتي بألا تتجاوز مجموعات الحروف كذا مضاعفات 19، ثم القرآن نزل مفرقاً على مدى 23 سنة، وكانت الآيات تنزل على النبي من وسط السورة وهو يجهل أولها كما يجهل آخرها، ثم تكتمل بعد ذلك السورة ربما بعد عشرين سنة، فهناك استحالة أن يكون الأمر تأليفاً من الرسول عليه السلام.

بل إن العد الالكتروني يصحح لنا أخطاء وردت في إحصاءات المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ويؤكد استطراد هذه القاعدة.

ثم نعود فنكتشف مقابلات عددية توازي بعض المقابلات اللفظية في القرآن وتتكرر بكثرة تلفت النظر، فنرى أن لفظ الحياة ومشتقاتها يتكرر في القرآن 145 مرة وبالمثل يتكرر لفظ الموت ومشتقاته 145 مرة.

وكلمة الدنيا ترد 115 مرة، وكلمة الآخرة ترد 115 مرة.

والملائكة يأتي ذكرها 88 مرة، والشياطين بالمثل 88 مرة.

والحر يُذكر 4 مرات والبرد 4 مرات.

وكذلك المصائب تُذكر 75 مرة، والشكر 75 مرة.

والزكاة 32 مرة، والبركات 32 مرة.

والعقل ومشتقاته 49 مرة، والنور ومشتقاته 49 مرة.

فهل كل هذه مصادفات، أم هي إشارة إلى وجه آخر من وجوه الإعجاز في ذلك الكتاب المحكم لفظاً ومعنى وحروفاً وأعداداً.

وهي كما قلنا إشارات ودلالات تنفي شبهة التأليف عن القرآن، فلا يستطيع مؤلف أن يصنف في ذهنه حروفاً وأعداداً ثم يؤلف عليها مقالات، ولم يزعم الرسول عليه السلام لأحد أن بكتابه أي إعجاز عدد، بل على العكس كان ينهى وبشدة عن الاشتغال بعلوم الحروف والأعداد في زمانه.

**هل نحن على أبواب علم جديد ؟**

إن البعض ينظر باستنكار واستهجان إلى هذه النظرة الإحصائية لحروف القرآن وكلماته أو يرى أنها تصرف القارئ عن تدبر معاني الكتاب الكريم ويخشى فتح هذا الباب.

ونحن لا نشجع أحداً على الانصراف عن تفهم القرآن إلى عد حروفه، وليس عند كل قارئ عقل الكتروني، فالمشكلة غير واردة والخوف ليس له مبرر.

إنما هو اجتهاد يطرح أمامنا ملاحظة وعلى من ينكر أن يجد لنا تفسيراً.

وقد قال الرسول عليه السلام عن القرآن: أنه كتاب **"لا تنقضي عجائبه"** [1]، وهذه عجيبة من عجائبه.

وقال ربنا: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ** ﴾ . (سورة الشورى: الآية 17)، وأي ميزان؟ إنه ميزان يدق حتى يزن الشعرة والحرف والرقم.

إنها ظاهرة جديرة بالاهتمام، وحجة جديرة على أن ذلك الكتاب الذي نتداوله ونتلوه ليس من الكتب العادية في شيء. [2]

**العمليات الحسابية في القرآن الكريم:**

1 . **الجمع:** قال تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ . (سورة الجاثية: الآية 26)

2 . **القسمة:** قال تعالى: ﴿ **وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ** ﴾ . (سورة القمر: الآية 28)

**الطول والعرض في القرآن الكريم:**

1 . **الطول:** قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا** ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 38)

---

[1] . الترمذي: السنن، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم 3070، ص 345/4 .

[2] . مصطفى محمود: من أسرار القرآن، ص70 .

**2 . العرض:** قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ . (سورة الكهف: الآية 133)

**عدد الحروف الهجائية في القرآن الكريم:**

| الحرف | كم مرة ورد في القرآن الكريم | الحرف | كم مرة ورد في القرآن الكريم |
|---|---|---|---|
| الألف | 48800 | الضاد | 2293 |
| الهمزة | 28718 | الطاء | 3174 |
| الباء | 11202 | الظاء | 842 |
| التاء | 10199 | العين | 920 |
| الثاء | 1276 | الغين | 2208 |
| الجيم | 3273 | الفاء | 7499 |
| الحاء | 3990 | القاف | 6813 |
| الخاء | 2416 | الكاف | 10354 |
| الدال | 5642 | اللام | 33522 |
| الذال | 4699 | الميم | 26565 |
| الراء | 11793 | النون | 26354 |
| الزاي | 1570 | الهاء | 19070 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| السين | 5790 | الواو | 26565 |
| الشين | 2253 | الام ألف | 4099 |
| الصاد | 1180 | الياء | 25909 |

ملاحظة: هذه الإحصائية تقريبية.

**من غرائب وعجائب العدد في القرآن الكريم:**

**الدنيا والآخرة:**

تكررت كلمة الدنيا في القرآن الكريم 115 مرة، في مثل قوله تعالى: **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** . (سورة آل عمران: الآية 185)، تكررت كلمة الآخرة نفس العدد أي 115 مرة، في مثل قوله: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾** . (سورة هود: الآية 103)

**الملائكة والشياطين:**

تساوى عدد مرات ورود لفظ الملائكة وعدد مرات ورود لفظ الشياطين في القرآن الكريم فقد تكرر لفظ الملائكة 88 مرة في مثل قوله تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾** . (سورة الأنفال: الآية 12) . وتكرر لفظ الشياطين 88 مرة أيضاً في مثل قوله تعالى: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾** . (سورة فاطر: الآية 6)

**الحياة والموت:**

ورد لفظ الحياة بمشتقاته في القرآن الكريم 145 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ . (سورة الكهف: الآية 46)، ونفس هذا العدد قد تكرر به لفظ الموت ومشتقاته في القرآن الكريم، في مثل قوله: ﴿ **وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ . (سورة ق: الآية 19)

**البصر والبصيرة، والقلب والفؤاد:**

البصر: هو الرؤية الظاهرة، والبصيرة هي الرؤية الداخلية عن طريق الحس، تكرر لفظ البصر والبصيرة بكل مشتقاتها في القرآن الكريم 148 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ** ﴾ . (سورة الرعد: الآية 16)، وفي مثل قوله تعالى: ﴿ **بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** ﴾ . (سورة القيامة: الآية 14)

وبنفس هذا العدد 148 تكرر لفظ القلب والفؤاد بمشتقاتها في القرآن الكريم، والقلب والفؤاد هما جهاز **الإدراك والوعي.**

قال تعالى: ﴿ **أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ . (سورة الرعد: الآية 28)، وقال تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾ . (سورة الفرقان: الآية 32)

**النفع والفساد:**

ورد لفظ النفع في القرآن الكريم بكل مشتقاته 50 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا** ﴾ . (سورة الفرقان: الآية 3)، وبنفس العدد 50 ورد لفظ الفساد

ومشتقاته، في مثل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ . (سورة الفجر: الآية 11-12)

**الصيف والحر، والشتاء والبرد:**

لفظ الصيف ورد مرة واحدة في القرآن الكريم، وكذلك ورد لفظ الشتاء: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ . (سورة قريش: الآية 2)، وورد لفظ الحر بمشتقاته 4 مرات في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . **مؤتمرات تنعقد شرقاً وغرباً، وقاعات تضج بالمؤتمرين، لكن نصيب الشعب والقضية أين من هذه المؤتمرات وهؤلاء المؤتمرين.** (سورة التوبة: الآية 81)، وكذلك لفظ البرد ورد بمشتقاته 4 مرات في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ . (سورة الأنبياء: الآية 69)، وهكذا يكون الصيف والحر تكرر 5 مرات قدر ما تكرر الشتاء والبرد تماماً .

**الأصنام، والخمر، والخنزير. والبغضاء، والحصب، والتنكيل. والحسد، والرعب، والخيبة.**

وردت الفاظ الكلمات السابقة في القرآن الكريم 5 مرات، هذا دلالة على العلاقة التي تربط هذه المنكرات والمحرمات والمبغضات فيما بينها .

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ .
(سورة إبراهيم: الآية 35)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ . (سورة المائدة: الآية 91)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 173)

وقال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 118)

وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 68)

وقال تعالى: ﴿ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ . (سورة النساء: الآية 84)

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ . (سورة النساء: الآية 54)

وقال تعالى: ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ . (سورة الحشر: الآية 2)

وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ . (سورة إبراهيم: الآية 15)

**اللعنة والكراهية:**

ورد لفظ اللعن ومشتقاته في القرآن الكريم 41 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ . (سورة هود: الآية 18)، وبنفس هذا العدد 41 تكرر لفظ الكره ومشتقاته، في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ . (سورة الصف: الآية 8)

**الرجس والرجز:**

الرجس: هو الخبيث من العمل الذي يدفع الشيطان الإنسان إلى ارتكابه.

الرجز: هو نوع من العذاب الأليم يصيب الإنسان عقاباً له على ما اقترف من أعمال خبيثة.

تكرر لفظ الرجس بكل مشتقاته في القرآن الكريم 10 مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾. (سورة الأحزاب: الآية 33)، وبنفس العدد 10 تكرر لفظ الرجز ومشتقاته في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**﴾. (سورة البقرة: الآية 59)، وهكذا يتساوى عدد مرات ذكر الرجس ومشتقاته والرجز ومشتقاته في القرآن الكريم.

**الضيق والطمأنينة:**

تكررت كل مشتقات الضيق 13 مرة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾. (سورة النحل: الآية 127)، وبنفس العدد 13 تكررت كل مشتقات الطمأنينة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾. (سورة الرعد: الآية 28).

**الطهر والإخلاص:**

تساوى الطهر وكل مشتقاته بالإخلاص وكل مشتقاته في القرآن الكريم حيث تكرر كل منهما 31 مرة، فقد ورد لفظ الطهر وكل مشتقاته 31 مرة في القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿**لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً**﴾. (سورة النساء: الآية 57)، وكذلك بنفس العدد 31

تكرر لفظ الإخلاص وكل مشتقاته في القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء ﴾ . (سورة البينة: الآية 5)

**العلم والمعرفة والإيمان:**

من عجائب الأشياء أن لفظ الإيمان ومشتقاته ورد في القرآن الكريم 811 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ . (سورة النساء: الآية 47)، وبنفس قدر العدد يتكرر لفظ العلم 782 مرة والمعرفة التي هي مرادف العلم، قد تكرر 29 مرة أي مجموع 811، تكرر ذلك في القرآن الكريم، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ . (سورة طه: الآية 114) .

**الناس والرسل:**

تكرر لفظ الناس ومشتقاته ومرادفاته في القرآن الكريم 368 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً ﴾ . (سورة البقرة: الآية 168)، وبنفس العدد 368 قد تكرر به لفظ الرسل ومشتقاته في مثل قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ . (سورة البقرة: الآية 108)، وهكذا يكون الناس كافة والرسل عامة قد تساوى مجموع ما تكرر منهما في القرآن الكريم.

**الركوع والحج، والطمأنينة:**

ورد لفظ الركوع ومشتقاته في القرآن الكريم 13 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ . (سورة الحج: الآية 77)، وبنفس العدد من الألفاظ والمشتقات وردت كلمة الحج، فقد تكررت 13 مرة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ﴾ . (سورة البقرة: الآية 196)

والطمأنينة ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم 13 مرة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ . (سورة الرعد: الآية 28)، وهذا يدلل على سر العلاقة بين الصلاة والطمأنينة، طمأنينة النفس، وكذلك الحج وطمأنينة النفس، فليس هذا الورود من باب العبث.

**القرآن والملائكة:**

لقد تكرر ذكر لفظ القرآن في القرآن الكريم 68 مرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾ . (سورة الإنسان: الآية 23)، وبهذا العدد تماماً تكرر ذكر الملائكة في القرآن الكريم تحديداً 68 مرة، في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ . (سورة النحل: الآية 2)، أي أن لفظ القرآن تكرر بقدر ما تكرر لفظ الملائكة تماماً.

والوحي ورد ذكره بمشتقاته 70 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 19)، وبنفس العدد 70 تكرر لفظ الإسلام بمشتقاته في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 19)، وبنفس العدد 70 تكرر لفظ يومئذ وليس لها مشتقات، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

**نَّاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾** . (سورة الغاشية: الآية 8) وهي لفظة تشير إلى يوم القيامة. وبنفس العدد 70 تكرر أيضاً "يوم القيامة" في مثل قوله تعالى: **﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** . (سورة الزمر: الآية 67)، بهذا يكون لفظ الوحي والإسلام ويومئذ ويوم القيامة تكرر بنفس العدد، وهي معجزة رقمية للقرآن الكريم.

**الكفر والإيمان:**

تكلمنا عن الإيمان ومشتقاته سابقاً، ولكن الآن نتكلم عنهما بطريقة أخرى: لفظة الإيمان بدون مشتقات وردت 25 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: **﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾** . (سورة الحجرات: الآية 11)، ولفظة الكفر مجردة وردت في القرآن الكريم 25 مرة، في مثل قوله تعالى: **﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾** . (سورة آل عمران: الآية 176).

**أمر عجيب، والأعجب:**

كلمة الإيمان ومشتقاتها 811 مرة وردت في القرآن الكريم، وكلمة الكفر ومشتقاتها ومرادفاتها وردت 697 مرة، والفارق بين الرقمين 114 وهذا العدد هو عدد سور القرآن الكريم، فأي تناسق وتناغم وترابط عجيب بين آيات هذا القرآن الكريم.

ومن التناسب والتناسق الرقمي أن نجد المضاعفات العددية، فهناك الضعف والثلاثة أضعاف وهكذا، وكله بتوافق وترتيب وعن قصد وعمد، تحقيقاً لغاية وتوجيهاً نحو هدف.

فمثلاً لفظ الرحمن وهو من أسماء الله الحسنى قد تكرر في القرآن الكريم 57 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ . (سورة طه: الآية 5). أما لفظ الرحيم فقد ورد في القرآن الكريم 114 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ . (سورة النساء: الآية 16)، وبذلك فإن الرحيم من أسماء الله الحسنى قد تكرر 114 مرة بينما تكرر الرحمن 57 مرة أي أن الرحيم تكرر ضعف الرحمن. ومن العجيب أن رقم 114 هو عدد سور القرآن الكريم إذ يبلغ عددها 114 سورة.

كذلك نجد أن لفظة الفجار ذُكرت 3 مرات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ . (سورة الانفطار: الآية 14)، بينما ذُكرت لفظة الأبرار 6 مرات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ . (سورة المطففين: الآية 18)، وكذلك لفظة العسر ومشتقاته 12 مرة وردت في القرآن الكريم، وهي بمعنى الضيق والصعوبة، في مثل قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 185)، وتكرر لفظ اليسر 36 مرة في القرآن الكريم، كما في نص الآية السابقة، وبذلك يكون لفظ اليسر قد تكرر ثلاثة أضعاف لفظ العسر.

يقول د. عبد الرزاق نوفل: لقد أثبت العلم عن طريق التحليل والمتابعة والرصد والتصوير أن كل ما في الوجود إنما هو متسق، ومتناسق بلا تجاوز أو تفاوت كما يقول الله في القرآن الكريم: ﴿ مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ . (سورة الملك: الآية 3) وأن كل خلق نجده

والتوازن يشمله في كل جانب وكل ناحية كما يقرر ذلك القرآن الكريم حيث يقول: ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ . (سورة الحجر: الآية 19) .

وها هو القرآن الكريم يميزه، ضمن ما يتميز به، التساوي، والتوازن والتناسق، والتناسب العددي الذي يعجز عن مثله الإنس كل الإنس، والجن كل الجن، والجن والإنس معاً، أفلا يكون قطعاً وصدقاً وحقاً ويقيناً هو وحي الله المنزل على خاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد ﷺ .

ويكون بذلك هذا التساوي والتناسق والتوازن وجهاً جديداً من أوجه الإعجاز العديدة التي يكشف عنها التدبر والتفكير والتأمل، إلا أنه وجه لا تختلف في نتيجته الآراء، ولا تتعدد الاتجاهات، فهو ليس بتفسير أو تأويل، تتعارض فيه الاجتهادات وتتباين النظريات، ولكنه حساب، وأرقام وحقائق الحساب دائماً قاطعة، وشواهد الأرقام أبداً دافعة، حقاً وصدقاً، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 88) .

ولعل ما تقدم يكون بعض التفسير لقوله تعالى عن القرآن الكريم [1]: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ . (سورة الشورى: الآية 17) .

## نعود مرة أخرى إلى التناسق العجيب للإعجاز العددي في القرآن الكريم:

### إبليس . . والتعوذ منه:

---

1 . نوفل: الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ص189/1 .

تكرر لفظ إبليس في القرآن الكريم 11 مرة، وهو لفظ ليس له مشتقات، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ . (سورة طه: الآية 17)، وبنفس العدد 11 تكرر الأمر بالاستعاذة، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ . (سورة الناس: الآية 1)، وهكذا كما ذُكر إبليس 11 مرة تكرر لفظ الاستعاذة منه 11 مرة.

**السحر والفتنة:**

يقول تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾ . (سورة البقرة: الآية 102)، وهكذا اجتمع السحر والفتنة في هذه الآية، والعجيب أن يتساوى عدد مرات ذكر السحر في القرآن الكريم بعدد مرات ذكر الفتنة مع مشتقات كل منهما . فقد تكرر لفظ السحر ومشتقاته 60 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ . (سورة المائدة: الآية 110)، وتكرر لفظ الفتنة ومشتقاته 60 مرة أيضاً، في مثل قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ . (سورة البقرة: الآية 191)، وكأن الله سبحانه وتعالى يحذرنا من هذا الشر العظيم، فكلما كان هناك سحر، كانت هناك الفتنة.

**المصيبة والشكر:**

وردت كلمة المصيبة في القرآن الكريم ومشتقاتها 75 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ . (سورة الشورى: الآية 30)، وبنفس

العدد تكرر لفظ الشكر ومشتقاته في القرآن الكريم 75 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . (سورة المائدة: الآية 89) .

وهذه دعوة للمؤمن أن يكون شاكراً لله على كل ما يصيبه.

**البخل، والحسرة، والطمع، والجحود:**

ذُكر البخل في القرآن الكريم ومشتقاته 12 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 180) . وبنفس العدد 12 تكررت ألفاظ الحسرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ . (سورة الأنفال: الآية 36) . وتكرر ألفاظ الطمع بمشتقاتها 12 مرة أيضاً في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ . (سورة المائدة: الآية 84) .

وأيضاً تكرر الجحود بمشتقاته 12 مرة على مدار القرآن الكريم كله، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 33) . وهكذا يتساوى عدد مرات ذكر البخل والحسرة والطمع والجحود في آيات القرآن الكريم على اختلاف مواقعها فيها، ونحن نعلم أن الدائرة التي تدور فيها هذه الصفات، دائرة واحدة، فأي معجزة هذه؟

**الإسراف والسرعة:**

ورد الإسراف بجميع مشتقاته23 مرة في القرآن الكريم، في مثل النص الشريف: ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . (سورة الشعراء: الآية 151) . وبنفس العدد أي 23 تكررت السرعة ومشتقاتها، حيث يقول تعالى: ﴿ وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 176) . بهذا يتساوى الإسراف والسرعة في عدد ورودهما في القرآن الكريم، وكم هي المسافة قريبة ما بين الإسراف والسرعة.

**السلطان والنفاق والابتلاء:**

ورد لفظ السلطان بمشتقاته في القرآن العظيم 37 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ . ﴿ سورة هود: الآية 96) . وبنفس العدد تكرر لفظ النفاق ومشتقاته في القرآن الكريم 37 مرة أيضاً، في مثل قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . (سورة النساء: الآية 138) . وبهذا العدد 37 تكرر لفظ الابتلاء ومشتقاته في القرآن العظيم، حيث يقول تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 49) . وهكذا يتساوى عدد مرات ذكر السلطان والنفاق والابتلاء، فهل هناك من علاقة ما بين السلطان والنفاق والابتلاء؟ أعتقد نعم.

**الجبر والقهر والعتو:**

وردت مشتقات الجبر في القرآن الكريم 10 مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ . (سورة إبراهيم: الآية 15) . وبنفس العدد أي 10 تكررت مشتقات القهر في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ .

(سورة الأنعام: الآية 18 ﴾، وتكررت مشتقات العفو 10 مرات أيضاً في القرآن العظيم، حيث يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾ . (سورة مريم: الآية 69) وهكذا يتساوى عدد مرات ذكر الجبر والقهر والعتو بمشتقاتهما في القرآن الكريم، واعتقد أن القارئ على درجة كبيرة من معرفة العلاقة بين هذه الصفات الثلاث. فسبحان الله العظيم.

**العُجب والغرور:**

تكرر لفظ العجب بمشتقاته 27 مرة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ . (سورة يونس: الآية 2)، ويتساوى مع هذا العدد 27 ذكر الغرور بكل مشتقاته، فيقول تعالى: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 112)، ودائرة العُجب والغرور واحدة، فأي عجب هذا .

**الخيانة والخبث:**

ذكر الله سبحانه وتعالى لفظة الخيانة ومشتقاتها في القرآن الكريم 16 مرة، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴾ . (سورة الأنفال: الآية 58)، وذكر الله الخبث ومشتقاته أيضاً بنفس العدد من المرات وهو 16 مرة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ . (سورة المائدة: الآية 100)، وبذلك يكون قد تساوى عدد مرات ذكر الخيانة بكل مشتقاتها بعدد مرات ذكر الخبث بكل مشتقاته، حيث ورد كل منهما 16 مرة في القرآن الكريم، وذلك بالرغم من عدم اجتماعهما ولو مرة واحدة في آية واحدة، بل ولا في سورة واحدة، أليس هذا لمن له عقل، دليل دافع على أن القرآن من لدن رب العالمين؟

**الكافرون والنار والحريق:**

ورد ذكر الكافرين 154 مرة في القرآن الكريم، بكل مشتقاته، في مثل قوله تعالى: **﴿ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ ﴾** . (سورة البقرة: الآية 19)، وبنفس العدد 154 ورد ذكر النار في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: **﴿ وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾** . (سورة آل عمران: الآية 10)، وبنفس العدد 154 ورد ذكر الحريق ومشتقاته في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: **﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾** . (سورة الأنفال: الآية 50)، فما هذه العلاقة العجيبة بين الكفر والنار والحريق، في أن يتساوى عدد كل لفظ ومشتقاته في القرآن الكريم.

**الضالون والموتى:**

ورد ذكر الضالين بكل تصاريفها في القرآن الكريم 17 مرة، في مثل قوله تعالى: **﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ ﴾** . (سورة آل عمران: الآية 90)، وبنفس العدد أي 17 تكرر لفظ الموتى في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: **﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء ﴾** . (سورة الروم: الآية 52)، أليس هناك علاقة بين الضلال وبين الموت، موت النفس والروح والإيمان والخير.

**المسلمون والجهاد:**

ذكر لفظ المسلمين ومشتقاته في القرآن الكريم 41 مرة، في مثل قوله تعالى: **﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾** . (سورة الزمر: الآية 12)، وبهذا القدر من العدد ورد ذكر الجهاد بكل

مشتقاته في القرآن الكريم، أي 41 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ . (سورة العنكبوت: الآية 69)، فهل هناك علاقة بين أن تكون مسلماً والجهاد ؟

**الدين والمساجد:**

تكرر لفظ الدين ومشتقاته في القرآن الكريم 92 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 19)، وبنفس القدر من الأعداد تكرر لفظ المساجد ومشتقاتها في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 149)، العلاقة واضحة بين الدين والمساجد، ففيه تقام الشعائر، وفيه يُرفع ذكر الله.

**التلاوة والصالحات:**

لقد تكررت التلاوة بكافة مشتقاتها في القرآن الكريم 62 مرة، حيث يقول تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ . (سورة مريم: الآية 58)، وبنفس هذا المجموع العددي ورد ذكر الصالحات، أي 62 مرة، في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ) . (سورة الكهف: الآية 46)

**الصلاة والنجاة والملائكة والقرآن:**

ذكر القرآن الكريم لفظ الصلاة دون مشتقاتها فيه 68 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ . (سورة إبراهيم: الآية 40)، وبنفس العدد أي 68 تكررت النجاة ومشتقاتها في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ . (سورة الصافات: الآية 76)، وكما سبق ذُكره تكرر ذكر الملائكة في القرآن الكريم 68 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي﴾ . (سورة آل عمران: الآية 39)

وبنفس العدد تكرر لفظ القرآن في القرآن الكريم بمشتقاته أي 68 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ . (سورة ق: الآية 45)، وبذلك يكون قد تساوى ذكر الصلاة والنجاة، بقدر ما تكررت الملائكة والقرآن، فالعلاقة واضحة بين الصلاة والنجاة، وبين الملائكة القائمة على حفظ المؤمنين، والقرآن الكريم سبب الهداية والرشاد .

**الزكاة والبركات:**

تكرر لفظ الزكاة في القرآن الكريم 32 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ . (سورة النور: الآية 56)، وبنفس العدد 32 تكرر لفظ البركات بكل مشتقاتها في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ .

(سورة الرحمن: الآية 78)

**الصيام والصبر والدرجات والشفقة:**

تكرر ذكر الصوم بكل مشتقاته 14 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّلَيْلِ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 187)، وبنفس العدد تكرر ذكر الصبر في القرآن الكريم 14 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 45)، وتكرر لفظ الدرجات بنفس العدد 14 في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ . (سورة طه: الآية 75)، وإذا اعتمدنا لفظ الصوم بدون مشتقاته وهو 10 مرات يتساوى مع الشفقة بكل مشتقاتها إذ وردت 10 مرات. فالصوم يتساوى مع الصبر ومع الدرجات بالمشتقات لكل لفظة، ويتساوى مع الشفقة بدون مشتقاته. فسبحان الله العظيم.

**العقل والنور:**

تكررت كل مشتقات العقل في القرآن الكريم 49 مرة، حيث وردت في قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . (سورة الحديد: الآية 17)، وقد تكررت كل مشتقات النور أيضاً 49 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ . (سورة المائدة: الآية 15)، بهذا يتساوى ذكر العقل والنور في القرآن، فما العلاقة بين العقل والنور، أو النور والعقل.

**اللسان والموعظة:**

ذكر اللسان بكل تعريفاته في القرآن الكريم 25 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ . (سورة النحل: الآية 103)، وبنفس العدد أي 25 تكررت مشتقات الموعظة في القرآن الكريم، في مثل تعالى: ﴿ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . (سورة آل عمران: الآية

138)، وهكذا يتكرر عدد مرات ذكر اللسان بكل مشتقاته بعدد مرات ذكر الموعظة بكل مشتقاتها، رغم عدم اجتماعها في آية واحدة، بل ولا في سورة واحدة.

**السلام والطيبات:**

تكرر ذكر السلام في القرآن الكريم 50 مرة بكافة مشتقاته، في مثل قوله تعالى: ﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**﴾. (سورة المائدة: الآية 16)، وتكررت الطيبات بكل مشتقاتها بنفس العدد أي 50 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾. (سورة المائدة: الآية 5)

**الحرب والأسرى:**

لقد تكرر ذكر الحرب بكل مشتقاتها في القرآن الكريم 6 مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**﴾. (سورة المائدة: الآية 64)، ومن عجب أن يتساوى عدد مرات ذكر الأسرى بكل مشتقاتها بعدد مرات ذكر الحرب ومشتقاتها رغم عدم اجتماعها في آية واحدة، بل ولا في سورة واحدة، إذ وردت 6 مرات في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**﴾. (سورة الأنفال: الآية 67)

فما العلاقة بين الأسر والحرب، إنها علاقة واضحة، فالأسر لا يكون إلا في حالة حرب بين طائفتين.

يقول الدكتور عبد الرزاق نوفل: إن أمر الإعجاز العددي أبعد مما يُرى، وأعمق مما يُتصور، وأسمى مما يُظَن، فهناك الأسرار التي مازالت تحتاج إلى جهد جهيد، وفتح مبين، وإن بدأت

بعضها في الإشراق فإنما وكأنها علامات على الطريق، أو أضواء بين يدي نور عظيم، فمثلاً هل التساوي العددي يقتصر على الموضوعات فقط، فالله سبحانه وتعالى يقول عن القرآن الكريم: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ . (سورة الشورى: الآية 17)، وطالما أن الاتزان والتوازن يشمل كل القرآن الكريم بهذا القول القاطع، وهذا النص الكريم الجامع، فإن الألفاظ يقيناً لا بد أن تكون متساوية أو متوازنة، ولكن أي ألفاظ، وكيف الجمع بينها، إن الاهتداء إليها في حاجة إلى مدد وعون منه سبحانه، فتظهر باقي جوانب هذه المعجزة في وقت محدد، جل شأنه، لحكمة يعلمها جل جلاله.

فمثلاً لفظ قالوا وهو يجمع كل ما قاله الخلق جميعاً قد تكرر 332 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ 0 (سورة البقرة: الآية 30)، من عجب أن يتساوى هذا اللفظ بلفظ قل وهو الأمر من الله لكل من خلق بالقول، إذ تكرر 332 مرة، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّه ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 154)، شيء عجيب، وأمر رهيب، الأمر بالقول يتساوى بالقول فعلاً، فسبحان من قال: قل 332 مرة فكان القول 332 مرة، إنه توازن واتزان، إنه حكمة وبرهان.

**حقاً إنّه القرآن.**

والتناسب الرقمي يشمل العديد من الموضوعات، فمثلاً نجد النبوة قد تكررت 80 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ . (سورة الأحزاب: الآية 6)، بينما تكررت السُنة 16 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ

**خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾** . (سورة الفتح: الآية 23)، أي أن النبوة قد تكررت خمسة أضعاف ما تكررت السُنة، والسُنة قد تساوت مع الجهر الذي تكرر 16 مرة في القرآن الكريم، ولكن الجهر تكرر نصف ما تكرر السر الذي ورد 32 مرة في القرآن الكريم.

ماذا يعني ذلك؟ وإلى ماذا يهدف، وما سر هذا التساوي، وهذا التناسب، إن أمر الوصول إلى حقائقه يحتاج إلى بحوث ودراسات وآراء واجتهادات.

ولكن ما نريد إعلانه هو أن هذا التساوي الرهيب وهذا التناسق العجيب في كل موضوعات القرآن الكريم، وألفاظه يقطع بلا أدنى شك أو جدل، أن القرآن وحي الله سبحانه وتعالى، فما كان لرسول الله، وهو الأمي، ولا للعلماء في زمانه، ولكل علماء العالم ولو اجتمعوا في مختلف الأجيال، إيجاد هذا التساوي والتوازن في هذه الموضوعات بهذا القدر وهذا الإعجاز.

اعرضوا هذه المعجزة على الآليات الإحصائية، والعقول الحاسبة، لتسمعوا الرد القاطع، والجواب الواضح. . .لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحقاً وصدقاً.

**﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾** . (سورة هود: الآية 1). [1].

ونستمر مع الدكتور: "عبد الرزاق نوفل" نقتطف من إبداعاته وتجلياته:

**الهدى والرحمة:**

لازمت الرحمة الهدى في 13 آية في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: **﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾** . (سورة الأنعام: الآية

[1] . نوفل: الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ص153/2.

154)، ثم وردت الرحمة منفردة عن الهدى في آيات أخرى وذكر الهدى في آيات غيرها، إلا أن عدد ذكر الرحمة يساوي عدد مرات ذكر الهدى، فلقد تكرر كل من اللفظين في القرآن الكريم 79 مرة.

**المحبة والطاعة:**

لقد تكرر ذكر المحبة بكافة مشتقاتها 83 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾. (سورة البقرة: الآية 190)، وبنفس العدد أي 83 تكررت الطاعة ومشتقاتها في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ** ﴾.

(سورة آل عمران: الآية 32).

بذلك تتساوى المحبة والطاعة بمشتقاتهما في القرآن الكريم، وهذا بيان لما بينهما من صلة كبيرة فالمحبة أولاً ثم الطاعة، وكلما ذُكرت المحبة أُلحقت بالطاعة.

**البر والثواب:**

ذُكر البر بكل مشتقاته في القرآن الكريم 20 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾. (سورة المائدة: الآية 2)

وبنفس العدد تكرر لفظ الثواب ومشتقاته 20 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ** ﴾. (سورة آل عمران: الآية 195)، هذا التساوي لا يأتي من فراغ، فما العلاقة بين البر والثواب، إنه الإعجاز الرباني.

**القنوت والركوع:**

اجتمع أمر الله سبحانه وتعالى بالقنوت والركوع في آية واحدة في القرآن، في قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 43)، ثم تفرقت مشتقات كل منهما في مختلف سور القرآن الكريم، ولم يجتمعا في سورة واحدة سوى مرتين، في سورة البقرة، ومرتين في سورة آل عمران، وبالرغم من ذلك فقد تساويا في العدد . فلقد تكرر القنوت بكافة مشتقاته 13 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ . (سورة البقرة: الآية 238)، وبنفس العدد أي 13 تكرر الركوع بكافة مشتقاته في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ . (سورة الحج: الآية 77)

**الرغبة والرهبة:**

اجتمعت الرغبة والرهبة في آية واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ . (سورة الأنبياء: الآية 90)، ثم تفرقت مشتقات كل منها في مختلف آيات القرآن الكريم إلا أنها تساوت في عدد ذكرها . فقد ذُكرت الرغبة بكل مشتقاتها 8 مرات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ . (سورة القلم: الآية 32)، وردت مشتقات الرهبة في القرآن الكريم 8 مرات، أي نفس عدد مرات الرغبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ . (سورة النحل: الآية 51)

**الجهر والعلانية:**

الجهر مرادف العلن، وقد تكررت مشتقات الجهر وكذلك مشتقات العلن في مختلف سور القرآن الكريم وبالرغم من ذلك تساوى عدد مرات ذكر الجهر ومشتقاته بعدد مرات ذكر العلن بمشتقاته.

فتكرر لفظ الجهر 16 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ**﴾. (سورة النساء: الآية 148)، وبنفس العدد تكرر لفظ العلن ومشتقاته، أي ورد 16 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾. (سورة النمل: الآية 74).

**الغواية والخطأ والخطيئة:**

تكررت لفظة الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم 22 مرة، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾. (سورة الحجر: الآية 42)، ويمثل هذا العدد 22 تكررت ألفاظ الخطأ والخطيئة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾. (سورة القصص: الآية 8)، وفي مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾. (سورة النساء: الآية 112)، وهكذا يتساوى عدد ذكر الغواية، بعدد ذكر الخطأ والخطيئة.

**الفحشاء، والبغي، والإثم:**

لقد تكررت الفحشاء ومشتقاتها في القرآن الكريم 24 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً**﴾. (سورة النساء: الآية 22)، وبنفس العدد تكرر لفظ البغي

ومشتقاته في القرآن الكريم 24 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا** ﴾ . (سورة يونس: الآية 90) .

وبذلك يكون لفظ الفحشاء بكل مشتقاته قد تكرر 24 مرة، وبنفس القدر الذي تكرر به لفظ البغي بكل مشتقاته ومجموع الفحشاء والبغي يكون 48، وهذا العدد قد تكرر به لفظ الإثم بكل مشتقاته، أي 48 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ** ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 120) .

**القليل والشكور:**

اجتمع القليل والشكور في آية واحدة مرة واحدة في كتاب الله العزيز، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ . (سورة سبأ: الآية 13)، وتفرقت مشتقات القلة، وكذلك مشتقات الشكر في آيات القرآن الكريم المختلفة، ومع هذا التفرق إلا أنها تساوت في عدد مرات ذكر كل لفظة ومشتقاتها . فقد تكررت لفظة القلة ومشتقاتها 75 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ** ﴾ . (سورة البقرة، الآية 249)، وبنفس العدد أي 75 تتكرر كل مشتقات الشكر في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 123)، فما العلاقة بين القليل والشكور، وهل صحيح أن من يملكون القليل يشكرون، ومن يملكون الكثير قليل منهم شاكرون؟

**الحرث والزراعة والفاكهة والعطاء:**

يقول تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ، أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾ . (سورة الواقعة: الآية 64-65)

وهكذا وردت الحراثة والزراعة في آيتين متتاليتين، وتسبق الحراثة والزراعة في الآيات كما تسبقها في الواقع، وبالرجوع إلى مرات ذكر الحراثة بكل مشتقاتها في القرآن الكريم نجد أنها تكررت 14 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ** ﴾ . (سورة البقرة: الآية 71)، وبنفس هذا العدد 14 تكرر ذكر الزراعة بكل مشتقاتها في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ** ﴾ . (سورة النحل: الآية 11)، وهكذا يتساوى عدد مرات الحرث بكل مشتقاته بالزراعة بكل مشتقاتها، وليس ذلك فقط، بل أننا لو جمعنا عدد مرات ذكر الفاكهة وجدناها تتساوى مع الحرث ومع الزراعة إذ وردت 14 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ** ﴾ . (سورة الزخرف: الآية 73)، وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر الحرث بعدد مرات ذكر الزراعة بعدد مرات ذكر الفاكهة، وأيضاً يتساوى مع عدد مرات ذكر العطاء بكل مشتقاته، إذ وردت لفظة العطاء بمشتقاتها 14 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ . (سورة الإسراء: الآية 20)

**الشجر والنبات:**

بمراجعة الأعداد التي تكرر بها ذكر النبات وكل مشتقاته في القرآن الكريم، نجده تكرر 26 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾ . (سورة الشعراء: الآية 7)، اجتمع الإنبات بالشجر في ثلاثة مواضع فقط، وافترق في البقية، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ** ﴾ . (سورة المؤمنون: الآية 20)، وبمراجعة

الأعداد التي ذكر بها الشجرة نجده نفس العدد أي 26 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ** ﴾. (سورة إبراهيم: الآية 24).

وهكذا يجتمع النبات والشجر في ثلاثة آيات كريمة، ثم يتفرق ذكرها في باقي آيات القرآن الكريم، ويستمر التساوي بينهما، إذ يتكرر ذكر كل واحدة منهما 26 مرة. فسبحان الله الذي خلق الشجر وأنبت النبات، وأنزل القرآن فيه آيات محكمات.

**النطفة والطين والشقاء:**

تكررت لفظة النطفة في القرآن الكريم 12 مرة بلا مشتقات، في مثل قوله تعالى: ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ** ﴾. (سورة النحل: الآية 4)

وبنفس العدد تكرر لفظ الطين في القرآن الكريم 12 مرة، وبلا مشتقات، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ** ﴾. (سورة المؤمنون: الآية 12)، وتكرر لفظ الشقاء أيضاً في القرآن الكريم 12 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا** ﴾. (سورة مريم: الآية 48)، وهكذا يتساوى عدد مرات ذكر النطفة بعدد مرات ذكر الطين، بعدد مرات ذكر الشقاء.

**الألباب والأفئدة:**

وردت لفظة الألباب في القرآن الكريم كاملاً 16 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾. (سورة الزمر: الآية 9)، وهي لفظة بلا مشتقات لها. وبنفس العدد من المرات أي 16

تكرر ذكر الأفئدة بكل ألفاظها في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ . (سورة النحل: الآية 78)

وبذلك يكون قد تساوى عدد ذكر مرات الألباب بعدد ذكر مرات الأفئدة رغم أنهما لم يجتمعا في آية واحدة، بل لم يردا في سورة واحدة سوى مرة، من كافة سور القرآن الكريم.

**الشدة والصبر:**

تكررت الشدة بكل مشتقاتها في القرآن الكريم 102 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ** ﴾ . (سورة الحديد: الآية 25)، وبنفس العدد 102 تكرر لفظ الصبر ومشتقاته في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ . (سورة هود: الآية 115) .

بهذا تكون الشدة بكافة مشتقاتها وردت بنفس عدد الصبر بمشتقاته، وهذا له دلالة كبيرة روحياً ومعنوياً وأيضاً عددياً، فأي إعجاز أعظم من هذا الإعجاز.

**الجزاء والمغفرة:**

تكرر الجزاء ومشتقاته في القرآن الكريم 117 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى** ﴾ . (سورة الكهف: الآية 88)، وإذا تأملنا لفظ المغفرة وهي ما تكون عند الجزاء نجد أنها ومشتقاتها قد ذُكرت في القرآن الكريم 234 مرة، أي ضعف ما ذُكر الجزاء بكل مشتقاته، في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا** ﴾ . (سورة طه: الآية 73)

وإنّ دل هذا الإعجاز على شيء فإنما يدل على أن مغفرة الله أعظم من عذابه وأسبق من جزاءه.

**المصير والأبد واليقين:**

ورد لفظ المصير 28 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ**﴾. (سورة ق: الآية 43)، ومعها تصريفاتها ومشتقاتها. وبنفس العدد أي 28 تكرر لفظ أبد، ولا مشتقات له في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾. (سورة التغابن: الآية 9)

وتكرر اليقين بكل مشتقاته بنفس العدد حيث ورد في القرآن الكريم في 28 موضع، في مثل قوله تعالى: ﴿**وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾. (سورة البقرة: الآية 4)

**الناس والملائكة والعالمين، والآيات:**

تكرر ذكر الناس في القرآن الكريم 241 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾. (سورة النساء: الآية 174)، وتكرر ذكر الملائكة 68 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ**﴾. (سورة الرعد: الآية 13)، وتكرر ذكر العالمين 73 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾. (سورة البقرة: الآية 251) فيكون مجموع ما تكرر ذكره من الناس والملائكة والعالمين 382 مرة، فإذا رجعنا إلى العدد الذي تكرر به ذكر الآيات في القرآن

الكريم، وجدناه ذُكر 382 مرة بكل مشتقاته في مثل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ . (سورة البقرة: الآية 219)

فالناس والملائكة والعالمين مجموعهما يساوي مجموع الآيات، وهكذا إعجاز ما بعده إعجاز.

**الرسل والأنبياء، وأسمائهم:**

بلغ عدد مرات الرسل ومشتقاتها في القرآن الكريم 368 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ . (سورة البقرة: الآية 253)، وتكرر ذكر النبي بمشتقاتها في القرآن الكريم 75 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ . (سورة الأحزاب: الآية 6)، كما تكرر ذكر البشير وهو ما يطابق النبي 18 مرة في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ . (سورة البقرة: الآية 119)، وتكرر النذير وهو ما يماثل النبي والبشير 57 مرة، في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ . (سورة فاطر: الآية 24)، وبذلك يكون لفظ الرسل قد تكرر 368 مرة.

وتكرر لفظ النبي 75 مرة.

والبشير تكرر 18 مرة.

والنذير تكرر 57 مرة.

فيكون المجموع 518 مرة.

**وباستعراض عدد مرات ذكر أسماء الرسل، والأنبياء، والمبشرين، والمنذرين، نجد أنهم تكرروا بالأعداد التالية:**

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| موسى | 136 | هارون | 20 | صالح | 9 | يونس | 4 |
| إبراهيم | 69 | إسحاق | 17 | هود | 7 | اليسع | 2 |
| نوح | 43 | سليمان | 17 | زكريا | 7 | الياس | 2 |
| يوسف | 27 | يعقوب | 16 | ناقة الله | 7 | إدريس | 2 |
| لوط | 27 | داود | 16 | يحيى | 5 | ذا الكفل | 2 |
| عيسى | 25 | إسماعيل | 12 | محمد وأحمد | 5 | إل ياسين | 1 |
| آدم | 25 | شعيب | 11 | أيوب | 4 | | |

وهذه مجموعها 518. أي أنه قد تساوى مجموع ذكر الرسل والنبيين والمبشرين والمنذرين بعدد مرات ذكر أسمائهم تماماً، إذ ورد الكل 518 مرة في القرآن الكريم.

## القرآن والنور والحكمة والتنزيل:

لقد تكرر ذكر القرآن بلفظه 68 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: **﴿إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾** . (سورة النمل: الآية 6)، وتكرر ذكر النور بلفظه 33 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: **﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾** (سورة المائدة: الآية 15). وتكرر ذكر الحكمة بلفظها 20 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾** . (سورة البقرة: الآية 231)

وتكرر ذكر التنزيل بلفظه 15 مرة في القرآن الكريم، من مثل قوله تعالى: ﴿ **تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ . (سورة الواقعة: الآية 80) وبذلك يكون قد تساوى عدد مرات ذكر القرآن بمجموع عدد مرات ذكر النور والحكمة والتنزيل.

**القرآن، والبينات ومبينات وموعظة وشفاء:**

كما سبق ذكره ورد القرآن بلفظه في القرآن الكريم 68 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ . (سورة يوسف: الآية 2)، ووردت البينات بلفظها في القرآن الكريم 52 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ** ﴾ . (سورة العنكبوت: الآية 49) .

وورد 3 مرات بلفظ مبينات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ** ﴾ . (سورة الطلاق: الآية 11)، وورد بلفظ الموعظة 9 مرات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 138)، وورد بلفظ الشفاء 4 مرات في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء** ﴾ . (سورة فصلت: الآية 44) .

فيكون مجموع البينات ومبينات وموعظة وشفاء 68 مرة أي بقدر ما تكرر لفظ القرآن.

**محمد والشريعة:**

سبق أن أوردنا أن لفظ محمد تكرر في القرآن الكريم 4 مرات، متساوياً بذلك مع ذكر الروح القدس، وأيضاً الملكوت وكذلك السراج. وهو أيضاً يتساوى مع الشريعة بكل مشتقاتها،

إذ وردت 4 مرات في القرآن الكريم بمثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ . (سورة الجاثية: الآية 18)

وبذلك يتساوى عدد مرات ذكر محمد بعدد مرات ذكر روح القدس وعدد مرات ذكر الملكوت وعدد مرات ذكر السراج وعدد مرات ذكر الشريعة، صلى الله عليه وسلم.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . (سورة الأحزاب: الآية 35)

إذا ما تدبرنا عدد مرات ذكر من عددّتهم الآية من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وهكذا حتى الذاكرات نجد أن العدد هو 259 وهذا العدد نفسه هو حاصل جمع لفظ: الأجر والفتح والعظيم.

كذلك وجدنا أن الحساب تكرر ذكره 29 مرة، وبهذا العدد تكرر لفظ العدل والقسط، إذ تكرر العدل 14 مرة والقسط 15 مرة. وأما الجزاء فقد تكرر 117 مرة وتكررت المغفرة 234 مرة، أي ضعف الجزاء.

أما الأجر فتساوى مع الفعل، والحساب تساوى مع العدل والقسط، أما الجزاء فضعفه المغفرة.

فهذه الأعداد العجيبة وهذه التوافقات الغريبة والتي تعتبر وجهاً من التساوي والتوازن والتناسب ألا يدل ذلك على أن كل ما في القرآن إنما بحكمة الميزان.

لقد تحدى القرآن الكريم كل من كان عنده ريب فيه أن يحاول الإتيان بمثل ما جاء فيه بالنص الشريف: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . (سورة البقرة: الآية 23)

وأطلقت الآية الشريفة كل نواحي الإعجاز، ومنها لا شك هذا الإعجاز العددي، فلو اجتمع الناس جميعاً ما استطاعوا، إذ أن النتيجة أوردتها الآية الكريمة التالية: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ . (سورة البقرة: الآية 24)

فسبحان من هذا وحيه . . . وصلى الله على الذي أَوحى إليه ربه.

إن الإعجاز العددي للقرآن الكريم، هو الوجه الذي لا بد أن ندعو به إليه، إنه الدليل على وجود الموحي ورسالة المُوحَى إليه، وإنه لأسلوب الجيل بلغة العصر، فنحن في جيل الأرقام، وعصر العد والإحصاء.

وسيجد كل باحث ودارس في القرآن الكريم، في موضوعاته، في ألفاظه، بل في حروفه من أوجه الإعجاز العددي تساوياً أو تناسباً، أو توازياً، بما يجعله يقدم للعالمين آية حديثة، على إعجاز القرآن الكريم، ودليلاً جديداً على نبوة محمد النبي العظيم. [1]

**البعث والصراط:**

البعث أصلاً إحياء الله سبحانه وتعالى للموتى وقيامهم للحساب يوم القيامة، وكذلك يعني الرسالة، وقد تكرر البعث بمعنى قيام الأموات ومشتقاته ومرادفاته 45 مرة في القرآن

---

[1] . نوفل: الإعجاز العددي في القرآن الكريم، 3 /170.

الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . (سورة الروم: الآية 56)، وبنفس هذا العدد تحديداً تكرر لفظ الصراط، فلقد تكرر 45 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . (سورة الشورى: الآية 52)، أي تكرر لفظ البعث ومشتقاته ومرادفاته بقدر ما تكرر لفظ الصراط في القرآن الكريم وهو 45 مرة.

**السيئات والصالحات:**

بلغ عدد ذكر الصالحات وكافة مشتقاتها 167 مرة في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ . (سورة طه: الآية 112)، وبنفس هذا العدد تكرر ذكر السيئات بكل مشتقاتها أي 167 مرة في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾ . (سورة النحل: الآية 34)، بهذا تساوى عدد مرات ورود لفظ الصالحات التي تعني العمل الصالح وبعدد ورود ذكر السيئات في القرآن الكريم وهو 167 مرة.

**الجحيم والعقاب:**

ورد لفظ الجحيم في القرآن الكريم 26 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ . (سورة الشعراء: الآية 91)، وبنفس هذا العدد 26 تكرر ذكر العقاب في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . (سورة الرعد: الآية 6) .

فسبحان الله العظيم، العلاقة واضحة بين العقاب والجحيم، فالجحيم هي دار العقاب لمن كتب عليه العقاب يوم القيامة، فأي معجزة أعظم من هذه المعجزات، أن يتساوى ذكر لفظ مكان العقاب وذكر لفظ العقاب.

**الفاحشة والغضب:**

ورد ذكر لفظ الفاحشة ومشتقاتها في القرآن الكريم في 24 مرة، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾ . (سور الإسراء: الآية 32)، وبنفس العدد تكرر الغضب ومشتقاته 24 مرة في كامل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ . (سورة الممتحنة: الآية 13)

**الأسباط والحواريون والرهبان والقسيسون:**

ذكر القرآن الكريم الأسباط وهم أنبياء الله من نبي يعقوب والفرق في عهد موسى 5 مرات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ . (سورة النساء: الآية 163)

وبنفس هذا العدد تكرر ذكر أنصار سيدنا عيسى عليه السلام وهم الحواريون، أي 5 مرات في مجمل القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ . (سورة الصف: الآية 14) . وتكرر أنصار النصرانية بنفس العدد إذ وردت الرهبان في 4 مواضع بمشتقاتها في مجمل القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ . (سورة التوبة: الآية 34)، ووردت بلفظ القسيسين مرة واحدة في القرآن، حيث يقول تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ . (سورة المائدة: الآية 82)

وهكذا يتساوى عدد مرات ذكر الأسباط وهم أنصار اليهودية والحواريون وهم أنصار المسيح عليه السلام، والرهبان والقسيسين وهم أنصار النصرانية بعده بأن ذكرت كل طائفة من هذه خمس مرات في القرآن الكريم.

**الملكوت، وروح القدس، ومحمد، والسراج:**

ورد لفظ الملكوت في القرآن الكريم 4 مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ . (سورة الأنعام: الآية 75)، كذلك وردت الروح القدس 4 مرات في مجمل القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . (سورة البقرة: الآية 87)

وأيضاً ورد لفظ محمد ﷺ 4 مرات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ . (سورة آل عمران: الآية 144)، وبنفس العدد تكرر لفظ

السراج في نصوص القرآن الكريم، حيث ورد 4 مرات، في مثل قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ . (سورة الأحزاب: الآية 46)، ومن هنا يلاحظ التماثل التام في عدد مرات ذكر الملكوت وروح القدس ومحمد والسراج.

**رسالة الله وسور القرآن:**

لقد ورد ذكر رسالة الله بمختلف ألفاظها 10 مرات في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ . (سورة الأعراف: الآية 93)، وبنفس العدد 10 تكرر ذكر سور القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ . (سورة النور: الآية 1)، أي أن رسالة الله وسور القرآن قد تساوى عدد مرات ذكرها في القرآن الكريم.

**الإنسان ومتاعه:**

إذا كان الناس كافة قد تكرر 368 مرة في كل القرآن الكريم، فإن مجموع متاع الإنسان من رزق ومال وبنين قد تكرر نفس العدد أي 368، فإن لفظ الرزق ومشتقاته قد ورد في القرآن الكريم 123 مرة في مثل قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ . (سورة طه: الآية 131)، وتكرر المال 86 مرة، حيث ورد في القرآن الكريم بكل مشتقاته في مثل قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ . (سورة الذاريات: الآية 19)، وتكرر ألفاظ الأبناء 162 مرة بكل تصريفاتها، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ .

(سورة الإسراء: الآية 70)، وهكذا فإن الرزق قد تكرر 120 مرة والمال 86 مرة والبنون 162 مرة وهذه هي متاع الإنسان ومجموعها 368 وهو نفس مجموع ما تكرر به الإنسان ومشتقاته ومرادفاته، وهو نفس ما تكرر به الرسل، فيكون قد تساوى عدد مرات ذكر الناس والرسل ومتاع الإنسان.

## الأخوات في القرآن الكريم:

| الرقم | السورة | عدد آياتها | أختها | الرقم | السورة | عدد آياتها | أختها |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1. | الفاتحة | 7 | الماعون | 14 | الجمعة | 11 | المنافقون–الضحى–العاديات – القارعة. |
| 2. | الأنفال | 75 | الزمر | 15 | الطلاق | 12 | النجم |
| 3. | يوسف | 111 | الإسراء | 16 | نوح | 28 | الجن |
| 4. | إبراهيم | 52 | ن والحاقة | 17 | المزمل | 20 | البلد |
| 5. | الحج | 78 | الرحمن | 18 | القيامة | 40 | النبأ |
| 6. | القصص | 88 | ص | 19 | الانفطار | 19 | العلق–الأعلى |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 7. | الروم | 60 | الذاريات | 20 | الشرح | 8 | الـتين –البينـة – الزلزلة |
| 8. | السجدة | 30 | الملـك والفجر | 21 | القدر | 5 | الفيـل –المسـد – الفلق |
| 9. | سبأ | 54 | فصلت | 22 | العصر | 3 | الكوثر –النصر |
| 10 | فاطر | 45 | ق | 23 | قريش | 4 | الإخلاص |
| 11. | الفتح | 29 | الحديد | 24 | الكافرون | 6 | الناس |
| 12. | الحجرات | 18 | التغابن | | | | |
| 13. | المجادلة | 22 | البروج | | | | |

# الفصل السادس

# من معجزات اللغة في القرآن

تناولت في هذا الفصل: بعض الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم،

وطوّفت حولها، مبيناً ما فيها من إعجاز،

ما كان يقدر عليه البشر، وما كانوا ليعرفوا من أسرارها شيئاً لولا ورودها في القرآن

الكريم.

ننتقل الآن إلى إعجاز آخر، غير ما سبق من أنواع الإعجاز، إنه إعجاز الألفاظ ومدلولاتها، وإيحائها الذي لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى.

**النور والظلمات:**

قال تعالى: **﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** . (سورة البقرة: الآية 257).

تعبير آخر في القرآن الكريم، والقرآن الكريم مليء بالتعبيرات الدقيقة، نجد أن الله سبحانه وتعالى حين يستخدم كلمة نور وظلام في القرآن الكريم يقول ﴿ نور ﴾ ، ويقول ﴿ ظلمات وظلمة ﴾ ولكنه لا يقول أنوار، أبداً هناك نور وظلمة، وهناك ظلمات، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يستخدم كلمة ﴿ أنوار ﴾ يخرج الناس **﴿ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾** ، وليس إلى الأنوار لماذا ؟ مع أن المنطقي أن يقول يخرج الناس من الظلمات إلى الأنوار، نقول له إنك لم تعِ الحقيقة جيداً، في الدنيا هناك ظلمات كثيرة، ولكن ليس هناك أنوار، هناك نور واحد هو نور الله سبحانه وتعالى، نور الحق، ولذلك لا يستخدم الله سبحانه وتعالى إلا كلمة نور، لأنّ النور هو الحق، ولا نور غيره.

لكل نفس هوى، والهوى هو ظلمة، وظلمة هذا غير ظلمة ذاك، الإنسان في كثير من الأحيان هو عبد لأهوائه، والأهواء تختلف، ومن هنا يأتي الصراع في الدنيا، القتل، السرقة، الاعتداء على الغير، إلى آخر ما تشهده من صراع الحياة في كل مكان.

هذه ظلمات، كلٌ في ظلمة مختلفة تبع هوى صاحبها، هذا يقول كلاماً، وهذا يقول كلاماً آخر، هذا يريد أن يحقق شيئًا، وذلك يريد أن يحقق شيئًا آخر، كل إنسان يريد أن يأخذ مالا حق له فيه، وكل إنسان يتحدث بما يعتقد أنه يحقق هواه، إنسان يقول الشيوعية، وآخر يقول الرأسمالية، وثالث يقول الاشتراكية، هذه كلها كلمات، وراءها هوى للنفس يعتقد الإنسان أنه يستطيع أن يحققه، أن يعلو في الأرض، أن يستبيح مال وحرمات غيره، أن يذل الناس بما أعطاه الله من مركز، أو مال، أو سلطان.

إذن هي ظلمات كثيرة، كل إنسان مناله هواه، ولكن الله سبحانه وتعالى الحق، وهو الذي وضع النور ليمكن الإنسان من أن يعيش عيشة راضية مطمئنة، هذا النهج للحياة رسمه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، أما كل ما تتخبط فيه بعيداً عن منهج الله فهو ظلمات، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يخرجنا من ظلمات كثيرة إلى نور واحد، هو نوره، هو طريقه، هو الحق.

الله سبحانه وتعالى حين يستخدم كلمة ﴿ظلمات﴾ يتحدث عن أهواء الناس، وهي مختلفة، وحين يستخدم كلمة ﴿**نور**﴾ فهو يتحدث عن شيء واحد هو منهجه، طريقه، ذلك هو النور، وإذا اتفقنا على خير لا يمكن أن نختلف، لا يمكن أن نجد اختلافاً بين أناس في قلوبهم الخير، ورغبتهم إلى الخير، وعملهم، الخير، لا يمكن أن يختلفوا، ولا يمكن أن يكون الصراع والشقاء إلا على تحقيق أهواء النفس في الدنيا، هل عرفت الحكمة من استخدام الله سبحانه

وتعالى، ظلمات بالجمع وعدم استخدامه لكلمة أنوار، لأن هناك نوراً واحداً هو نور الله سبحانه وتعالى.[1]

**الود، والمعروف:**

يقول تعالى: ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ** ﴾ . (سورة المجادلة: الآية 22)

ويقول تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ . (سورة لقمان: الآية 15)

يأتي المستشرقون، وكل من يحاول التشكيك في هذا الدين، يقولون ما هذا في الآية الأولى، الله سبحانه وتعالى ينهانا عن أن نود من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءنا، وفي الآية الثانية في سورة لقمان يقول: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ .

إذن في الآية الأولى يقول لا تودهم، وفي الآية الثانية يقول وصاحبهما معروفاً، كيف يمكن أن يستقيم أمران مختلفان في نفس الشيء.

نقول إنه ليس هناك أي اختلاف، ولكنك لا تفهم دقة تعبير القرآن الكريم، واللفظ في القرآن الكريم، المعروف يفعله الرجل لمن يحبه بقلبه، ومن لا يحب، وذلك أنك يمكن أن تسير في

---

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن، ص 61/1.

الطريق فتجد إنساناً لا تعرفه، ولا تربطك به أي علاقة، ولكنك تجده في مأزق فتسدي إليه معروفاً لتنقذه، كأن يكون قد فقد حافظة نقوده مثلاً فتعطيه مبلغاً من المال ليصل إلى منزله أو تقدم له معونة قد يكون جائعاً فتعطيه ثمن الطعام، أنت هنا تفعل معروفاً عسى الله أن يجزيك عنه، ولكن لا يربطك بالإنسان الآخر أي صلة، هذا هو المعروف، ولكن المودة مكانها القلب، هي في القلب، أنت لا تود إلا من تحب، لا تريد أن تجلس أو تعيش إلا مع من تحب، المعروف لا يمس القلب، ولكن المودة تمس القلب، القلب في المودة يكون مع الشخص، والقلب في المعروف لا يكون معه، وإذا كان القلب مع إنسان غير مؤمن فهو قلب غير مؤمن، والله لا يجعل لك قلبين، في صدرك، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾** . (سورة الأحزاب: الآية 4)، إنما امتداد المعروف هو رضاء الله سبحانه وتعالى.

نأتي بعد ذلك إلى الآية الكريمة، الله سبحانه وتعالى يقول في سورة المجادلة: **﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** . (سورة المجادلة: الآية 22)، هنا استخدام الله سبحانه وتعالى كلمة الود و كلمة الود هي التي تمس القلب، هنا لا تجد مثلاً إنساناً مؤمناً يحب إنساناً يحارب الله ورسوله، حتى ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم، الحب من داخل القلب، من داخل النفس، ثم يأتي الله سبحانه وتعالى في مسألة الوالدين، وينهانا إن حاولا أن يمسا الإيمان في القلب أن نستخدم العنف ضدهما، أو أن نفعل أي شيء، وهم في هذه الحالة يكونون في سن كبيرة، ضعفاء، اقتربوا من نهاية العمر، هؤلاء الذين قدموا لنا

المعروف بأنهم قاموا بتربيتنا والسهر علينا ، يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نحتفظ لهم بالود إن كانوا مؤمنين، وبالحب الكبير، وإذا حاولوا أن يدخلوا الشرك إلى قلوبنا ، أو حاولوا أن يجعلونا نشرك بالله سبحانه وتعالى يطالبنا بألا نطيعهما ، ولكن نصاحبهما في الدنيا معروفاً ، أدب القرآن الكريم ، نفعل ذلك ارضاءً لله سبحانه وتعالى ، وإرضاء للجميل، ولكن القلب لا يودهم، المعروف لمن تحبه ومن لا تحبه، أما المودة فلمن تحب فقط، أنت حين تسدي لهما معروفاً ، أي تعاملهما معاملة حسنة، ولكن ليس بقلبك، لأنهما يحاولان أن يدفعاك للشرك، تفعل ذلك ارضاء لله سبحانه وتعالى الذي يأبي ألا يكون رحيماً حتى مع من يعصيه، والذي ينهانا عن أن نقابل الإحسان بالإساءة، والمعروف شيء والود شيء آخر تماماً ، أين هو التناقض الموجود، هذه حالة وهذه حالة أخرى، قلب مع الله لا يدخل فيه كافر، ولا من يحاول أن يشرك به، أما المعروف الذي أُسديه إلى والدي فأمرني الله به، رحمة بهما كما ربياني صغيراً ، إذ أن مناقشة الإيمان بين الابن ووالديه لا تتم إلا إذا بلغ الابن مرتبة الرجولة، وفي هذه الحالة يكون الأم والأب قد بلغا مرحلة الكهولة، وعليَّ أن أعاملهما بالمعروف رداً للجميل، وإرضاء لله سبحانه وتعالى الذي لا يقبل الجحود لكن المعروف ليس بقلبي، وهذا مختلف تماماً عن ذلك. [1]

**ونستمر مع شبهات المستشرقين:**

يقول تعالى: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ . (سورة النحل: الآية 1)

---

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن، 71/1 .

كيف يمكن أن يقول الله سبحانه وتعالى ﴿أَتَى﴾ ثم يقول لا تستعجلوه، أتي فعل ماض، لأنه حدث، ولا تستعجلوه مستقبل، كيف يمضي هذا مع ذلك، نقول لهم أنت حين تتحدث عن الله سبحانه وتعالى، فيجب أن تضع في عقلك وذهنك وتفكيرك أن الله ليس كمثله شيء، أنت لك قوة ، ولله قوة، ولكن هل قوتك كقوة الله سبحانه وتعالى، أنت لك قدرة، ولكن هل قدرتك كقدرة الله سبحانه وتعالى، أنت تعيش في الزمن، والله سبحانه وتعالى لا زمن عنده، إنه منزه عن الزمن، أتى هذه في علم الله سبحانه وتعالى، حدث ومتى قال الله سبحانه وتعالى أتى فقد حدث وتم، وانتهى في علم الله سبحانه وتعالى، في علم اليقين، ولكن الأشياء تخرج من علم الله سبحانه وتعالى إلى علم البشر، تخرج بكلمة كن، الله سبحانه وتعالى حين يريد أن ينقل شيئاً من علمه سبحانه وتعالى إلى علم الإنسان فإن كلمة ﴿كن﴾ تكون الأمر الذي يحمل التنفيذ الله سبحانه وتعالى عنده علم الساعة ، وما دام قد تقرر، فليست هناك قوة في هذه الدنيا تستطيع أن تمنع حدوثه، إنه لا محالة، فلا تطلبوه بكلمة كن وأنتم في عجلة، لماذا ؟ لأن المؤمن الحقيقي إذا كان يخشى شيئاً فإنه يخشى يوم الساعة، ويوم الحساب، وإذا كان يخشى شيئاً يخشى عدل الله سبحانه وتعالى الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . (سورة الكهف: الآية 49)، الصغيرة قبل الكبيرة، وإذا كان لا يترك شيئاً صغيراً فماذا يفعل في الكبائر، الإنسان المؤمن يخاف يوم الحساب، ويخشاه مهما كان إيمانه إنه يرتعد من هول ذلك اليوم، أما الإنسان الكافر المتحدي فإنه هو الذي عن جهل وعن عدم إدراك، لا يعرف معنى الآخرة، ولا معنى

الحساب، ومن هنا فهو يستعجل، يريد أن يصل إلى الآخرة، ولو علم ما فيها، وما ينتظره فيها لما ذكرها على لسانه، فحينما يقول الله تعالى : ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ**﴾ أي أن الساعة تقررت وانتهى أمرها، ثم الأمر فلا تستعجلوه، لا تعجلوا يوم الحساب، إنكم تجهلون ما فيه من أهوال، إذن فهي بالنسبة لله تَم وانتهى، ولكنه بالنسبة لي أنا مستقبل، فليس هناك أي تناقض بين استخدام الماضي والمستقبل، لأن أتى أمر الله في علم الله سبحانه وتعالى، ولكنه في علمي أنا، وفي إدراكي أنا، وحتى يصل إليَّ أنا لا يزال مستقبلاً حينما يقول الله سبحانه وتعالى كلمة ﴿**كن**﴾ وينفخ في الصور، وهل يملك الإنسان أن يمنع الله سبحانه وتعالى من تنفيذ أمر قدره لا قدرة فوق قدرة الله من الذي يمنع أمر الله يأتي ما دام قد قال ﴿**أتى**﴾، أنت لا تملك مقومات الغد، ولكن الذي يملك مقومات الغد هو الله سبحانه وتعالى، أتى إذن فقد تم فعلاً، ولكنه محجوب عني، لذلك قال تعالى: ﴿**فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾ .[1]

**ونستمر مع شبهات المستشرقين:**

يقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾ . (سورة الفيل: الآية 1)

بعض المستشرقين يقول هذا قصور في التعبير ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ هل رأى محمد عليه السلام عام الفيل، لقد ولد في عام الفيل، إنه لم يره، لو قال الله سبحانه وتعالى ألم تعلم لقلنا علم عن غيره، فالعلم قد تحصل عليه أنت، وقد تحصل عليه عن طريق من علمه من غيرك من البشر، ولكن

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن، 73/1.

الله سبحانه وتعالى حين يقول: ﴿أَلَمْ تَر﴾، يقول المستشرقون في هذا: إن التعبير قد خان محمداً ﷺ، فهو لم ير وقوله ﴿ألم تر﴾ مجافاة لحقيقة واقعة ثابتة ولكن الذي فات هؤلاء أن هذه قضية من قضايا الإيمان، ما يقول الله سبحانه وتعالى للإنسان المؤمن، هو رؤيا صادقة، والقرآن هو كلام متعبد بتلاوته لا يتغير ولا يتبدل، فعندما يقول الله ﴿أَلَمْ تَر﴾ معناها أن الرؤيا مستمرة لكل مؤمن بالله، ذلك لأن، الرؤيا هنا رؤيا معجزة كبرى، والله يريدها أن تثبت في عقولنا، كما تثبت الرؤيا تماماً، لماذا؟ لأن قضية الإيمان الكبرى هنا هي أن الله سبحانه وتعالى في معجزة قد خلق من الضعف قوة، وهذه لا يستطيع أن يفعلها إلا الله.

أنا أستطيع أن أعين شخصاً ضعيفاً، على أن يحمل حملاً ثقيلاً، بأن أحمل عنه هذا الحمل، ولكني لا أستطيع ولا أقدر أن أجعل هذا الرجل الضعيف قوياً، بحيث يقوم هو بنفسه بحمل هذا الحمل الثقيل، ولكن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يستطيع أن يخلق من هذا الضعيف الذي لا حول له ولا قوة، قوياً يهزم أقوى أقوياء العالم، وأقوى ملوك الدنيا، وهو إنسان ضعيف لا حول له ولا قوة، هذه هي أحدي معجزات الله، ومن هنا فإن الذي حدث في عام الفيل، أن طيراً أبابيل تمسك في مناقيرها حجارة صغيرة جاءت، وهزمت جيشاً من الأفيال، أقوى جيش في العالم، في ذلك الوقت، ولو أنني عقلاً ومنطقاً قلت لإنسان أن طيراً . . أو مجموعة من العصافير قد هزمت فيلاً لسخر مني، ذلك أن الفيل يستطيع أن يهلك مئات الطيور دون أن يُصاب بأذى بل أن الطير يقف على ظهر الفيل، فلا يحس الفيل به، فكيف يكون هذا

الطير يأتي وكونه يفني هذا الجيش العظيم، فقد استخدم الله أضعف مخلوقاته، ليهزم خلقاً من أقوى مخلوقاته، وهذه معجزة لا يمكن أن تتم إلا على يد الله سبحانه وتعالى.

بل إن بعض العلماء قد أخذ يشكك في هذه الناحية من كثرة ما تناولها المستشرقون، فادعى أو قال بعضهم أن الذي فتك بجيش أبرهة، هو الأمراض والجراثيم التي سلطها الله على هذا الجيش، وأنا لا أتفق مع هذا المعنى، فعام الفيل حدث عند مولد الرسول ﷺ ، ورسول الله بعث في الأربعين من عمره، أي أنه في ذلك الوقت كان هناك من هم في سن الخامسة والخمسين، والستين، والخامسة والستين، والسبعين ومن هم فوق ذلك، ممن رأوا عام الفيل، رأي العين، ولو أنه لم تأت هذه الطير، ولو أنها لم تلق بحجارة من سجيل ولو أنها لم تجعل هذا الجيش عصفاً مأكولا، وهو ما يحتاج إلى أسابيع بالنسبة لأي جسم حيواني، أو بشري لكان هؤلاء الناس قد قاموا وقالوا أن ما يقوله محمد غير صحيح، لقد شهدنا عام الفيل، ولم نر طيراً تأتي، ولم نرها تفني أعظم جيش بأحجار صغيرة تحملها في مناقيرها، ولم نر هذا الجيش يتحول إلى عصف مأكول في لحظات فلأن أحداً لم يستطيع أن يكذب هذه الواقعة وقت نزولها لمن رأوها، دليل على أنها حدثت كما رويت في القرآن الكريم، وليست محتاجة إلى تفسير، لأن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، ومن هنا فإنه في القضايا الإيمانية يكون كلام الله سبحانه وتعالى هو الرؤية الدائمة التي تتمثل أمامنا، والتي تتكرر باستمرار في الحياة، فكم من ضعيف نصره الله على أقوى الأقوياء، وكم من قوي خذله الله وجعل نهايته على يد أضعف الضعفاء، كلام الله سبحانه وتعالى بالنسبة للمؤمن هو يقيني، بمثابة الرؤية الدائمة، ولذلك قال الله

سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ولم يقل رأيت ، أو علمت، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ حاضر متجدد مستمر، يحدث وسيحدث على مر السنين إلى يوم الساعة، إنه قضية الحق ينصر الله المظلوم على الظالم، ومهما كان ضعف المظلوم، تلك قضية إيمانية كبرى يجب أن تراها في قلبك إذا كنت مؤمناً، وتراها رؤية اليقين ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذا هو الإيمان، وهذه هي الحكمة في استخدام كلمة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تجعل المؤمن يحس بقوة الله وقدرة الله في كل ما يحدث، بالنسبة للحق والباطل، وقضايا الحق، وقضايا الباطل، حتى قيام الساعة. [1]

وتستمر معجزات القرآن الكريم التي لا نهاية لها، حتى كأننا نجد في كل آية معجزة، وما بين كل آية وآية معجزة، دالة على جلال وعظيم منزلة من أنزله.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. (سورة المجادلة: الآية 8)

قال ما يدور في أنفس غير المؤمنين، فهل هناك أكبر من هذا تحدياً لحجاب المكان، إنه تحد فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التي وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان، بل إن التحدي ظهر فيما يحرص غير المؤمنين على إخفائه، فالإنسان حين يحرص على إخفاء شيء، ويكون غير مؤمن، يأتي إليك فيحلف لك بأن هذا صحيح، وهو غير صحيح في نفسه، ولكن حرصه على أن يخفيه على الناس يجعله يؤكد أنه صحيح بالحلف.

---

[1] . الشعراوي: معجزة القرآن الكريم، ص 76/1.

ويأتي الله سبحانه وتعالى فيجعل القرآن يمزق نفوس هؤلاء الناس ويظهر ما فيها إمعاناً في التحدي.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾. (سورة التوبة: الآية 42)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾. (سورة التوبة: الآية 96)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾. (سورة المجادلة: الآية 14)

ويقول سبحانه وتعالى إمعاناً في كشفه ما في نفوس أولئك الذين يكذبون بهذا الدين: ﴿ **وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** ﴾. (سورة محمد: الآية 30)

وهكذا يأتي الله سبحانه وتعالى ليقول للنبي عن المنافقين، إنك تعرفهم في لحن القول، أي أنهم يحلفون ويلوون ألسنتهم بالقرآن وهذا أمر اختياري، أي أنهم يستطيعون أن يفعلوه ويستطيعون أن يمتنعوا عن فعله، والله عندما ينزل هذه الآية يكون الفعل لم يتم، أي أنهم يفاجئون بالآية قبل أن يقوموا بما ينوون القيام به، ومن هنا يكون لهم حرية الاختيار.

ومع وجود حرية الاختيار، فإنهم يأتون ليقوموا بما قاله الله في القرآن الكريم دون أن يستطيعوا أن يتراجعوا عن ذلك، بل إن الله سبحانه تعالى يدخل إلى نفوسهم ليخرج من الأسرار ما يخفونه داخل صدورهم ولا يقولونه لأحد، **فالسر نوعان:**

1 . سر بيني وبينك أي لا يعلمه إلا أنا وأنت كصديقين أو حليفين.

2 . سر أخفيه في صدري ولا يعلمه أحد في هذه الدنيا .

ويأتي الله سبحانه وتعالى إلى السر الذي أُخفيه في صدري ولا يعلمه أحد، فيفضحه أو يعلنه وأنا في هذه الحالة أملك كل وسائل التكذيب، لأنه لا أحد يعرف هذا السر غيري، ومع ذلك أقف مبهوتاً من أن القرآن الكريم قد أظهر ما في نفسي، وما أخفيته، فلا أستطيع أن أكذب، مع أنني جئت لأقول الكذب، أي أن المنافقين الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى جاءوا ليكذبوا، ولكن عندما فضح الله سرهم، بهتوا فلم تستطع ألسنتهم أن تنطق بالكذب، بل وأكثر من ذلك قال الله سبحانه وتعالى أنهم سيقولون كذا، وسيفعلون كذا، والسين هنا تدل على أن الفعل لم يتم، ومع ذلك لم يستطع المنافقون أن يمنعوا أنفسهم من أن يقولوا ما أعلن الله سبحانه وتعالى أنهم سيقولونه، مع أن في امتناعهم عن القول هدماً لقضية الدين والإيمان.

إذن فالقرآن هنا جاء لأناس غير مؤمنين، وهتك حاجز النفس بالنسبة لهم فأخرج ما في صدورهم وعراهم أمام الناس جميعاً، وفضح كذبهم ونشر على الدنيا ما في صدورهم من كذب ورياء ونفاق، أي أنه أهانهم أمام المجتمع كله، ولو كان هذا غير صحيح لقال هؤلاء القوم أننا لم نكذب، إننا لصادقون، والكلام الذي يدعي محمد أنه يأتي من عند الله كلام غير صحيح، ولكن هؤلاء بهتوا من أن القرآن مزق حجاب نفوسهم فلم يستطيعوا رداً، وبهتوا لأن الله أخرج ما في صدورهم وعراهم أما الناس جميعاً، فلم يفعلوا شيئاً أكثر من أنهم تواروا بعد أن افتضحت حقيقتهم، ولو كان هذا القرآن من عند غير الله لما استطاع أن يصل إلى داخل

النفس البشرية، وهي من أدق أسرار الدنيا التي لم يستطيع علم أن يصل إليها حتى الآن، فإذا بالقرآن يأتي متحدياً بكلام متعبد به إلى يوم القيامة ، لا يستطيع أحد تبديل حرف فيه ليكشف ما في داخل النفس، ويعري ما نكتمه عن الناس جميعاً، وما هي حريصة على كتمانه، حتى أنها تحلف باسم الله كذباً ليصدقها الناس، يأتي القرآن فيمزق هذا كله، أتريد اعجازاً أكثر من ذلك.

**القرآن يمزق حجاب المستقبل:**

ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل، كان لا بد أن يكون الحديث عن المستقبل على عدة مراحل، المرحلة المعاصرة لكي يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون وغير المؤمنين أنه الحق.

ومرحلة المستقبل البعيد لكي يعرف كل عصر من العصور التي ستأتي بعد نزول القرآن أن هذا هو كتاب الله الحق، ومن هنا كان التحدي بالنسبة للمعاصرين لأحداث قريبة، وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون، هنا أحب أن أنبه إلى شيء هام جداً هو استخدام حرف السين في القرآن، فحرف السين كما نعرف في اللغة العربية لا يستخدم إلا بالنسبة لأحداث المستقبل، والقرآن محفوظ ومتعبد به وبتلاوته، سيظل محفوظاً حتى يوم الساعة، ومعنى ذلك أنه لا يمكن تبديله أو تغيره أو إنكاره من أحد من المتعبدين به، بل إنه سيظل يتلى هكذا كما أُنزل، إذن فأنباء القرآن بأحداث مستقبله يسجل هذه الأحداث على قضية الإيمان نفسها

ويطعن الدين في صميمه، خصوصاً إذا تبين أن ما تنبأ به القرآن غير صحيح، ومن هنا فلا بد أن يكون قائل القرآن متأكد من أن هذا سيحدث في المستقبل، مَنْ مِن البشر يستطيع أن يتأكد ماذا سيحدث له بعد ساعة واحدة، فما بالك بعد أيام وسنوات.

الجواب: لا أحد، ذلك أن قدرة البشر في صنع الأحداث محدودة، فقد حجب عنهم الزمن، وحجب عنهم المكان، فلو قلت مثلاً: إنني سأبني عمارة في هذه البقعة بعد عام، أنا لا أضمن أنني سأعيش حتى الساعة القادمة، وبذلك لا أستطيع أن أحكم إذا كنت سأكون موجوداً هناك أم لا، هذه واحدة، ثانياً: قد تأتي الحكومة مثلاً وتبني مستشفى في هذا المكان، أو قد يقام في هذا المكان سوق أو شارع، إذن فأنا لا أستطيع أن أجزم في شيء مادي سيحدث بعد فترة زمنية محدودة، ولكن الذي يستطيع أن يقول هذا يقيناً هو الذي يملك القدرة، ومن هنا يستطيع أن يقول يقيناً أن هذا سيحدث بعد فترة من الزمن، والذي يملك ذلك هو الله سبحانه وتعالى، فإذا كان الحديث عما سيحدث بعد آلاف السنين، فإن ذلك فوق طاقة البشر جميعاً، ولقد أنبأ القرآن بما سيحدث بعد أعوام قليلة وبما سيحدث بعد آلاف السنين، فالذي قال هذا هو القادر العالم بأن ذلك سيحدث يقيناً، وهو الله سبحانه وتعالى، أنظر إلى قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ . (سورة القمر: الآية 45)

لقد نزلت سورة القمر هذه في مكة، والمسلمون قلة، وأذلة ، حتى أن عمر بن الخطاب قال: أي جمع هذا الذي سيهزم ونحن لا نستطيع أن نحمي أنفسنا، وهكذا يتنبأ القرآن بأن الإسلام سينتصر، في مكة، وأن هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة الإسلام في مكة

سيهزمون ويولون الأدبار، ويتنبأ بها حتى، والمسلمون قلة، وأذلة، لا يستطيعون حماية أنفسهم ، ويطلقها ، هو على يقين من أن الله الذي قالها سيحققه وبعد ذلك نجد عجباً ، الوليد ابن المغيرة العدو الألد للإسلام، والمشهور بكبريائه ومكابرته وعناده، يأتي القرآن ويقول: هذا الإنسان المكابر العنيد : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ 0(سورة القلم: الآية 16) . أي أنه سيقتل بضربة على أنفه، ويحدد موقع الضربة، وبعد ذلك يأتي في بدر فتراه قد رُسم على خرطومه أي ضرب على أنفه، من الذي يستطيع أن يحدد موقع الضربة ومكانها ، من الذي يستطيع أن يجزم ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة.

نأتي بعد ذلك إلى آية أخرى، الرسول عليه الصلاة والسلام يأتي فيقرأ: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾ . (سورة المسد: الآية 1 – 5) . هذا قرآن، وفي من، في عم الرسول، وفي من في عدو الإسلام، ألم يكن أبو لهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية؟ ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن، ضد هذا الدين، قالت له الآية يا أبا لهب أنت ستموت كافراً، ستموت مشركاً ، وستعذب في النار، وكان يكفي أن يذهب أبو لهب إلى أي جماعة من المسلمين ويقول أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يقولها نفاقاً ، ويقولها رياء يقولها يهدم بها الإسلام، لا ليدخل في الإسلام، يقولها ثم يقف وسط القوم يقول : إن محمداً قد أنبأكم أنني سأموت كافراً، وقال أن هذا الكلام مبلغ له من الله، وأنا أعلن إسلامي لأثبت لكم أن محمداً كاذب، لو كان أبو لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا،

ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبي لهب على الوصول إليه، بل بقى كافراً مشركاً، مات وهو كافر، ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافراً، أمراً ممكناً، لأن كثيراً من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب، وغيرهم، كانوا مشركين واسلموا، فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم ولو نفاقاً، وسيموت وهو كافر، المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو وتحداه في أمر اختياري، كان من الممكن أن يقوله، ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث، لماذا، لأن الذي قال هذا القرآن، يعلم أنه لن يأتي إلى عقل أبي لهب تفكير يكذب به القرآن، هل هناك إعجاز أكثر من هذا ؟

**وتحدٍ لغير العرب:**

انتقل بعد ذلك إلى النقطة الثانية، وهي ماذا حمل القرآن لغير العرب في عصره، ولغير العرب والدنيا كلها بعد عصره، أي ماذا حمل القرآن من أنباء نواميس الله في الأرض وقوانينه، التي كانت غيباً على البشرية كلها في عصره وبعد عصره؟، هنا الأمثلة كثيرة، والمجال لا يتسع لها كلها، ولكني سأحاول أن أبين عدداً منها فيما يختص بالإعجاز في عصر القرآن لغير العرب، لقد كانت هناك أمتان كبيرتان إمبراطوريتان بجانب الجزيرة العربية، هما الروم والفرس، الروم أمة مؤمنة، أهل كتاب، ولو أنهم لا يصدقون برسالة محمد إلا أن هناك عندهم إيماناً بوجود الله ، والقيم السماوية. والفرس كانوا أهل كفر وإلحاد في ذلك الوقت، لا يؤمنون بأي دين من الأديان، إذن فأيهما أقرب إلى قلب المؤمنين، الروم باعتبارهم أهل كتاب، وأيهما أقرب إلى قلب الملحدين والكفار، الفرس باعتبارهم مشركين وكفرة، قامت الحرب بين

الدولتين، فهُزم الروم وانتصر الفرس. وهنا فرح المشركون لأن الكفر قد انتصر، وحزن المؤمنون لأن نوعاً من الإيمان قد انهزم، هنا يتدخل الله سبحانه وتعالى ليزيل عن المؤمنين هذا الحزن، فيقول في كلام محفوظ متعبد بتلاوته لن يجرؤ ولن يستطيع أحد أن يغير فيه، فيقول: **﴿الم، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾** . (سورة الروم: الآية 1 – 5) .

**ثم يمضي القرآن ليمعن في التحدي:**

**﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 0**(سورة الروم: الآية 6)

ما هذا ؟ أيستطيع محمد ﷺ أن يتنبأ بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين، هل يستطيع قائد أن يتنبأ بمصير معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها ؟ فما بالك أن ذلك يأتي ويقول أنه بعد بضع سنين، ستحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر فيها الروم، هل أمن محمد ﷺ على نفسه على أن يعيش بضع سنين ليشهد هذه المعركة، ولقد وصل الأمر بأبي بكر رضي الله عنه، أنه راهن على صحة ما جاء به القرآن، إذن فقد أصبحت قضية إيمانية كبرى، هذا هو القرآن، كلام الله، وأساس الإيمان كله، يأتي ويخبر بحقيقة أرضيه قريبة ستحدث لغير العرب، ويقول الكفار إن القرآن كاذب، ويقول المؤمنون إن هذا صدق، ويحدث رهان بين أثنين.

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن المعركة لم تحدث بين الروم والفرس، أو لو أنه حدثت المعركة وهُزم فيها الروم، أكان بعد ذلك يصدق أي إنسان القرآن أو يؤمن بالدين الجديد، ثم إذا كان القرآن من عند محمد فما الذي يجعله يدخل في قضية غيبية كهذه، لم يطلب منه أحد الدخول فيها، أيضيع الدين من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد، ولم يتحده فيها إنسان، ولكن القائل هو الله، والفاعل هو الله، ومن هنا كان هذا الأمر الذي نزل في القرآن يقيناً سيحدث لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان ، وحجاب المكان، ولا أي حجاب وهو الذي يقول ما يفعل، ومن هنا حدثت الحرب، وانتصر الروم على الفرس فعلاً كما تنبأ القرآن.

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين في وقت نزوله، أي أنه لم يتحد العرب وحدهم، بل تحدى الكفار والمؤمنين من غير العرب، بأن أنبأهم بما سيحدث لهم قبل أن يحدث بسبع أو ثماني سنوات، تحداهم بهذا علهم يؤمنون.

**يقول الدكتور: زغلول النجار:** هذه الآية الكريمة استخدمها علماء التفسير في الاستشهاد على الإعجاز التنبؤي للقرآن الكريم، لأنها تخبر عن معركة لم تكن قد قامت بين الفرس والروم، وتخبر بأنها ستحدث بعد بضع سنوات "أقل قليلاً من عشر سنوات"، فهذا إعجاز مستقبلي أو تنبؤي للقرآن الكريم، وحدثت المعركة بالفعل كما أخبر القرآن الكريم، ففي عام 613م هزمت جيوش الفرس جيش الإمبراطورية الرومانية الشرقية على أرض فلسطين، واحتلت القوات الفارسية القدس، ودمشق، ثم مصر بعد ذلك بسنة واحدة أي في سنة 614م، وفي السنة الثالثة 615م غزت قوات الفرس أرض الأناضول وهددت القسطنطينية نفسها في سنة

616م أي في السنة السابعة بعد بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ثم انقلبت موازين القوى بعد ذلك بثماني سنوات حين هزمت القوات الرومانية جيوش الفرس، ودخلت الأراضي الفارسية 624م وهي نفس السنة التي انتصر فيها المسلمون في معركة بدر الكبرى .

لكن من الناحية العلمية لفظ "أدنى الأرض" في هذه الآية معجز ومبهر للغاية، لأن أدنى في اللغة تأتي بمعنى أقرب، كما تأتي بمعنى أخفض، قال المفسرون: **"أدنى الأرض"** هو أقرب الأرض من الجزيرة العربية، والمعركة وقعت في أرض فلسطين التي ندعو الله سبحانه وتعالى أن يحررها إن شاء الله قريباً من دنس اليهود الغاصبين، وهم من ركازة الكفر في الأرض وحثالات الشعوب ونفايات الأمم.

**فقالوا**: إن المعركة وقعت في أرض فلسطين وهي أقرب أرض إلى الجزيرة العربية "أدنى الأرض" هنا تعني أقرب الأرض. (1)

ثم تأتي العلوم الجيولوجية لتؤكد على أن حوض البحر الميت الذي تمت حوله المعركة، وهو أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا على الإطلاق، إذ يبلغ منسوبه حوالي الأربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر، وهو أدنى بقعة على سطح اليابسة انخفاضا على الإطلاق.

وحوض البحر الميت هو المنطقة التي سكنها قوم لوط الذين عاقبهم الله تعالى بالخسف فيها، فلا يوجد على سطح اليابسة نقطة أخفض من حوض البحر الميت. ومن هنا جاء وصف القرآن الكريم للمنطقة والتي وقعت المعركة بين الفرس والروم في سنة 624م بهذه الدقة العلمية المطلقة **"أدنى الأرض"** .

والقرآن الكريم يصفها هذا الوصف المُبهر **"في أدنى الأرض"** أي أكثر أجزاء الأرض انخفاضا، ويأتي العلم ليؤكد على هذه الحقيقة تأكيداً لا يبقى معه شك، فهذه آية وصفية مبهرة لحقيقة كونية قائمة يستطيع العلماء أن يقتبسوها ويستقرؤوها ويلمسوها بأيديهم، فتشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، وتشهد للرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم بأنه كان موصولاً بالوحي ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض. [1]

يقول تعالى: ﴿ **إِرَمَ ذَاتِ العِمَاد، الَتِي لمْ يُخلَقْ مِثلُهَا فِي البِلادْ** ﴾ . (سورة الفجر الآية 7-8)

**ويقول تعالى: ﴿ فَأَما عَاد فاسْتَكبَروا فِي الأَرْض بِغَيرِ الحَق وقَالُوا مَنْ أشدُّ مِنَّا قُوَّة أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الذِي خَلَقَهُمْ هُو أَشدُّ مِنْهُمْ قُوَّة وكَانُوا بآيَاتِنَا يَجْحَدُونْ ﴾** . (سورة فصلت الآية 15).

كان علماء التاريخ يشككون في حقيقة "قوم عاد" لأنهم لم يجدوا لهم أثراً على الإطلاق، وفي رحلة من رحلات الفضاء زوّد مكّوك الفضاء بجهاز رادار له قدرة اختراق التربة إلى عشرة أمتار، وحين مرّ المكوك بصحراء الربع الخالي، صوَّر مجرى لنهرين جافين، يندفع أحدهما من الغرب إلى الشرق، والآخر من الجنوب إلى الشمال، فانبهر الأمريكيون، لأن الربع الخالي الآن من أكثر أجزاء الأرض جفافاً وقحولة، ومع ذلك كانت به أنهار جارية في الماضي غير البعيد . وفي رحلة ثانية زودوا المكوك بجهاز رادار له قدرة اختراق أكبر، فصوَّر مجرى النهرين وأنهما يصبّان في بحيرة قطرها يزيد على أربعين كيلو متراً في جنوب شرق الربع الخالي، وصوّر المكوك بين مصبي النهرين وعلى ضفاف البحيرة عمراناً لا تعرف البشرية نظيراً له في ضخامته، فجمعوا

[1] النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 69/1

علماء التاريخ وعلماء الآثار وعلماء الأديان، وقالوا ماذا يمكن أن يكون هذا العمران؟ فأجمعوا على أنه قصور إرم التي وصفها القرآن الكريم وقالوا في تقريرهم: إن البشرية لم تعرف في تاريخها الطويل عمراناً في ضخامة هذا العمران، واكتشفوا حينما بدأوا في إزالة الرمال عن هذه المدينة قلعة ثمانية الأضلاع على أسوار المدينة، مقامة على أعمدة ضخمة عديدة يصفها ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿ **التي لم يُخْلَقْ مِثْلُها فِي البِلادْ** ﴾، وذُكر التقرير أن هذه الحضارة التي لم يكن يُدانيها في زمانها حضارة أخرى قد طمرتها في عاصفة غير عادية، والقرآن الكريم الذي نزل قبل ألف وأربعمائة سنة يقول الحق تبارك وتعالى فيه: ﴿ **وَفِي عَادٍ إذْ أَرْسَلْنا عَليهِمْ الرِّيحِ العَقِيمْ، مَا تَذَرْ مِنْ شَيء أَتَت عَليه إلاَّ جَعَلَتْه كالرَّمِيمْ** ﴾، وعاد كانت مساكنهم في الأحقاف في شمال حضرموت وعمان، والأحقاف الآن هي رمال هشة شديدة النعومة يقال أنها تبتلع كل ما يقع عليها وفوقها، ويسمونها منطقة الرمال المتحركة بالربع الخالي من أرض الجزيرة العربية.

وقوم عاد أول من عبدوا الأصنام بعد الطوفان وكانت أًصنامهم ثلاثة: صمدا، وصمودا، وهرا . وكان قوم عاد من المترفين في الحياة الدنيا، أنعم الله عليهم بنعمة الصحة والقوة وكثرة المال، قال تعالى: ﴿ **وأمَّا عَادٌ فَأهْلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عَاتِية، سَخَّرَهَا عَلَيهْمْ سَبْعَ لَيَالٍ وثَمَانِيةَ أيَامٍ حُسُوماً فَتَرى القَومَ فِيها صَرْعَى كأَنَّهم أَعْجازُ نَخَلٍ خَاوية فَهَلْ تَرى لَهم مِنْ بَاقِية** ﴾، والريح الصرصر هي شديدة البرد وقيل شديدة الصوت ولا يمنع أن يجتمع الأمران البرد والصوت الشديد، وعاتية : لا يقدرون على ردّها، كانت تحمل الواحد منهم فترفعه في الهواء ثم تنكّسهُ

على أم رأسه شدخه فيبقى جثة بلا رأس، وهكذا أدت الريح ما أُمرت به، فدمرت كل شيء أما هم، وأما أنعامهم، وأما أشياؤهم، وأما متاعهم فلم يعد شيء منه يُرى إلا هي المساكن قائمة، خاوية موحشة "**كَذلك نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينْ**" وهي سنة جارية وقدر مطرد في المجرمين .

إن ما كشفه علماء الآثار في بعثاتهم المتعددة من آثار متنوعة، قصور وطرق، بهرت عقول الخاصة والعامة من الناس. فسبحان الله الذي علم محمداً مالم يكن يعلم هو ولا قومه.

إذا انتهينا إلى هذا نكون قد أثبتنا أن القرآن تحدى العرب وغير العرب في وقت نزوله، ولكننا قلنا أن القرآن ليس له زمان، وليس له مكان، وأنه سيظل حتى قيام الساعة، فكيف يمكن أن يتحدى الأجيال القادمة؟

لا بد أن يكون للقرآن معجزة دائمة، أن يعطي عطاء لكل جيل، لم يعطه للأجيال السابقة.

وقد كان، جاء في القرآن أشياء لو أن أحداً أخبر بها وقت نزولها لاتهم الذين قالوها بالجنون، ولكنها جاءت للعصور القادمة، جاءت لتتحدى عبر الأجيال إلى يومنا ، والى الأيام القادمة. [1]

إذن فالقرآن عندما نزل كان له أكثر من معجزة، تحدى العرب في بلاغتهم، ثم مزق حواجز الغيب الثلاثة:

1 . الشعراوي: معجزة القرآن الكريم، 1 / 105 – 112 .

1. مزق حجاب الزمن الماضي وروى لنا بالتفاصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم وتحدى فيها.

2. ومزق حجاب المكان وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار والذين يحاربون الإسلام وما يبيتونه للمسلمين، وروى لنا ما يدور داخل نفوسهم، ولم تنطق به شفاههم، ولم يجرؤ واحد منهم أن يكذب القرآن ويقول لم تهمس نفسي بهذا.

3. ثم مزق حجاب المستقبل القريب، وتنبأ بأحداث ستقع بعد شهور وبأحداث ستقع بعد سنوات وتحدى وحدث كل ما أنبأ به القرآن.

ثم بعد ذلك مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد، ليعطي الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله، ولكن القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلة جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين، وانصرف آخرون، ذلك لأن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت، ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن إيمانه، ويستمر الإعجاز، جاء القرآن بنهايات النظريات، بقمة نواميس الكون، ولم ينتبهوا إلى مدلولها الحقيقي العلمي، وإذا تُليت بعد ذلك على الأجيال القادمة عرفوا ما فيها من إعجاز، وقالوا إنَّ هذا الكلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين، إذن فلا بد أن هذا القرآن حق من عند الله، وأن قائله هو الله الحق الخالق.

بقيت نقطة، هل يأتي هذا في الأحكام؟ الجواب: لا، إن أحكام الدين افعل ولا تفعل، نزلت كاملة واضحة لا لبس فيها، ولا إضافة عليها ولا تبديل ولا غموض، منهج الله كامل،

فسرته الأحاديث القُدسية والأحاديث النبوية وشرح وفسر في عهد النبي ﷺ تفسيراً كاملاً، بحيث أصبح واضحاً لكل إنسان يريد أن يعبد الله، وأن يعيش في الأرض طبقاً لقوانين الله ، افعل ولا تفعل، جاءت واضحة وكملت وفسرت في عهد الرسالة، وأصبح الحلال بيناً والحرام بيناً والدين بيناً .

أما آيات الله في الكون، فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيراً كاملاً في عهد الرسول ﷺ ، حتى لا تكون ملزمة للمسلمين، لماذا ؟ لأن لهذا عطاء يتجدد في كل الأجيال، وهذه الآيات هي التي تحدثنا عن بعضها ، لقد تحدى القرآن العرب بالإعجاز في اللغة، طلب أن يأتوا بمثل القرآن، ثم زاد في التحدي وقال بسورة من مثله، ولكن التحدي للعالم لا يمكن أن يكون باللغة، فاللغات مختلفة، إذن بماذا تحداهم، بالعلم ، وكان التحدي مطلقاً إلى يوم الدين قال : أنتم جميعاً لن تستطيعوا أن تخلقوا شيئاً ، حتى نهاية العالم، ثم تحداهم بخلق ماذا، بخلق كون كالذي خلقه ؟، لا بخلق مجموعة شمسية من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة في الكون، لا، بخلق شمس أو قمر أو نجم، لا ، إذن تحداهم بخلق الكرة الأرضية مثلاً، أبداً، لا بد أنه تحداهم بخلق الإنسان، أبداً، لقد تحداهم أن يخلقوا ذباباً ، ففي سورة الحج قال تعالى:

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾** . (سورة الحج: الآية 73)0

وهكذا تحدى الله البشرية كلها إلى يوم القيامة، بأن يخلقوا ذبابة، وقال إن العلم الذي ستعبدونه من دون الله والذي ستؤمنون به، هذا العلم وكل القائمين عليه لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ** ﴾ ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ **ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾ وأضاف: **(مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)** .

والعجيب أن الإنسان قد وصل إلى القمر ووصل إلى المريخ، وقد يستكشف أبعد من ذلك، ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن، وهو طلب ضعيف جداً بالنسبة لقدرة الله سبحانه وتعالى في خلق ملايين الكائنات ولذلك قال تعالى: ﴿ **ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾، ثم أضاف سبحانه وتعالى: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾، **أي أن قدرة الله سبحانه وتعالى تفوق كل الحدود والتصورات التي قد ترد على خواطركم، وأنتم لا تعرفون قدرة الله.** [1]

ومن ضمن اعجازات القرآن المتلائمة مع روح العصر، اهتمامه بالعلاج والطب النفسي والاجتماعي، حيث اعتنى بالبيئة والحالة الاجتماعية للفرد والأسرة، ليتكون مجتمع خال من الجهل والمرض والفقر والخوف والقلق، فكل هذه الأمراض الاجتماعية والنفسية يجب القضاء

1 . الشعراوي: معجزة القرآن الكريم، ص122/1 .

عليها بالقدر المستطاع، وكذلك يعني القرآن بالنفس فيطمئنها ويخلصها من صراعها وضياعها .

يقول تعالى: **﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** . (سورة الروم: الآية 21)

من أبرز دواعي السكن والأنس والمودة ما شرعه الله في كتابه وجعله آية من آياته، ألا وهو الزواج، هذا بالنسبة لتكوين وبناء الأسرة، أسرة سعيدة هنيئة، إطارها ، المودة والرحمة، فهي أساس المجتمع، وبها يكون التكاثر والتناسل، ولذلك فقد أكد الله العلاقة التي يجب أن تكون بين الأبناء ووالديهم، يقول تعالى:

**﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾** . (سورة الإسراء: الآية 23)

ولقد اهتم الطب الاجتماعي بسلوك الفرد مع غيره، والأسرة مع غيرها ، فشرع لهم التحية فيما بينهم، ودعاهم إلى التعاون على البر والتقوى، قال تعالى:

**﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾** . (سورة النساء: الآية 6) . وقال تعالى: **﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ 0** (سورة المائدة: الآية 2) . والآيات التي تُعد أُصولاً للسلوك بين الأفراد كثيرة جداً، ولعل جماع ذلك قوله تعالى:

**﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾** 0 (سورة النحل: الآية 90) .

أما الطب النفسي فقد احتل مكانة مرموقة في هذا العصر، حيث يُعد أصلاً لكافة فروع الطب البشري، وقد كثرت عيادات الطب النفسي كثرة هائلة، لذلك نجد أن القرآن الكريم ركز على هذا النوع من الطب النفسي وذلك بفتح آفاق أمام هذه النفس، من ذلك شمول رحمته للتائبين، قال تعالى:

**﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾** 0 (سورة الزمر: الآية 53) .

وقال تعالى: **﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾** 0(سورة النساء: الآية 110) .

ونجد أن القرآن يقضي على مصدر القلق والاهتمام بأمور الغيب، قال تعالى: **﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾** 0(سورة لقمان: الآية 34) .

ومعلوم أن للحزن أثراً على الأعصاب أسوأ من أثر الأمراض، فاضطرابات الأعصاب وعدم الترويح عن النفس عند الصدمات يسبب ضغط الدم، ويجلب مرض السكري، ويتلف الأعصاب، فكم من شخص ساوره اليأس فقاده إلى الحزن، وأصيب بمرض السكري وارتفع ضغط دمه إلى درجة الخطر، وقد عالج الإسلام هذه الانفعالات النفسية بدعوة الإنسان إلى

الاطمئنان بربه وعدم الحزن ونبذ القلق، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ . (سورة الرعد: الآية 28)

وجاء الطب النفسي الحديث مؤيداً ذلك ومبشراً بمبادئ الدين، ينزع من النفس قلقها، ويزيل عنها توترها، فما أسهل انهزام الرجل إذا ضعف إيمانه، وما أعظم انتصاره إذا كان مطمئناً بالله، فالمرء المتدين لا يعاني مرضاً نفسياً .

كيف ذلك وكل ما يوصي به الأطباء في هذا الشأن من الاعتماد على الله والصبر لا يطاول إحدى الآيات البينات، التي يزخر بها القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ 0(سورة الأحزاب: الآية 3) . ومنها: ﴿ **أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ** ﴾ 0(سورة الشورى: الآية 53) . ومنها قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء** ﴾ 0 (سورة العنكبوت: الآية 62) . ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ** ﴾ 0 (سورة النحل: الآية 127) . ومنها: ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا** ﴾ 0(سورة فاطر: الآية 2) . وقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا** ﴾ 0(سورة التوبة: الآية 51) . وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا** ﴾ 0(سورة هود: الآية 6) . ومنها قوله تعالى: ﴿ **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ 0 (سورة الطلاق: الآية 7) .

وبنظرة إلى الدول الغربية وأمريكا نجد مستشفيات الأمراض العصبية تنافس في عددها مستشفيات الإمراض العضوية وإن نسبة الانتحار في هذه البلدان في ازدياد مطرد على

الرغم من الترف المادي الذي يعيشونه، مما يدل على حاجة هذه الشعوب إلى الجانب الروحي الذي يفتقدونه.

وفي المقابل نجد أن هذه النسبة لا تكاد تُذكر في الشعوب التي تدين بالإسلام وهكذا فإن العلاج الوحيد لكثير من الإمراض النفسية والعصبية هو الفرار والالتجاء إلى الله تعالى. قال تعالى: ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ 0(سورة الذاريات: الآية 50) .

وقد لاحظنا أن القرآن الكريم ثري جداً في هذا النوع من الطب النفسي وهو من أنجح العلاجات الطبية المستخدمة في العصر الحديث، وهكذا ندرك أن القرآن الكريم قد أدى دوراً هاماً في مجال الطب سواء كان ذلك طباً وقائياً أو علاجياً أو نفسياً واجتماعياً بما يثبت للقرآن إعجازاً علمياً في هذا المجال. [1]

[1] . انظر: اللوح: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 234.

# الفصل السابع

# جمعُ القرآن

آثرت أن ينتهي الكتاب بهذا الفصل

لما لجمع القرآن من أهمية عظيمة في علاقته بالقرآن

وبالطريقة والمنهج الذي اتبع أثناء الجمع

مستعرضاً لبعض الشُبَه التي وردت على جمع القرآن

وبيان تهافتها ودحضها وبطلانها .

## جمع القرآن الكريم:

آثرت أن أضم هذا البحث ضمن أبحاث الكتاب، لما له من أهمية في الموضوع، ولما له من علاقة بموثوقية هذا الكتاب العظيم، وحتى يُزيل الشُبَه التي تتعرض للقرآن الكريم، إما من قبل بعض من ينتسبون إليه زوراً، وإما من مخالفيه من المستشرقين والمبشرين.

**وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة فروع:**

**الفرع الأول:** يتكلم عن جمع القرآن زمن النبي عليه السلام.

**الفرع الثاني:** يتكلم عن جمعه زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

**الفرع الثالث:** يتكلم عن جمعه زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وسبق ذلك تعريف للقرآن لغة واصطلاحاً وما للعلماء من أقوال حول ذلك.

## الجمع لغة واصطلاحاً:

**الجمع معناه:** الاستقصاء والإحاطة بالشيء، والشيء جئت به من هنا وههنا. **ونقول:** جمعت علمَ كذا، إذا أحطت بمسألته واستوعبته. **وجمع القرآن معناه:** استيعابه والإحاطة به. [1]

**اصطلاحاً**: أما عند العلماء فهو الحفظ في الصدور وكتابته مفرقاً أو مجموعاً في سور، كل سورة على حدة.

1. ابن منظور: لسان العرب، 1 / 498.

وقد هيأ الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم الجمع بطريق الحفظ في الصدور وكذلك الكتابة في السطور معاً .

من أول لحظة نزل فيها إلى الآن، وسيبقى كذلك تحقيقاً لوعد الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ **0**(سورة الحجر: الآية 9) .

## الفرع الأول

## جمع القرآن زمن النبي عليه السلام

إن الناظر في العهد النبوي، وفيما ورد عن النبي عليه السلام، يجد أن القرآن الكريم جمع وحفظ بطريقتين متلازمتين:

**الأولى:** أنه حفظ وجمع في صدور الصحابة.

**الثانية:** أنه حفظ وجمع بكتابته في الرقاع واللخاف والعسب والكرانيف والأقتاب والأكتاف وقطع الأديم [1].

### أولاً: جمعه وحفظه في الصدور:

كان النبي عليه السلام يبلغ الصحابة القرآن الذي ينزل عليه، فكانوا يتسابقون في أخذه عنه وفي حفظه. عن عبادة بن الصامت قال "**كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن ، وكان يُسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفظوا أصواتهم لئلا يتغالطوا** "[2]

---

[1] . الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق، واللخاف: جمع لخفة وهي صفائح من الحجارة. والعسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. والكرانيف: جمع كرنافة، وهي أصول السعف الغلاظ، والاقتاب: جمع قتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه، والأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا عليه.

[2] . الزرقاني: مناهل العرفان، ص 1 / 234.

وساعدهم على حفظه ظروفهم الطبيعية التي كانوا يعيشونها، وما فيها من صفاء ذهن وقوة قريحة، مما ساعد على قدرتهم في الحفظ، وهذا مما كان يمتاز به العرب أهل الجزيرة.

لهذا نجد عجباً حينما نرى الآلاف من الصحابة يتسابقون في حفظه، والاهتمام به. وكان وراء ذلك من الأسباب التي دعتهم لحفظه، أنه المصدر الرئيسي لعقيدتهم وتشريعهم، غير أنه سبب عزهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة، أيضاً ما كان فيه من الخصائص البلاغية والبيانية، وما كان يفضي عليهم من متع نفسية وروحية في قراءته وتكراره.

لهذا لا عجب أن كثيراً منهم أفرغ نفسه لحفظه ودراسته، وبهذا ظهر ما سُمى فيما بعد بالقراء الذين كانوا لا يحصون عدداً، وقد ورد في صحيح البخاري ذكر عدد ممن حفظ القرآن كاملاً وهم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء رضي الله عنهم أجمعين.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: " **سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن عن أربعة : عن عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبي بن كعب** "[1] وهؤلاء الأربعة، اثنان من المهاجرين هما: عبدالله بن مسعود وسالم بن معقل، واثنان من الأنصار هما: معاذ بن جبل، وأُبي بن كعب.

---

[1] . أخرجه البخاري في صحيحه: رقم (3808)، كتاب: مناقب الصحابة، باب: مناقب أُبي بن كعب رضي الله عنه، 3 / 1165.

عن قتادة قال: " **سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال: أربعة كلهم من الأنصار: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت: من أبو زيد قال: أحد عمومتي** "﴿[1]﴾

وروي من طريق ثابت عن أنس قال: " **مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد** "([2])

فهؤلاء هم السبعة الذين وردت أسماؤهم عند البخاري وهذا لا يعني حصرهم في سبعة، فإن النصوص الواردة في كتب السير والسنن تدل على أن الصحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن، ويُحفظونه أزواجهم وأولادهم، وهذا الحصر للسبعة المذكورين محمول على أن هؤلاء هم الذين جمعوا القرآن كله في صدورهم، وعرضوه على النبي عليه السلام، واتصلت بنا أسانيدهم، وممن حفظ القرآن من الصحابة: الخلفاء الأربعة، وطلحة وسعداً، وأبا هريرة، وابن الزبير ، وعمرو بن العاص وأنس بن مالك، وعبادة بن الصامت، وعائشة وأم سلمه رضي الله عنهم، ومنهم حذيفة بن اليمان، وعبدالله السائب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عمر ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وحفصة بنت عمر وغيرهم رضي الله عنهم.

ونحن نعلم أن من خصائص هذه الأمة هو الاعتماد على الحفظ في النقل. ([1]) .

---

[1] . المصدر السابق: رقم (3810)، ص 3 / 1165 .

[2] . المصدر السابق: رقم (5004)، كتاب فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي، 3 / 1614 .

**ثانياً: جمع القرآن في السطور:**

اتخذ رسول الله ﷺ كتاباً للوحي من أجلاء الصحابة، كعلي، ومعاوية، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تظاهر الكتابة في السطور الجمع في الصدور.

روى الإمام أحمد بن حنبل مما يرويه عن عثمان: أن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده، يقول " **ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا** "[2]

فهذا الحديث وغيره يدل على أن القرآن الكريم قد كُتب بين يدي النبي عليه السلام وبأمره، وما نزل شيء من القرآن، آية أو سورة، إلا وضع موضعه بتوقيفه وإعلام الصحابة بذلك.

عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: " **لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه** "[3]

---

[1] . انظر: القطان: مباحث في علوم القرآن، ص 120 .

[2] . أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم (399) 1 / 334 .

[3] . أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم (3004)، كتاب الزهد، باب: التثبت في الحديث، ص 6 / 419 .

كما كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم، دون أن يأمرهم النبي ﷺ ، فيخطونه في العسب، واللخاف، والكرانيف، والرقاع، والأقتاب، وقطع الأديم، والأكتاف. كما سبق ذكره، وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة في كتابة القرآن، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ.

فهذه الدقة الملازمة للقرآن، وهذا الاحتياط الفائق لا يتحققان إلا بالحفظ والكتابة معاً، فإن الكتابة تعاضد الحفظ وتظاهره، فيكون اجتماعهما معاً من أعظم الأسباب لحفظه وصيانته. [1]

وما نجزم به، أنه قد تم جمع القرآن الكريم زمن النبي عليه السلام، وأنه لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى عليه السلام. إلا والقرآن مجموع ومدون، ولكنه لم يجمع بين دفتين لعدة أسباب من أهمها: نزول القرآن حسب الدواعي، ومنه ما كان يقع فيه من نسخ على قلته.

يقول الإمام الزركشي: " وإنما ترك جمعه في مصحف واحد، لأن النسخ كان يرد على بعض، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض، لأدى إلى الاختلاف، واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ "[2]

---

1 . القاسم: علوم القرآن الكريم، 115.

2 . الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1 / 235.

ثم لم يجمع لأنه كان ينزل مفرقاً على أكثر من عشرين سنة، ومن هنا يصعب جمعه في صحيفة واحدة، وأيضاً لأن الحاجة لم تكن موجودة لجمعه في صحيفة واحدة، ولم تظهر الدواعي لذلك، إلا بعد موته ﷺ.

ويسمى هذا الجمع بالجمع الأول.

## الفرع الثاني

## جمعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قُبض النبي ﷺ ، وترك لصحابته القرآن الخالد، وهو أعظم ثروة إنسانية ثرية في هذا الوجود وقد أدركوا حق هذه الأمانة، وأنهم مسئولون عن حملها إلى الأجيال التي تليهم كاملة، ولذا كانوا شديدي الحرص عليها، لأنها تراث النبوة ، وسجل الرسالة الإلهية. (1)

قام أبو بكر الصديق بعد رسول الله ﷺ ، وواجهته أحداث جسام في ارتداد جمهرة العرب، فجهز الجيوش، وأوفدها لحروب المرتدين، وكانت غزوة أهل اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة تضم عدداً كبيراً من الصحابة، القراء، فاستشهد في هذه الغزوة سبعون قارئاً من الصحابة، فهال ذلك عمر بن الخطاب، ودخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فإن القتل قد استحر يوم اليمامة بالقراء، ويخشى إن استمر بهم في المواطن الأخرى أن يضيع القرآن ويُنسى، فنفر أبو بكر من هذه المقالة وكَبُر عليه أن يفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ، وظل عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر.

أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت لمكانته في القراءة والكتابة والفهم والعقل، وشهوده العرضة الأخيرة، وقص عليه قول عمر، فنفر زيد من ذلك كما نفر أبو بكر من قبل، وتراجعا حتى طابت نفس زيد للكتابة. (1)

---

[1] . الباجقيني: منهج القرآن في تقرير الأحكام، 52.

أخرج البخاري: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه إن عمر أتاني فقال : إن القتل استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خُزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ . (سورة التوبة: الآية 128)، حتى نهاية براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما . [2]

---

[1] . القطان: مباحث في علوم القرآن، 125 .

[2] . أخرجه البخاري في صحيحه: رقم (4986)، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، 3 / 1609 .

**منهج زيد في جمع القرآن:**

يقول هيكل: " أية طريقة اتبع زيد في الجمع؟ تستطيع أن تقول في غير تردد أنه اتبع طريقة التحقيق العلمي المألوفة في عهدنا الحاضر، وقد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة، فقد طلب أبو بكر إلى كل من عنده من القرآن شيء مكتوب أن يجئ به إلى زيد، والى كل من يحفظ القرآن أن يدلي إليه بما يحفظه، اجتمع لزيد من الرقاع والعظام وجريد النخل و رقيق الحجارة، وكل ما كتب الصحابة القرآن عليه الشيء الكثير، عند ذلك جعل يرتبه ويوازنه، ويستشهد عليه، ولا يثبت آية إلا إذا اطمأن إلى إثباتها كما أُوحيت إلى رسول الله ﷺ. رُوي أن عمر بن الخطاب قرأ: " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان " برفع كلمة الأنصار ومن غير واو العطف بينها وبين الذين، فقال له زيد بن ثابت " والذين اتبعوهم بإحسان " واختلفا، فدعا عمر أُبي بن كعب، وسأله عن ذلك فأقر قراءة زيد، وليزيل كل ريبة من نفس عمر قال: " والله اقرأنيها رسول الله ﷺ ، وأنت تبيع الحنطة، فاذكر عمر وقال: نعم وتابع أُبياً و أقرَّ قراءة زيد، وكذلك كان يصنع زيد كلما خالفه أحد من الصحابة، وكلما وجد في المكتوب في الرقاع والعظام وغيرها خلافاً، يستشهد ويستعصي، ولا يمنعه من ذلك أنه يحفظ القرآن، وأنه حضر قراءة النبي على جبريل قبيل وفاته، وهذا الخلاف على حرف الواو في الآية السابقة يدلك على مبلغ الدقة، ويشهد أن زيداً لم يضن بمجهود في القيام بالعمل العظيم الذي عهد فيه أبو بكر إليه "[1]

---

[1] . هيكل: الصديق أبو بكر، 298.

إذن كتب زيد ما أجمع عليه الجميع وما تواترت روايته، واقتصر ما لم تنسخ تلاوته، وكُتب زمن النبي ﷺ ، وقد كان يتثبت ممن كتبها، أو شاهد كتابتها زمن النبي، فكان لا يكتب الآية إلا بشاهدين عدلين وقد استمر على هذا الحال في كل آيات وسور القرآن الكريم، حتى وصل إلى آية من آخر سورة التوبة، فوجدها عند أبي خُزيمة الأنصاري، روى البخاري: إن زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فاتبع القرآن، فتتبعت حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خُزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره، ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ . (سورة التوبة: الآية 128)، إلى آخره. [1]

وفي رواية أخرى للبخاري، عن خارجة بن زيد بن ثابت: سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ ، يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خُزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ .(سورة الأحزاب: الآية 23)، فألحقناها في سورتها في المصحف. [2]

أوجدت روايتا البخاري شيئاً من البلبلة والحيرة والاضطراب عند بعض الباحثين حول أبي خُزيمة: من هو أبو خُزيمة الأنصاري: ومن هو خُزيمة بن ثابت الأنصاري؟ هل هما شخص واحد ؟ أم شخصان مختلفان؟

---

[1] . أخرجه البخاري في صحيحه: رقم (4989)، كتاب: فضائل القرآن، باب: كاتب النبي، 3 / 1610 .

[2] . أخرجه البخاري في صحيحه: رقم (4988)، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، 3 / 1909 .

يقول الإمام القرطبي: "كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد عليها رجلان، فجاء رجل من الأنصار بالآيتين من آخر سورة براءة ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾ فقال عمر: والله لا أسألك عليها بينة، كذلك كان النبي ﷺ ، فأثبتها . قال علماؤنا: الرجل هو خُزيمة بن ثابت، وإنما أثبتها عمر رضي الله عنه بشهادته وحده لقيام الدليل على صحتها في صفة النبي ﷺ ، فهي قرينة تغني عن طلب شاهد آخر، بخلاف آية الأحزاب: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ فإن تلك تثبت بشهادة زيد وخُزيمة لسماعهما إياها من النبي ﷺ "[1]

قال ابن حجر: إن من وُجد عنده الآية من سورة التوبة ﴿براءة﴾ هو خُزيمة، وقد روي ذلك بطرق متعددة عن الزهري، وقيل وُجدت عند أبي خُزيمة، وشك بعضهم، والتحقيق أن آية التوبة مع أبي خُزيمة وآية الأحزاب مع خُزيمة. وقال ابن حجر: ومما ننبه عليه أن آية التوبة وجدها زيد بن ثابت لما جمع القرآن زمن أبي بكر، وآية الأحزاب وجدها لما نسخ المصاحف زمن عثمان. [2]

يقول: مصطفى الباجقيني: " المتأمل في المنهج الذي سلكه زيد بن ثابت رضي الله عنه في القرآن الكريم يدل على مدى الحرص والدقة بضبط النص وسلامته، وكان من الممكن أن يكتفي زيد بالصحف التي جيء بها من بيت الرسول ﷺ ، لأنه شارك في كتابتها، ولأنه

---

1 . القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 8 / 303.

2 . ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 9 / 246. بتصرف.

شهد العرضة الأخيرة، وكان من أحفظ القراء، وأثبتهم، ولكنه لمزيد من الحيطة أعتمد على أمر مادي يُرى بالحس، لا بحفظ القلب وحده، فكان لابد أن يرى ما حفظه مكتوباً في عصر النبي ﷺ ، وأن يشهد شاهدان على ذلك المكتوب المحفوظ، وقد تتبع القرآن بذلك آية، أية.

وهذا المنهج الدقيق الذي سلكه زيد بن ثابت هو الذي يفسر لك معنى قوله: إنه لم يجد الآيات الأخيرة من سورة التوبة إلا مع أبي خُزيمة الأنصاري، أي أنه لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خُزيمة مع حفظه، وأنه لحافظ، وحفظ بقية الصحابة غيباً وإنهم لحفاظ، فلما اجتمعت الكتابة مع الحفظ وشهد شاهدان على ذلك اعتمد الآيات ووضعها في محلها من السورة " . [1]

**بقي سؤال أخير: هل أتم زيد جمع القرآن زمن أبي بكر الصديق؟**

يقول هيكل: " أأتم زيد جمع القرآن في عهد أبي بكر، أم استغرق عمله هذا زمناً من عهد عمر؟

ذلك أمر أُختلف فيه، وقد رأينا في رواية البخاري أن الصحف التي جمع زيد فيها القرآن كانت عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين، وهذا القول يؤدي إلى أن الجمع تم في عهد أبي بكر، ويذهب بعض الرواة إلى أن الجمع استغرق زمناً من عهد عمر، وليس يتيسر بأي الروايتين أصح، وإن أمكن التوفيق بينهما، بأن زيداً أتم جانباً كبيراً من الجمع في عهد أبي بكر، وجعل صحف هذا الجانب عند الخليفة، وقبض الصديق فأخذ عمر ما كان عنده من هذه الصحف، فلما أتم زيد جمع ما بقى من

[1] . الباجقيني: منهج القرآن في تقرير الأحكام، ص 53.

القرآن أضيفت صحفه إلى الصحف الأُولى، ثم كانت كلها عند عمر، وهذه الصحف هي التي كانت المصحف الإمام في عهد عثمان بن عفان، وهي التي نتلوها اليوم، وسيتلوها مَنْ بعدنا من المسلمين وغير المسلمين حتى يوم الدين". [1]

بهذا يعتبر أبو بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن بهذه الصفة في مصحف، وإن وجدت مصاحف فردية عند بعض الصحابة، كمصحف علي، ومصحف أُبي بن كعب، ومصحف ابن مسعود، فإنها لم تكن على هذا النحو، ولم تنل حظها من التحري والدقة، والجمع والترتيب، والاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته، والإجماع عليها، بمثل ما نال مصحف أبي بكر، فهذه الخصائص تميز بها جمع أبي بكر للقرآن، ويرى بعض العلماء أن تسمية القرآن المصحف نشأت منذ ذلك الحين، في عهد أبي بكر بهذا الجمع، وعن علي قال: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله". [2]
وهذا الجمع هو المسمى بالجمع الثاني.

1 . هيكل: الصديق أبو بكر، 301.

2 . ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، 7 / 196.

# الفرع الثالث
# الجمع في عهد عثمان بن عفان رضي اللّه عنه

من خلال الفرعين السابقين تبين لنا يقيناً أن القرآن الكريم كان مكتوباً زمن النبي ﷺ، إلا أنه كان مفرقاً عند الصحابة رضي الله عنهم، وأنه لم تخلو آية من آيات القرآن إلا وكانت مكتوبة. هذا خلاف حفظ عدد كبير من الصحابة له، فتوفر في هذا الزمن المبارك حفظ الصدور والحفظ في السطور.

أما زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فتم فيه جمع الصحائف وترتيبها وحفظها في مكان واحد، وقد توفرت لجمعه كل وسائل التثبت والتيقن، حتى أنهم ما كانوا يقبلون آية إلا إذا جاء من كتبها بشاهدين يشهدان على أنها كتبت زمن النبي، وبين يديه عليه السلام.

ثم جاء زمن خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والذي اتسعت فيه الفتوحات الإسلامية، وتفرق القراء في الأمصار، وأخذ كل مصر عمن وفد إليهم قراءته، وكما نعرف كان الصحابة يقرأون القرآن على وجوه متعددة، مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها، فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجود هذا الاختلاف، وذلك يؤدي إلى الملاحاة إن استفاض أمره ومردوا عليه، ثم إلى اللجاج والتأثيم، وتلك فتنة لا بد لها من علاج.

فلما كانت غزوة "أرمينية" وغزوة "أذربيجان" من أهل العراق، كان فيمن غزاهما الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فرأى اختلافاً كثيراً في وجوه القراءة، وبعض ذلك مشوب باللحن، مع إلف كلٍ لقراءته، ووقوفه عندها ، ومماراته مخالفة لغيره، وتكفير بعضهم لبعض، حينئذ فزع إلى عثمان رضي الله عنه، وأخبره بما رأى، وكان عثمان قد نمى إليه أن شيئاً من ذلك الخلاف يحدث لمن يُقرئون الصبية، فينشأ هؤلاء وبينهم من الاختلاف ما بينهم، فأكبر الصحابة هذا الأمر مخافة أن ينجم عنه التحريف والتبديل، وأجمعوا أمرهم أن ينسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، ويجمعوا الناس عليها بالقراءات الثابتة على حرف واحد، فأرسل عثمان إلى حفصة، فأرسلت إليه بتلك الصحف، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت الأنصاري، والى عبدالله ابن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأمرهم أن ينسخوها في المصاحف، وأن يُكتب ما اختلف فيه زيد بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم. [1]

روى البخاري أن أنس بن مالك حدث أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن

[1] . القطان: مباحث في علوم القرآن، 128.

الزبير، وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أُفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.[1]

لقد كان عثمان بن عفان، رضي الله عنه ثاقب الرأي، عظيم الإيمان، شديد الحساسية بالمسئولية الدينية والسياسية، الملقاة على كاهله، فأراد أن يتدارك القوم قبل أن يستشري فيهم الداء ويعز الدواء، فما كان منه إلا أن اجتمع بكبار الصحابة واستشارهم فيما ورد إليه من الأخبار، فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف تكون إماماً إلى الأمصار، يعتمد عليها دون غيرها، ومن هنا شرع في تنفيذ ما اتفقوا عليه. وكان ذلك في السنة الخامسة والعشرين من الهجرة، وعهد إلى أربعة من خيرة الصحابة حفظاً للقرآن الكريم، وممن لهم تجربة سابقة في جمعه الأول وجمعه الثاني، وممن حضر العرضة الأخيرة بين النبي عليه السلام وجبريل عليه السلام.

لقد أراد عثمان بن عفان من جمعه هذا للقرآن أن يضع حداً لاختلاف القراءات الذي كان نتاجاً لتفرق الصحابة في البلاد المفتوحة، والذي أدى إلى تنازعهم ورمى بعضهم بالكفر، مجمع الناس على القراءات الثابتة المعروفة والمسندة إلى النبي وطرح ما سواها .

1 . اخرجه البخاري في صحيحه: رقم (4987)، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، 3 / 1609 .

قال الطبري فيما فعل عثمان: "وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد، وخرق (وفي رواية حرق)، ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه، وعزم على كل من كان عنده مصحف "مخالف" المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها، طاعة منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها، لدثورها وعفو آثارها، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها، من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها، فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى.([1])

يقول الزركشي: "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ ، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثبت مع تنزيل ومنسوخ تلاوته كُتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد.([2])، ومما ورد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه

[1] . الطبري: تفسير جامع البيان، 1 / 64.

[2] . الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 1 / 235.

جمعه للقرآن على حرف واحد فكان يقول كما يرويه البخاري: " يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً – أو قولوا خيراً– فوالله ما فعل الذي فعل – أي في المصحف – إلا عن ملأ منا جميعاً أي الصحابة" .[1]

**الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما:**

يقول القطان: "يتبين من النصوص أن جمع أبي بكر يختلف عن جمع عثمان في الباعث والكيفية. فالباعث لدى أبي بكر رضي الله عنه لجمع القرآن خشية من ذهابه بذهاب حملته، حين استحر القتل بالقراء، والباعث لدى عثمان رضي الله عنه كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار وخطأ بعضهم بعضاً .

وجمع أبي بكر كان نقلاً مما كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب، وجمعاً له في مصحف واحد مرتب الآيات والسور، مقتصراً على ما لم تنسخ تلاوته، مشتملاً على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

وجمع عثمان كان نسخاً له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد، وحرف واحد يقرأون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى" . [2]

1 . ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، 10 / 22 .

2 . القطان: مباحث في علوم القرآن، 132 .

يقول السيوطي نقلاً عن ابن التين: " أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة، حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع قراءته بلغة غيرهم، رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة.

ويقول نقلاً عن المحاسبي: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي بها نزل القرآن، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق.

وقد قال عليّ رضي الله عنه: لو وليت لعملت بالمصاحف عمل عثمان بها. [1]

**هل مصحف عثمان مشتمل على الأحرف السبعة؟**

يقول الأستاذ صادق عرجون: إن صحف الصديق التي كانت أصلاً للمصحف الإمام بإجماع المسلمين، لم تكن جامعة للأحرف السبعة التي وردت صحاح الأحاديث بإنزال القرآن

[1] . السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، 1 / 192.

عليها، بل كانت على حرف منها، هو الذي وقعت به العرضة الأخيرة. واستقر عليها الأمر في آخر حياة رسول الله ﷺ ، وإنما كانت الأحرف السبعة أولاً من باب التيسير على الأمة، ثم ارتفع حكمها لما استفاض القرآن وتمازج الناس وتوحدت لغاتهم.

قال الإمام الطحاوي: إنما كانت السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أميين، لا يكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، وسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرأوا بخلافها، قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يُقرأ به القرآن على حرف واحد، وقال الطبري : إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، أجمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً، وهم معصومون من الضلالة، وهذا الحرف الذي كتبت به صحف الإجماع القاطع ونقل عنه المصحف الإمام جامع لقراءات القراء السبعة وغيرهما، مما يقرأ به الناس ونقل متواتراً عن رسول الله ﷺ، لأن الأحرف الواردة في الحديث غير هذه القراءات.[1]

---

[1] . عرجون: عثمان بن عفان، 180.

قال الإمام القرطبي: قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صفرة وغيرها: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذي جمع عليه المصحف. (1)

## عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار:

### اختلف العلماء في عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار:

1. قيل كان عددها سبعة: أرسلها إلى مكة، والشام، والبصرة، والكوفة، واليمن، والبحرين، والمدينة، قال به أبو حاتم السجستاني.
2. قيل كان عددها أربعة: العراق، والشام، ومصر، والمصحف الإمام، قال به أبو عمرو الداني.
3. قيل كان هددها خمسة: ذهب إلى هذا القول الإمام السيوطي وهو المشهور.

أما الصحف التي ردها عثمان إلى حفصة، فقد بقيت عندها حتى ماتت، ثم غسلت غسلاً، قال ذلك الإمام الطبري، وقيل أخذها مروان بن الحكم وأحرقها.

وجمع عثمان رضي الله عنه للقرآن يسمى بالجمع الثالث وكان سنة 25 للهجرة.

## شُبهٌ حول جمع القرآن:

---

1. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 1 / 79.

يثير أهل الأهواء شبه كثيرة حول القرآن الكريم، من أجل توهين الثقة بهذا الكتاب العظيم، والتشكيك في صحة جمعه، وبالتالي قطع الصلة بين المسلمين وكتابهم العزيز، وأنا هنا سأقتصر على الشبه التي لها صلة بجمع القرآن الكريم فقط:

1 . قالوا: إن في القرآن ما ليس منه، واستدلوا على ذلك بما روى ابن مسعود أنه أنكر أن المعوذتين من القرآن الكريم.

ورود هذه الشبهة سهل وميسور، وهو أن ما نقل عن أبن مسعود رضي الله عنه لم يصح، وهو مخالف لإجماع الأمة قال الإمام النووي: "واجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد شيئاً منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح" . وقال ابن حزم: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع.

وعلى فرض صحته، فالذي يحتمل أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي ﷺ ، فتوقف في أمرهما، وإنكار ابن مسعود لا ينقض إجماع الأمة على أن المعوذتين من القرآن الكريم المتواتر.

ومثل هذا يجاب به على ما قيل من أن مصحف ابن مسعود قد أسقطت منه الفاتحة، فإن الفاتحة هي أم القرآن ولا تخفى قرآنيتها على أحد.

2 . يزعم نفر من الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان حرَّفوا القرآن وأسقطوا بعض آياته وسوره متعمداً.

ويجاب على ذلك أن هذه الأقوال أباطيل لا سند لها، ودعاوى لا بينة عليها، والكلام فيها حمق وسفاهة، وقد تبرأ بعض علماء الشيعة من هذا السخف، والمنقول عن عليّ رضي الله عنه الذين يدعون التشيع له يناقضه ويدل على انعقاد الإجماع بتواتر القرآن الذي بين دفتي المصحف، فقد أُثر عنه أنه قال في جمع أبي بكر: أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، وهو أول من جمع كتاب الله، وقال في جمع عثمان: يا معشر الناس اتقوا الله، وإياكم والغلو في عثمان وقولكم: حرّاق مصاحف، فوالله ما حرقها إلا على ملأ منا أصحاب رسول الله ﷺ، وقال: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان.[1]

ومن أكثر كتب الشيعة طعناً في القرآن كتاب: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، لمؤلفه: حسين الطبرسي ذكر فيه روايات كثيرة تفيد التحريف.

**يقول الدكتور السالوس:** الذين حاولوا هدم الإسلام وجهوا مردة شياطينهم للطعن في القرآن المجيد، لكن هيهات، فباءوا بمرارة الفشل، وبغضب ممن علّم القرآن، ولا عجب في سلك هؤلاء الكفار، ولكن العجب كل العجب أن نجد ممن ينتمي إلى الإسلام من يضل ضلال هؤلاء الكفار، فغلاة الإثنى عشرية عز عليهم أن يخلو القرآن الكريم من نصوص ظاهرة صريحة تؤيد عقيدتهم في الإمامة، فلم يكتفوا بالتأويلات الفاسدة، بل أقدموا على جريمة مدبرة فطعنوا في الصحابة الأكرمين وعلى الأخص الخلفاء الراشدين الذين سبقوا الإمام علياً، وأرادوا من هذا

---

[1]. الزرقاني: مناهل العرفان، 1 / 464.

الطعن الإقرار عليهم بأنهم غير أمناء على تنفيذ الشريعة ونقلها، وحفظ كتاب الله العزيز، ولهذا انتهوا من هذا الطعن إلى أنهم اغتصبوا الخلافة، وحرَّفوا القرآن الكريم حتى لا يفتضح أمرهم، ولا يظهر حق علي في الخلافة والأئمة من بعده. [1]

ولقد نقض بعض الشيعة غزل بعضهم، وتصدى بعضهم للكشف عن باطل وضلال بعضهم الآخر، فكفانا الله شر القتال.

**يقول المرتضى:** "القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلفوا فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد".

**ويقول في موضع آخر:** "إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ، مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأن كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وأُبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث، وذكر أن من خالف ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف

[1]. السالوس: مع الإثني عشرية في الأصول والفروع، 2 / 465.

إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته" .[1]

**ويقول الشيخ الطوسي صاحب كتاب تفسير مجمع البيان:** "أما الكلام في زيادته ونقصانه فهما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافة، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذي نصره المرتضي، وهو الظاهر في الروايات، غير أنه رويت روايات كثيرة، من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من القرآن، ونقل شيء منه من موضع الى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها ، وترك التشاغل بها ، لأنه لا يمكن تأويلها ، ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين ، فإن ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه" .[2]

**ويقول الصدوق* في كتابه رسالة في الاعتقادات:** " اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما بين أيدي الناس، وليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب" [3]

---

1 . السيد المرتضى: مقدمه تفسير مجمع البيان للطوسي، ص 15 .

2 . الطوسي: التبيان، ص 1 / 3 .

3 . الصدوق: رسالة في الاعتقادات، ص 93 .

* الصدوق هو: أبو جعفر محمد بن بابويه القمي .

**ويقول الخوئي:** " قد تبين للقارئ أن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل، أومن ألجأه إليه بجب القول فيه والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته " ([1])

**وغير هؤلاء كثير أمثال:** الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي، والشيخ محمد تقى الحكيم، والدكتور موسى الموسوي، والأستاذ أحمد الكاتب وغيرهم.

إلا أن أصوات هؤلاء العلماء المخلصين تصطدم بالجدار الحديدي، الذي يضربه الغلاة، أصحاب المصالح والمنافع الدينية، الذين ارتضوا أن يكونوا أدوات لأعداء الأمة، ومن القديم، امتداداً من الكليني صاحب الكافي، وصولاً إلى النوري الطبرسي صاحب فصل الخطاب.

**يقول الدكتور: موسى الموسوي، وهو من أعلام الشيعة المجتهدين في كتابه: الشيعة والتصحيح:**

"لست ادري كيف يستطيع المرء أن يقول بتحريف القرآن وهو أمام نص صريح يدحض كل الأقوال حول التحريف، ولست أدري أيضاً كيف يستطيع أحد أن يكون مؤمناً بالقرآن وهو يدلي رأياً يناقض ما جاء فيه، والآية الكريمة التي تقول: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾. (سورة الحجر: الآية 9)، تغنينا عن الاستدلال بعدم تحريف القرآن المنزل على محمد رسول الله ﷺ، فالوعد الإلهي صريح بأنه تعالى يحفظ الذكر الحكيم من أي تلاعب أو تحريف أو إضافة، والقائلون بالتحريف يشكلون عدداً من علماء الفرق الإسلامية كلها، إلا أن علماء الشيعة ومحدثيهم يشكلون الأكثرية المطلقة بين هؤلاء، وقد ذهب رهط من علماء الشيعة إلى

[1] . الخوئي: البيان، ص 259 + 278.

عدم التحريف واستشهدوا بالآية الكريمة التي أوردناها ولكن ذهب آخرون إلى التحريف بإصرار وعناد منهم "النوري" الذي ألف كتاباً سماه "فصل الخطاب في تحريف الكتاب" وذكر في الكتاب المذكور عبارات زعم أنها آيات قرآنية محرفة، والمتبع المنصف لا يشك أبداً أن السبب الذي حدا بالمحدثين أن يذهبوا إلى تحريف الكتاب هو الاستدلال بآيات منصوصة في إمامة "علي" رضي الله عنه كانت مذكورة في السور والآيات المحرفة على حد زعمهم، وبذلك كان بعض أعلام الشيعة يدافع عن عدم وجود نص إلهي في القرآن حول الإمامة بتلك الآيات المزعومة التحريف، وتحريف القرآن يصطدم بعقبة كبيرة لدى أعلام الشيعة وهو إقرار الإمام "علي" في أيام خلافته بهذا القرآن الموجود بين أيدي المسلمين، فلو كانت هناك سور أو آيات محرفة لتحدث عنها الإمام "علي" وأثبتها في القرآن.

إن فكرة تحريف القرآن ليست من الأفكار التي تظهر على الساحة الشيعية كفكرة عامة ذات أبعاد خطيرة، لأن الأكثرية الساحقة من الشيعة لم تتقرب إلى هذا البحث، ولا تؤمن به بسبب موقف كثير من فقهائنا من عدم التحريف، ولكن الفكرة تأخذ طابعاً حزيناً عندما ينشر الناشرون كتباً ألفها بعض علمائنا في التحريف، وتوزع تلك الكتب على الناس أو تستل منها مقتطفات لتذكر في كتب أخرى ويطلع عليها المسلمون جميعاً، ومن هنا نوجه نداء التصحيح إلى كل الناشرين في البلاد الشيعية كي يقلعوا عن نشر كتب كهذه لأنها تخالف كتاب الله ونصوصه وتضر بسمعة الإسلام وكتابه الكريم الذي هو الدستور الخالد للمسلمين، فإذا ما أصابه وهن أصابهم، وإذا أصابته قوة أصابتهم.

وكما قلنا فإن الرأي السائد لدى الأكثرية من فقهاء الشيعة هو عدم التحريف، ولكن هذا الرأي يعقبه رأي آخر هو من الغرابة بمكان، ولا توجد له أدلة إلا في الروايات التي يرويها رواة الشيعة، ونحن في حركتنا التصحيحية لا نستطيع أن نغفل آراءً شاذه كتلك، وعلينا أن نشير إليها لكي يكون التصحيح جامعاً مانعاً، نذكر رأياً لكبير علماء الشيعة وهو الإمام "الخوئي" الذي يقول في تفسيره"البيان" ص 259 وذلك بعد أن استعرض آراء فقهاء المسلمين بما فيهم الشيعة حول التحريف في القرآن، أو عدم وقوعه ما هو نصه: "ومما ذكرناه قد تبين للقارئ أن حديث تحريف القرآن حديث خرافة لا يقول به إلا من ضعف عقله أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل أو من لجأ إليه، يحب القول بت والحب يُعمي ويصم. أما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته" .

وأما الرأي الثاني الذي أشرنا إليه فهو في صفحة 222 من الكتاب المذكور وجاء فيه : "إن وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام، يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه وتسالم عليه العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته، كما أن اشتمال قرآنه عليه السلام، على زيادات ليست في القرآن الموجود، وإن كان صحيحاً إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن، وقد أسقطت منه بالتحريف بل الصحيح أن تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل وما يؤول إليه الكلام أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد" .

وبهذه العبارات يريد فقيهنا إثبات مصحف للإمام **"علي"** يختلف عن القرآن ولكنه في الوقت نفسه يضيف جملة محيرة وهي: "أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد" ولست أدرى ما هذا الإصرار على تسمية شرح للقرآن وتفسير له بالمصحف ثم ما هو هذا الإجماع الذي يدعيه بقوله :"تسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته" ومتى أجمعت العلماء على ذلك، اللهم إلا نفر قليل استندوا على كلام ينسب إلى الإمام "علي" ذكره "الطبرسي" في الاحتجاج، والمحقق المتتبع لكلمات الإمام وسيرته يشك كل الشك في صدور كلام مثل ذلك عن الإمام لما فيه من غرابة المحتوى، ثم ماذا تعني تلك الجملة المحيرة هل أن القرآن له شرح إلهي صادر عن الله ولكنه ليس جزءاً من القرآن، فيكون القرآن المنزل من الله مؤلفاً من متن وشرح، متنه في يد الجميع، وشرحه عند الإمام "علي" فقط، وإذا لم تخونني الذاكرة فقد ناقشت موضوع هذا المصحف مع العلامة الكبير "الخوئي" ولم يأت بشيء أكثر من الاستشهاد على رواية الطبرسي، وانتهى الحوار إلى جدل عنيف وحاد أرجو من الله أن يغفر لي إذا ما تجاوزت على حرمة أستاذ درست عليه الفقه وأصول الفقه بعض الوقت وذلك في أيام دراستي عندما كنت في النجف، إن فقهاءنا وعلماءنا يستدلون على وجود مصحف للإمام **"علي"** برواية يذكرها الطبرسي في كتاب "الاحتجاج" وهي أن الإمام قال: "يا طلحة إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ عندي بإملاء رسول الله وخط يدي وتأويل كل آية أنزلها الله تعالى على محمد ﷺ ، وكل حرام أو حلال أو حكم تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله وخط يدي حتى أرش الخدش" .

وكما قلنا في هذه الرواية ضعف واضح وغرابة مذهلة ومنها تتفرع أسئلة عديدة لا عد لها ولا حصر، وقبل كل شيء لماذا خص الرسول الكريم ﷺ ، الإمام "**علياً**" بتعليم أحكام تحتاج إليها أمته إلى يوم القيامة، ولكن لم يخبر بها أمته بل أخفاها عليهم، والقرآن الكريم يقول: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ .(سورة سبأ: الآية 28) ويقول في موضع آخر: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ .(سورة المائدة: الآية 3) ولماذا لم يتحدث الإمام "**علي**" عن تلك الأحكام في خلافة الخلفاء الذين سبقوه، أو في زمن خلافته، ولماذا أخفى أحكاماً تحتاج إليها الأمة إلى يوم القيامة وفيها حلاله وحرامه، وحتى أرش الخدش، حقاً إنه اضطراب مخل بالتعقل نقرأه في عقول الذين وضعوا روايات كهذه ونسبوها إلى الإمام "**علي**"، وأدهى منه أن فقهاءنا – سامحهم الله– استندوا عليها وحكموا عليها حكم المسلَّمات. لأن كل ما قيل وذُكر في الكتب الشيعية عن مصحف الإمام "**علي**" ليس أكثر من إضفاء هالة من الغلو على شخصية الإمام "**علي**" حسب زعم الذين كانوا وراء وضع هذه الأساطير، وإثبات أن الإمام "**علياً**" إنما هو تالي تلو وأحق بخلافة الرسول ﷺ من غيره، ولذلك يحتفظ بمصحف خاص لا يحتفظ بت غيره، هذا في ظاهر الأمر، ولكنهم في الحقيقة أساؤوا إلى الإمام من ناحية أخرى، فعرفّوا الإمام بأنه يخفي أحكاماً إلهية فيها حدوده وحلاله وحرامه وكل ما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، ولم يدلي بها إلا لأولاده الذين هم الأئمة، والأئمة بدورهم أخفوها عن المسلمين وحتى عن شيعتهم إلى أن اختفت كل تلك العلوم باختفاء الإمام الثاني عشر، وهكذا نرى أن الحب

الجارف عندما يتجاوز حده ينتهي إلى الإساءة المطلقة والشيء إذا تجاوز حده أنقلب إلى ضده، ومن هنا نطلق مرة أخرى لفكرة التصحيح ولمقارعة الأوهام التي نسجت حول الإمام **"علي"** وسائر أئمة الشيعة، حقاً لقد وضعوا حول الشمس نجوماً خافتة وزعموا أنها تزيد الشمس إشراقاً وتوهجاً، فكان شأنهم شأن أولئك الذين وصفهم الله بقوله: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ .(سورة الكهف: الآية 104) .

ومع أننا نعتقد أن أغلب الروايات الموضوعة عن الأئمة وضعت بعد الغيبة الكبرى، وهو العصر الذي نسميه بعصر الصراع الأول بين الشيعة والتشيع، إلا أن المتتبع المنصف لا يجد بداً من القول إن في عهد أئمة الشيعة أيضاً وضعت روايات عنهم كما أن وضع أحاديث عن الرسول الكريم ﷺ كان يشغل بال المسلمين بعد عصر الرسالة غير أن الروايات التي كانت تنسب إلى أئمة الشيعة في حال حياتهم لم تكن ذات أبعاد خطيرة بسبب وجودهم بين الناس من الوصول إليهم والسؤال عنها .

وهذا هو الإمام **"الصادق"** يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه" .

ويقول ابن أبي يعفور أنه سأل الإمام "الصادق" عن اختلاف الحديثين يرويه من نثق بت ومنهم من لا نثق بت، فقال: "وإذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ وإلا فالذي جاءكم بت أولى بت" .[1]

[1] . الكليني: الكافي، 69/1.

ويروي ابن أبي عمير عن الإمام "**الصادق**" أيضاً أنه قال: "من خالف كتاب الله وسُنة محمد ﷺ فقد كفر".[1] ويقول الإمام في مكان آخر: "كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف".[2]

وهكذا وضع الإمام "**الصادق**" الطريق للفصل بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة، وهكذا الفصل بين الروايات الصحيحة والكاذبة حتى يسد الباب على البدع التي تظهر في الدين وباسم الدين.[3]

وهكذا يتضح لنا من خلال البحث في كتب الشيعة أنفسهم بطلان الشبه التي يثيرونها حول القرآن الكريم وجمعه، وكيف أن بناء أقوالهم وأبحاثهم كله مبني على أساس من الروايات المكذوبة أو الضعيف التي لا أساس لها من الصحة.

وهكذا يتحقق وعد الله الصادق بحفظ كتابه من كل محاولات التحريف أو الإضافة أو الطعن أو التشويه، وكل يوم تطلع فيه الشمس يزداد الإيمان بإعجاز ومعجزة هذا الكتاب العظيم.

## والحمد لله رب العالمين

1. المصدر السابق: 70/1.
2. المصدر السابق: 79/1.
3. الموسوي: الشيعة والتصحيح، 92-96.

# المصادر والمراجع


## أولاً: الكتب المقدسة:

1. القرآن الكريم.
2. التوراة _ دار الكتاب المقدس _ قبرص _ 1998م.
3. الإنجيل _ دار الثقافة _ القاهرة _1982م.

## ثانياً: كتب التفسير:

4. ابن كثير: إسماعيل _ تفسير القرآن العظيم _ دار الأندلس _ بيروت _ الخامسة _ 1984م.
5. جوهري: طنطاوي _ الجواهر في تفسير القرآن الكريم _ المكتبة الإسلامية _ القاهرة _ الثانية _ 197.م.
6. الحمصي: محمد حسن _ تفسير وبيان مفردات القرآن _ مؤسسة الإيمان _ بيروت.
7. الخوئي: أبو القاسم الموسوي _ البيان في تفسير القرآن _ مطبعة الآداب _ النجف _ الثالثة.
8. رضا: محمد رشيد _ تفسير المنار _ دار المعرفة _ بيروت _ الثانية.
9. الزمخشري: محمود بن جار الله _ تفسير الكشاف _ مكتبة مصر _ القاهرة _ الأولى _ 2000م.
10. الطبري: محمد بن جرير _ تفسير جامع البيان _ دار المعارف _ القاهرة _الأولى.
11. طنطاوي: محمد سيد _ التفسير الوسيط للقرآن الكريم _ نهضة مصر _ القاهرة _ الأولى _ 1997م.
12. الطوسي: أبو جعفر محمد _ التبيان في تفسير القرآن _ النجف _ 1376هـ.

13. القرطبي: محمد بن أحمد _ الجامع لأحكام القرآن _ دار الشام _ بيروت _ الطبعة الثانية.

**ثالثاً: كتب الحديث الشريف والسيرة:**

14. ابن أبي شيبة: أبو بكر _ المصنف في الأحاديث والآثار _ الدار السلفية _ بومباي _ الأولى _ 1403هـ.
15. ابن حنبل: أحمد _ المسند _ تحقيق أحمد شاكر _ دار الحديث _ القاهرة _ الأولى _ 1995م.
16. ابن قيم الجوزية: محمد بن بكر _ زاد المعاد _ مصطفى البابي الحلبي _ القاهرة _ 1970م.
17. ابن كثير: إسماعيل _ البداية والنهاية _ دار الفجر الجديد _ القاهرة _ الأولى _ 2003م.
18. ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني _ المكتبة العلمية _ بيروت.
19. البخاري: محمد بن إسماعيل _ الصحيح _ المكتبة العصرية _ بيروت _ الأولى _ 1997م.
20. البيهقي: أحمد بن الحسين _ السنن الكبرى _ دار الكتب العلمية _ بيروت _ الأولى – _1994م.
21. الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة _ سنن الترمذي _ المكتبة السلفية _ المدينة المنورة _ الأولى _ 1964م.
22. عرجون: صادق _ عثمان بن عفان _ الدار السعودية _ جدة _ الثالثة _ 1990م.
23. العسقلاني: ابن حجر _ فتح الباري _ دار الفكر _ بيروت _ الأولى _ 1996م.
24. مراد: مصطفى _ معجزات الرسول _ دار الفجر الجديد _ القاهرة الأولى _ 2002م.
25. مسلم: مسلم بن الحجاج _ الصحيح _ دار الخير _ بيروت _ الثالثة _ 1996م.
26. هيكل: محمد حسنين _ الصديق أبو بكر _ دار المعارف _ القاهرة _ السابعة _ 1975م.

## رابعاً: المعاجم والقواميس:

27. ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري لسان العرب _ دار الجيل _ بيروت _ الأولى _ 1988م.

28. عصر: صبحي عبد الرؤوف_ المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم _ دار الفضيلة_ القاهرة _ الأولى _1990م.

29. المقدسي: على زاده فيض الله الحسنى _ فتح الرحمن لطالب آيات القرآن _ جمعية الدعوة الإسلامية _ ليبيا _ 1982م.

30. الكرمي: حسن سعيد _ الهادي إلى لغة العرب _ دار لبنان _ بيروت _ الأولى _ 1992م.

## خامساً: علوم القرآن:

31. إبراهيم: محمد إسماعيل _ القرآن وإعجازه العلمي _ دار الفكر العربي _ القاهرة.

32. الباجقيني: مصطفى _ منهج القرآن في تقرير الأحكام _ المنشأة العامة للنشر _ طرابلس _ الأولى – 1984م.

33. البار: محمد علي_ خلق الإنسان بين الطب والقرآن _ الدار السعودية _ الثانية _ 1981م.

34. جوهري: طنطاوي _ القرآن والعلوم العصرية _ مصطفى البابي الحلبي _ القاهرة _ الثانية _ 1951م.

35. حامد: عبد الرحمن محمد _ القرآن وعالم الحيوان _ الدار السودانية _ الخرطوم.

36. الدباغ: مصطفى _ وجوه من الإعجاز القرآني _ مكتبة المنار _ عمان الثانية _ 1985م.

37. الدهان: سعيد ناصر_ القرآن والعلوم _ مطابع النعمان _ النجف الأشراف _ الأولى _ 1965م.

38. الزرقاني: محمد عبد العظيم _ مناهل العرفان في علوم القرآن _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت _ الثالثة.

39. الزركشي: بدر الدين محمود _ البرهان في علوم القرآن _ دار المعرفة _ بيروت _ الثانية.

40. الشريف: محمود _ القرآن وحياتنا الثالثة _ دار المعارف _ القاهرة _ الأولى _ 1978م.

41. الشعراوي: محمد متولي _ معجزة القرآن _ كتاب اليوم _ القاهرة _ الأولى _ 1979م.

42. صدقي: نعمت _ معجزة القرآن _ دار الاعتصام _ القاهرة _ الأولى _ 1978م.

43. عباس: فضل الحسن _ إعجاز القرآن الكريم _ عمان _ 1991م.

44. فكري: علي _ القرآن ينبوع العلوم والعرفان _ دار إحياء الكتب العربية _ الأولى _ 1951م.

45. الفندي: محمد جمال الدين _ القرآن والعلم _ دار المعرفة _ القاهرة _ الأولى _ 1968م.

46. الفندي: محمد جمال الدين _ من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم _ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية _ القاهرة _ 1969م.

47. القاسم: محمد أحمد _ علوم القرآن الكريم _ كلية أصول الدين _ القاهرة _ الأولى _ 1980م.

48. القطان: مناع _ مباحث في علوم القرآن _ مؤسسة الرسالة _ بيروت _ الخامسة والثلاثون _ 1998م.

49. قنيبي: حامد صادق _ المشاهد في القرآن الكريم _ مكتبة المنار _ الزرقاء _ الأولى _ 1984م.

50. اللوح: عبد السلام _ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم _ مكتبة آفاق _ غزة _ الأولى _ 1999م.

51. مارديني: عبد الرحيم _ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم _ دار المحبة _ دمشق _ الأولى _ 2005م.

52. محمود: مصطفى _ من أسرار القرآن _ كتاب اليوم _ القاهرة _ الأولى _ 1977م.

53. المطعني: عبد العظيم _ ساعة مع القرآن العظيم _ دار المعارف _ القاهرة _ الأولى _ 1979م.

54. النجار: زغلول _ من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم _ مكتبة الشروق الدولية _ القاهرة _ الأولى _ 2002م.

55. نجم: رائف _ الإعجاز العلمي في القرآن _ شركة المطابع النموذجية.

56. نوفل: عبد الرزاق _ الإعجاز العددي في القرآن الكريم _ دار الشعب _ القاهرة _ الثالثة _ 1975م.

57. الهراوي: حسين _ النظريات العلمية في القرآن _ مطبعة الرسالة _ القاهرة _ الأولى _ 1942م.

## سادساً: دراسات إسلامية:

58. ابن تيمية: تقي الدين أحمد _ النبوات _ دار الفكر _ بيروت.

59. الباجوري: إبراهيم محمد _ شرح الباجوري على الجوهرة _ مطبعة مصطفى البابي الحلبي _ الأخيرة _ 1939م.

60. الجسر: نديم _ قصة الإيمان _ منشورات المكتب الإسلامي _ بيروت _ الثالثة _ 1969م.

61. حسن: رشدي مدبولي _ مَنْ الخالق: الله أم الصدفة؟ مكتبة الزهراء _ القاهرة _ 1974م.

62. الدسوقي: طه _ نظرية النبوة في الإسلام _ دار الهدى _ القاهرة _ الأولى _ 1981م.

63. السالوس: علي أحمد _ مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع _ مكتبة القرآن _ مصر _ السابعة _ 2006م.

64. الشعراوي: محمد متولي _ الأدلة المادية على وجود الله _ وزارة التربية والتعليم _ القاهرة _ 1996م.

65. طبارة: عفيف _ روح الدين الإسلامي _ دار العلم للملايين _ بيروت _ الثانية عشرة _ 1974م.

66. الغمراوي: محمد أحمد _ الإسلام في عصر العلم _ دار الإنسان _ القاهرة _ الأولى _ 1973م.

67. الفندي: محمد جمال الدين _ الله والكون _ الهيئة المصرية العامة _ القاهرة _ الأولى _ 1976م.

68. الفندي: محمد جمال الدين _ الكون بين العلم والدين _ مطابع الأهرام التجارية _ القاهرة _ 1972م.

69. القمي: محمد بن بابويه _ رسالة في الاعتقادات _ مطبعة حجر _ إيران _ 1370هـ.

70. الموسوي: موسى _ الشيعة والتصحيح _ لوس أنجلوس _ 1987م.

71. مدريسون: كريسى _ العلم يدعو للإيمان _ مكتبة النهضة المصرية _ القاهرة _ السادسة _ 1971م.

72. نوفل: عبد الرزاق _ أسئلة حرجة _ دار الشعب _ القاهرة _ الأولى _ 1970م.

73. نوفل: عبد الرزاق _ السماء وأهل السماء _ دار الشعب _ القاهرة _ الأولى _ 1970م.

74. نوفل: عبد الرزاق _ صنع الله _ كتاب اليوم _ القاهرة _ الأولى _ 1978م.

75. نوفل: عبد الرزاق _ غزو الفضاء بين أهل الأرض وأهل السماء _ مؤسسة أخبار اليوم _ القاهرة _ الأولى _ 1979م.

76. نوفل: عبد الرزاق _ الله والعلم الحديث _ دار الشعب _ القاهرة _ الأولى _ 1977م.

## سابعاً: علوم متنوعة:

77. الطهطاوي: احمد عبد العال _ اختبر معلوماتك _ مكتبة الصفاء _ القاهرة _ الأولى _ 2003م.

78. مصطفى: مصطفى عبد العزيز _ عالم النبات _ دار المعارف _ القاهرة _ الأولى _ 1977م.

## دوريات:

جريدة الدستور الأردنية _ عمان الأردن.

# كشف مؤلفات الأستاذ حسني العطار

**داعياً الله أن ينفع بها وأن تكون في ميزان حسناته ومن له حق وفضل عليه:**

**أولاً. الدراسات القرآنية:**

١/1. من آيات الإعجاز في القرآن الكريم (دراسة).

٢/1. الاستهزاء والسخرية في ضوء القرآن الكريم. (دراسة). طبع

3/3. الحوار في القرآن الكريم: دراسة ونموذجاً. (دراسة). طبع

٤/4. قيم تربوية مستنبطة من قصص سورة الكهف. (دراسة). طبع

5/5. الرازي ومنهجه في التفسير وموقفه من اليهود. (دراسة).

**ثانياً. علوم الحديث ومصطلحه:**

٦/1. قضايا حديثية. (دراسة). طبع

٧/2. دراسات حديثية تحليلية معاصرة. (دراسة). طبع

٨/3. قطوف ومختصرات من علم أصول الحديث.

٩/4. إرشاد الأبرار إلى تخريج أحاديث المختار. (مساق أكاديمي).

١٠/5. مفتاح كتاب تحفة الأشراف للإمام المزّي

**ثالثاً. دراسات في العقيدة:**

1/11. أثر العقيدة الإيمانية على الصحة النفسية. (دراسة). طبع

2/12. يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي. (دراسة).

3/13. المختصر المفيد لأشراط الساعة وأحداث يوم الوعيد.

4/14. العقائد اليهودية فساد وإفساد دراسة ونقض. (دراسة).

5/15. العقائد النصرانية ضلال وإضلال دراسة ونقض. (دراسة).

6/16. دراسة وتحليل لسفر أخبار الأيام الثاني. (دراسة).

7/17. مختصر لكتاب "التوسل أنواعه وأحكامه" للشيخ ناصر الدين الألباني.

8/18. مختصر لكتاب "الروح" لابن قيم الجوزية.

9/19. نظرات سريعة في كتاب " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة " (اختصار).
10/20. مختصر لكتاب "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد " لعثمان علي حسن.
11/21. تلخيص كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر لابن قيم.
12/22. الإيمان وأثره في الأمن المجتمعي. دراسة، طبع

**رابعاً. السير والشخصيات:**

1/23. الشيخ رجب العطار ذاكرة أمة. (مذكرات). طبع
2/24. الشيخ رجب العطار مجاهداً. (دراسة). طبع
3/25. أبي قصة حياة. طبع
4/26. عبد الرحمن بارود: شاعر المقاومة ـ (دراسة نقدية). طبع
5/27. أمي سلام عليك في الخالدين. طبع
6/28. مصطفى محمود حياته وآراؤه الاعتقادية. (دراسة). طبع
7/29. مصطفى محمود حياته وموقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة. (دراسة). طبع
8/30. الدكتور مصطفى محمود: آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة (رسالة ماجستير).
9/31. طوبى للغرباء: قصة حياة الحاج موسى برهوم. مقالات. طبع
10/32. رثائيات.
11/33. شخصيات عرفتهم. مقالات.
12/34. في عيونهم.
13/35. د. موسى أبو مرزوق مشوار حياة.
14/36. عاشق فلسطين: عبد الكريم الكرمي (دراسة).

**خامساً. دراسات فقهية:**

1/37. الانتخابات وأحكامها في الإسلام. (دراسة). طبع
2/38. الوديعة المصرفية: دراسة فقهية – اقتصادية. (دراسة).
3/39. الدية في الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية).
4/40. حقوق المرأة المالية في الإسلام. (دراسة فقهية). طبع

5/41. دية المرأة المسلمة في الشريعة الإسلامية. (دراسة فقهية).
6/42. الخنزير: أخطاره وأحكامه (دراسة مقارنة).
7/43. السماحة الإسلامية في الضرورة الشرعية. (دراسة). طبع
8/44. الوالدان: بين البر والعقوق. (دراسة). طبع
9/45. ثورات الربيع العربي وحكم الخروج على الحكام (دراسة). طبع
10/46. تلخيص كتاب الاختلافات العلمية.

**سادساً. دراسات في الفكر والثقافة:**

1/47. شرع من قبلنا (دراسة).
2/48. رمضانيات. (مجموعة مقالات). طبع
3/49. السنن الإلهية: وحركة النهضة الإنسانية – دراسة وعرض. (دراسة). طبع
4/50. نظرية الخلافة عند الخوارج. (دراسة). طبع
5/51. أهم أسباب تخلف العرب والمسلمين. (دراسة). طبع
6/52. نظرية الإمامة عند الشيعة. (دراسة). طبع
7/53. قيمنا الأخلاقية بين الأهمية والحاجة. (دراسة). طبع
8/54. الأخلاق بين الادعاء والالتزام. (دراسة). طبع
9/55. كورونا بين المحنة والمنحة. طبع
10/56. الإخوان المسلمون: شهادتي لله والتاريخ. طبع
11/57. فيس بوك صائم. طبع
12/58. الصوم وتهذيب النفس. دراسة. طبع
13/59. الفرق بين الجهاد والإرهاب. (دراسة). طبع
14/60. نظرية الفضيلة عند اليونان والمفكرين الإسلاميين. (دراسة).
15/61. قضايا دينية وفكرية. مقالات. طبع
16/62. البابية والبهائية: ضلال وإضلال. (دراسة).
17/63. في الدين والحياة. (مجموعة مقالات). طبع
18/64. بين الخير والشر. تأملات فلسفية واجتماعية. طبع

19/65. سهام الغرب نحو الإسلام والمسلمين. طبع

**سابعاً. دراسات أدبية:**

1/66. بين الذكريات. ثلاثة أجزاء مقالات. طبع

2/67. صعوبة المطالب في بلاد الله غالب. رواية. طبع

3/68. العطار في بلاد المختار. رواية. طبع

4/69. حكاية مواطن غزاوي. حكاية. طبع

5/70. قصص وحكايات.

6/71. شاميات. حكاية من حلقات طبع

7/72. لو سمحت لحظة من فضلك.

8/73. الزمن الجميل. رواية. طبعت

**ثامناً. دراسات فلسطينية:**

1/74. مدينة القدس، والمسجد الأقصى: ماضٍ مجيد ومستقبل موعود. (دراسة). طبع

2/75. فلسطين: نقض مزاعم الكتاب المقدس. (دراسة). طبع

3/76. فضائل فلسطين وبيت المقدس في الكتاب والسنة. (دراسة). طبع

4/77. القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية. (دراسة). طبع

5/78. القدس بين التهديد والتهويد. (محاضرات ومقالات). طبع

**تاسعاً. في الفكر السياسي:**

1/79. أوسلو وخيبة الأمل الفلسطينية. مقالات. طبع

2/80. هموم كاتب ما بعد الهزيمة. طبع

3/81. أنا والسلطة والوطن. مقالات. طبع

4/82. الجزيرة العربية قبل الإسلام: الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (دراسة)

5/83. مصر التي في خاطري. (مقالات ومنشورات) طبع

6/84. مصر وقطاع غزة الأرض والسكان. مقالات طبع

7/85. أوراق عربية. (مقالات). طبع

8/86. إسرائيليات. طبع

9/87. الماسونية: أخطر الجمعيات السرية. (دراسة) طبع

10/88. مستقبل الصراع الإسلامي الصهيوني من خلال كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون". (دراسة). طبع

11/89. انعكاسات حرب ٢٠٠٨م على المجتمع الفلسطيني والمجتمع الإسرائيلي. (دراسة تحليلية). طبع

12/90. فلسطينيات مقالات في الوطن والقضية. مجموعة مقالات. طبع

**كتب تحت الإنجاز:**

1. الشوق والحنين. سيرة ذاتية.
2. أنا والمسجد الأقصى.
3. هل أنصف العرب الفلسطينيين وقضيتهم.
4. إنسانيات.
5. غزة بين الصمود والقهر.
6. الأستاذ صبري. رواية اجتماعية

# المحتويات

المقـــــــدمة ........................................................................ 1
التمـــــــــــهيد ....................................................................... 7
الفصل الأول: من معجزات الكون في القرآن الكريم........................................ 49
الفصل الثاني: بعض معجزات الأرض في القرآن الكريم.................................. 85
الفصل الثالث: من معجزات القرآن الكريم في خلق الإنسان............................ 157
الفصل الرابع: من معجزات عالم الحيوان والحشرات والنبات.......................... 205
الفصل الخامس: معجزة العدد في القرآن الكريم ........................................... 259
الفصل السادس: من معجزات اللغة في القرآن ............................................ 331
الفصل السابع: جمعُ القرآن ............................................................... 361
المصادر والمراجع........................................................................ 397
كشف مؤلفات الأستاذ حسني العطار ...................................................... 405

تم بحمد الله